الفصل الرابع

الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني

مقدمة

إن قراءة متبصّرة واعيةً لأسماء الله الحسنى تفضي إلى نتيجة مفادها أنها تقدم تصورات نهائية لمجتمعٍ لا إسلامي فحسب، بل مجتمع إنساني متكامل ومنظم. فمن الغبن الاطلاع عليها دون تفهّم معانيها اللغوية ورؤاها الدلالية والوقوف على مافي كل منها من معانٍ ومرامٍ دون أن يتوّج ذلك بالتحلّي بما يمكن التحلي به منها، والاستفادة من الباقي ومما تشير وتنبّه إليه.

أسماء الله الحسنى ليست أفكاراً ثورية، بل صفاتٍ نبيلةً، ومثلاً عليا. سامية الغايات، شريفة المقاصد وعالية المرامي، لأنها دروس في الأخلاق، تهذّب النفس وتجمّل الطباع. وشيوعها بين الناس يكفل تصحيح الأخطاء الإنسانية الحاصلة والمتكررة، لأنها قيم يضمن التمثل بها ولادة شخصية مطمئنة مستقرة متوازنة.

لا يمكن للمخلوق أن يكون كالخالق في صفاته، ولكن يمكن له أن يتمثل بهذه الصفات إلى حدٍّ ما، وعليه أن يسعى إلى أن يكون هذا الحد أعلى ما يمكن الوصول إليه، وإلى تحقيق ما يكفل له ذلك، إذ يمكن للإنسان أن يكون رحيماً بمقدار ما يملك من الرحمة، ملكاً بحدود ما يملك، قدوساً بقدر ما يسعى لتقديس نفسه. سلاماً بقدر ما ينقّي نفسه من الغشّ والعيب، عليماً بقدر ما يملك من العلم والمعرفة، رشيداً بقدر مايملك من الثقافة. وهذا كله يتطلب منه الإرادة، ومرشده في ذلك كله القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ، فيتلمّس بعدئذٍ الآثار السلوكية نتيجة التحلي بالأسماء الإلٰهية.

ومن الواجب أن يُشار هنا إلى وجود آيات في القرآن الكريم توحي بأنها خطاب موجه للنبي ﷺ، بينما هي موجهة للإنسان كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٣] ، فالخطاب للنبي ﷺ والمقصود به غيره من الناس، لأنه ﷺ معصوم من ذلك.

إن التفكر في أسماء الله الحسنى يورث تعظيم حضرة الله سبحانه وتعالى من جانب، لأن التفكر بالله وذكره ينبه القلب ويبعث فيه الحياة، ويعمل على تربية الإنسان من الجانب الآخر. فيصقل ذهنه، ويقوّم اعوجاجه، ويصحح سلوكه، ويهديه إلى طريق الخير، فإذا تمثل الأفراد بها شاعت روح الإنسانية في المجتمع.

فلنحاول جميعنا، أنا، وأنت يا أخي، وأَنْتِ يا أختي أن نتحلى بصفات الله تعالى قدر ما يمكننا ذلك مع السعي دائماً إلى المزيد، فالتمثل بها هو مركز إبداع الإنسانية، ولن نجد فيها وعظاً أخلاقياً فقط، بل قيماً تتجسّد حياةً فاضلة.

الرحمن

«بسم الله الرحمٰن الرحيم». بهذا الاستفتاح تبدأ كل سورة من سور القرآن الكريم عدا سورة التوبة (براءة) ويجتمع فيها اسمان من أسماء الله الحسنىٰ، رقيقان منتهى الرقة.

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، وهما مشتقان من الرحمة، التي تستدعي مرحوماً.

وهما من الرّحم. ومعناهما فيما ذكر أبو عبيدة: ذو الرحمة.

ورد اسم **الرحمٰن** في سبع وخمسين آية من القرآن الكريم، واسم **الرحيم** في خمس وتسعين، واجتمعا في ستٍ منها، فكان لاجتماعهما معنى بديع[١].

الرحمٰن الرحيم:

الرحمٰن اسم خاص لله تعالى، لا يسمىٰ به غيره ولا يوصف، **والرحيم** يوصف به غير الله تعالى[٢]، فيقال: رجل رحيم ولا يقال: رجل رحمٰن.

هناك فرق بين المعنيين، فالله هو **رحمٰن** الدنيا و**رحيم** الآخرة، ومفهوم الرحمٰن أوسع بكثير من مفهوم الرحيم. إحسانه في الدنيا يعم جميع الناس، المؤمنين والكافرين، بينما يختص في الآخرة بالمؤمنين ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ورد فضل صلة الرحم في حديث رسول الله ﷺ: «**إن الرحم شجنةٌ معلقةٌ بالعرش، تقول اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني**». وقال: «**قال الله تعالى لما خلق الرحم: أنا الرحمٰن وأنت الرحم، شققت اسمك من اسمي، فمن**

---

(١) ابن القيّم في بدائع الفوائد.

(٢) الشرباصي، د. أحمد. موسوعة له الأسماء الحسنى. ج ١ ص ٢٨.

وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته»[١].

وقال ﷺ: «**ما على الأرض من مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سرّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**»[٣].

فصلة الرحم واجبة على العباد جميعاً، وبخاصة من يعرف الرحمٰن ويؤمن به.

الرحمٰن:

قال الزّجاج[٤]: الرحمٰن اسم من أسماء الله مذكور في الكتب الأول، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله، وهو أخص من الرحيم. وكذلك قال الغزالي[٥]، اسم الرحمٰن أخص من اسم الرحيم.

كتب الله على نفسه الرحمة، ووسعت رحمته كل شيء، وتجلّت في مظاهر شتىٰ، وأهمها أنه أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧] . ومنها أيضاً مما ورد في القرآن الكريم ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [الـــــرُّوم: ٥٠] ، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإســـرَاء: ٨٢] ، ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القَصَص: ٧٣] .

وهو من الأسماء التي لا يجوز إطلاقها على غير الله تعالى ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسرَاء: ١١٠] . إلا أنه كثير الفوائد بالنسبة للإنسان، وأهمها ألا يقع الإنسان في الجهالة، فيبتعد عن أوامره ويقترف نواهيه معتمداً على رحمته، فهو أيضاً سريع الحساب، شديد العقاب. وليتذكر الإنسان يوم الحساب، فهو

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في البرّ والصّلة.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الأدب عن أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم في البرّ والصّلة.

(٤) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن السّري الزّجاج (٢٤١ـ ٣١١) هـ.

(٥) موسوعة سبق ذكرها، ج ١ ص ٢٨.

يوم عسير على الكافرين ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢٦] ، ففي ذلك اليوم لا يملك أحد لأحد شفاعة ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريَم: ٨٧] . في هذه الآية ذكر الله تعالى اسمه الرحمٰن، فلماذا لم يذكر اسماً آخر من أسمائه ما دامت جميعها تدل عليه في النهاية؟ لأنه يريد من العبد أن يعرف أنه ما من شفيع غيره، وإن شفاعته مرتبطة برحمته.

ولقد بين الله تعالى الطريق إلى كسب رحمته وضمانها فقال: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢] ودلنا على هذه الطاعة بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] . وهذا يُكسب المؤمن وداً من الله تعالى وعد به ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريَم: ٩٦] ، ودخولاً في رحمته ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ [الجَاثِيَة: ٣٠] التي توصلهم إلى جنات عدن وعد بها ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ [مريَم: ٦١] . فلا يجعلنّ المؤمن الشيطان ولياً لله ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريَم: ٤٤] فيقع في الضلالة، ويمكن أن يزيد الله له فيها ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ﴾ [مريم: ٧٥] .

لكن رحمة الله أوسع من هذه الضلالة، فقد تسنح حتى لمن وقع في الشرك أو الكفر، فالله تعالى يعطي فرصة لهؤلاء فلا ييأس من رحمته فيكون من الضّالين ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] ، لقد خاطب الله ﷻ عباده بهذا الشأن بواسطة النبي ﷺ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] .

وإنه لمن الخاسرين، من لم يغفر الله له ويرحمه ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣] ، فاغفر لنا يا رب وارحم، وبهذا أُمرنا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨] .

الرحيم

كل خير ونعمة أرسلها الله لعباده هي رحمة منه لهم. وكل ما هو سبب في دفع شقاء أو عذاب، أو ما يحقق حاجة من حاجات الإنسان، هو رحمة.

رَحِمَهُ لغةً: رقّ له وتعطف عليه فهو رحيم. والله تعالى رحيم، فعيلٌ بمعنى فاعل، وفعل الرحمة انعطافٌ يقتضي التفضل والإحسان والمغفرة.

ورحمة الله تامة وعامة، فهو الرحيم المطلق، تمامها من حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين، وعمومها من حيث شمولها للمستحق لها وغير المستحق..

تجلّت في صور شتى، مقترنة بالرأفة حيناً وبالعزة حيناً وبالتوبة حيناً وبالمغفرة في أكثر الأحيان.

ومن رحمته أنه أخرج الإنسان من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩] .

وبعث في الناس رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

وسخّر للإنسان ما في الأرض لمنفعته، والسفن تجري في البحر بأمره ومشيئته، ويحفظ السماء أن تقع على الأرض إلا بأمره وقدرته. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥] . ورحمته الواسعة كلها هي غيضٌ من فيض. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن

لله مائة رحمة، وإنه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة»[١].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثاً قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل**»[٢].

أمرنا الله تعالى أن نكون رحماء ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] كما كان أسلافنا من صحابة رسول الله ﷺ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩] «**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٣]، ولنا في الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، قدوة، وقد مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتْح: ٢٩]، وشبه رسول الله ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد «**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٤].

والرحيم منا من يرحم نفسه وغيره، قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة إلا رحيم**»، قالوا يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «**ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة، ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره**»[٥]. ومعنى رحمة الإنسان لنفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى، بترك المعاصي والتوبة عنها، وأداء الطاعات والإخلاص فيها، ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى في أذية مسلم.

إن كثرة الصلاة والصيام لا تضمن الجنة، عن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال[٦]: «**بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن يدخلونها**

---

(١) رواه البخاري في الأدب، ومسلم في كتاب التوبة وابن ماجه في الزهد، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) أخرجه الترمذي وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري والإمام أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٥) أخرجه الطبراني.
(٦) الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، بعناية محمد أديب الجادر، وعدنان عبد ربه ـ دار البشائر ص ٩٨.

بسلامة الصدور، وسخاوة النفوس، والرحمة لجميع المسلمين».

ورد اسم الرحيم ـ دون ما اشتق من هذا الاسم ـ في خمس وتسعين آية من القرآن الكريم[1]. ارتبط سبعة وخمسون منها بالمغفرة (غفور)، واثنا عشر بالعزة (عزيز)، وسبعة بالتوبة (التواب).

أما بالنسبة لعزته، فليخبر الله تعالى عن نفسه بأنه غني عن العصاة وعن إيابهم إليه، وأما بالنسبة للتوبة فليكرر قبوله توبة التائبين، وأما بالنسبة للمغفرة، فليطمئن من ظلم نفسه أو غيره كثير الاطمئنان، بأنه إذا تاب من أي ذنب اقترفته يداه، وأعاد الشيء إلى نصابه من بعد ارتكابه له وقبل أن يدان، وأصلح عمله فإن الله يقبل توبته، فهو غفور للمستغفرين ورحيم بالتائبين. ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٩] ، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠] ، والذين يعملون السيئات بجهالة ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤] . أو ارتكبوا إثماً مرغمين، غير متجاوزين حد الاضطرار المشروع، كالجوع مثلاً، فإن الله رحيم بهؤلاء، إذ رخّص لهم ذلك، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣] ، والنفس أمّارة بالسوء، فلا يبرّئن الإنسان نفسه من إثم ارتكبه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣] .

وليجهد الإنسان بألا يعتري رحمته لأخيه الإنسان شيء من الرِّقة المؤلمة عند قضاء حاجته، والله تعالى تنزّه عن مثل هذه الرِّقة، لأن رحمته للمرحوم هي لأجل المرحوم لا لأجل الاستراحة من ألم الرِّقة.

ويمكن أن تتجلى رحمة الإنسان لأخيه الإنسان في الوعظ والنصح

---

(١) انظر مادة رحم. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

للمخطىء لئلا يتعرّض لسخط الله، وفي قضاء حاجات الناس بقدر طاقته، وبالدعاء لأخيه في الشدائد وإظهار الحزن والتعاطف معه كأنه يساهم في مصيبته إذا لم يكن لديه ما يرحمه به.

إن الله غفور رحيم. قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩] بل هو ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

الملك

تعاريف الملك في اللغة متعددة، لكنها متقاربة وتصب جميعها في مصبّ واحد.

الملك لغةً: هو ذو السلطان والسيادة، وهو النافذ أمره في ملكه. قال الهدهد لسليمان: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النّمل: ٢٣] أي تحكمهم. وقال أصحاب المعاني: الملك: هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج إليه كل موجود، وهذا هو الملك المطلق، الملك العام، ولا ينطبق هذا التعريف إلا على الله تعالى، لأنه وحده الذي يستطيع إنفاذ أمره وتصرفه بكل ما يملك. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]. وهو الملك والمالك والمليك في الدنيا وفي الآخرة. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عِمرَان: ٢٦] و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: ٤].

الملك بالنسبة للإنسان نوعان: مادي ومعنوي، لأن له حاجات مادية وأخرىٰ معنوية (عاطفية)، وإن اسم الله **الملك** يفيده في التنبه إلى أمر نفسه في قضية الملك في هذين المنحيين إذا أتيح له أن يكون مالكاً في الدنيا ليكون ملكاً في الآخرة.

الملك المادي:

لقد تفاوت الناس في مثل هذا الملك في الدنيا، فمنهم من دخل إليها وخرج منها ولم يملك من هذا النوع من الملك إلا النزر اليسير بالنسبة لغيره، ولله تعالى حكمة في ذلك ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والمالك من الناس في الدنيا هو المالك لا بقدر ما يعطيه الله من الملك، بل في حدود ما يستطيع إنفاذ أمره وتصرفه فقط فيما يملك، وهذا هو نصيبه الحقيقي في ملكه.

الرسول ﷺ نفسه لم يكن يملك لنفسه نفعاً (مادياً أو معنوياً)، أو يملك أن يرد عن نفسه ضرّاً (مادياً ومعنوياً كذلك)، أرادهما الله له إلا ما شاء له في ذلك، فيلهمه إياه ويوفقه إليه.

وقال الله تعالى للرسول أن يقول ذلك تنبيهاً للناس، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعـــراف: ١٨٨] ، و﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩] .

وما من مالك عاقل إلا ويعرف أن ملكيته عارضة مؤقتة، تزول عنه بموته، وعلى من يعي ذلك من الناس أن يخشوا الله فيما آتاهم من هذا الملك، وأن يتدبروا أمره تعالى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

وأن يخشوا يوماً يُرجعون فيه إلى الله، ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غـافـر: ١٦] ، ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله ﷻ الأرض يوم القيامة، ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك فأين ملوك الأرض؟**»[(١)].

وعلى هؤلاء أن يسعوا كذلك إلى بذل بعض مما يملكون في سبيل الخير ومساعدة الفقراء، وهذا باب من أبواب البر. ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] ، والبر يؤدي إلى التقوىٰ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩] ، والتقوى نهايتها الجنة ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣] .

عن أبي واقدٍ الليثي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»[(٢)]. وإقام الصلاة يعني بناء المساجد، وهذه من صفات المؤمنين ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

(١) أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] ، وإيتاء الزكاة يعني التوسع على الفقراء بالمساعدة لكي لا يكون في المجتمع فقير أو محتاج.

الملك المعنوي (العاطفي):

إن هذا النوع من الملك أرقى من النوع السابق. وشتان بين مالكين من الناس، أحدهما غني في المال وفقير في النفس، والآخر فقير في المال وغني في النفس.

قال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنما الغنى غنى النفس**»[١].

وقال أحد الحكماء يوصي أحد الناس: كن ملكاً في الدنيا تكن ملكاً في الآخرة. قال كيف؟ قال الحكيم: بأن تقطع طمعك وشهوتك عن الدنيا، فإن الملك في الحرية والاستغناء، تكن ملكاً في الآخرة[٢].

فالملك من الناس من يملك قلبه وعواطفه وهواه ورغباته وحواسه، فإن استطاع أن يملكها فعلاً، بأن يتحكم بها ويوجهها في طريق الخير، ولا تتحكم به وتوجهه في طريق الشر والمعصية، نال درجة الملك.

ولا شك أن هناك عوامل وظروف تحقق له، أو لا تحقق له ذلك. وأهمها الظروف النفسية (من الداخل)، فهو المسؤول عن استقرارها بالإرادة التي تمكنه من التحكم بها، والظروف الاجتماعية (من الخارج)، والمجتمع هو المسؤول عن تحقيقها للفرد.

ولنا في يوسف مثال وقدوة: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١] ، والمراد بهذا الملك هنا، سيطرته على نفسه حيث لم يطع شهوته حين راودته امرأة العزيز عن نفسه.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الموسوعة. ج ١ سبق ذكرها ص ٤٣ بتصرف.

القــدّوس

القدّوس: من قَدُسَ، أي طَهُرَ **والقداسة**: الطهر والبركة.

والمقدس: المبارك. **والتقديس**: التطهير.

ورد اسمه القدّوس مرتين فقط في القرآن الكريم.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ [الجُمُعَة: ١].

لكن معناه كبير جداً. فهو اسم يؤدي التخلّق به إلى الطهارة ويستنار به إلى تجنب الخبائث. وطريق كل منهما طويل، وله أشكال كثيرة.

القدّوس: هو المنزه عن كل نقص وعيب، وبهذا التعريف هو الله ﷻ ويجب على الإنسان من كل باب أخلاقي أن يقدّس الله ﷻ، وأن يسعى ما استطاع لتقديس نفسه، أي تطهيرها وتبريكها.

في تقديس الله:

الله غني عن العالمين، وعن تقديسهم له. فهو **قدّوس** في كنهه. في قصة الخلافة[1] قالت الملائكة لله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي ننزهك عن كل ما لا يليق بك. ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [تتمة الآية السابقة]. لله في خلقه شؤون. هل نجرّب مرة أن نقول كما قالت الملائكة؟ فمن العقيدة أن ننزه الله تعالى عن كل وصف لا يليق بذاته وكمال صفاته الجليلة. فكيف ننزهه؟

---

(١) راجع إن شئت، قصة الخلافة في فصل: الإنسان في القرآن الكريم من هذا الكتاب.

ننطلق من أنه لا حدود لكماله. فهو **الله**، **الكبير** المطلق، **العظيم** المطلق، **العليّ** الذي يعجز حسّ أحدنا عن إدراكه، وخياله عن تصوّره، وضميره عن الاختلاج به، وتفكيره عن الوصول إليه، فهو تعالى بخلاف كل ما يخطر في البال والتصوّر.

في تقديس النفس:

الكمال في حق الإنسان محدود، لأنه مخلوق، ولأن نفسه أمّارة بالسوء، وفي ذلك باعث للإنسان لأن يحاول أن يتنزه عن النقائص والعيوب، في نفسه وفي ما يملك. في علاقته مع الله، وعلاقته مع الناس.

وأيٌ مما يحققه لنفسه من ذلك هو مكسب له.

لكي يلقى الله ﷻ طاهراً نظيفاً ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨]، ويوم ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢]، فيجب عليه أن يطهر نفسه لله تعالى.

ومن ظلم الإنسان لنفسه أن يلاقي ربه وهو على غير الطهارة. وأركان الطهارة كثيرة، وليس من الصعب أن يلامسها وأن يتحد بها، ويكفي لتحقيق ذلك أن يجانب أركان الخباثة وأن يبتعد عنها.

فيطهر قلبه عن الحقد والحسد.

وعقله عن التفكير في الرذائل.

وعلمه عن الغيبيّات والموهومات.

وإرادته عن كل لذّة غير مشروعة، في مطعم أو مشرب أو منكح.

وماله عن كل حرام. حتى لو كان ماله حلالاً فيتطهر به من الذنوب بالصدقات. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] محمد الجسد، طيّب الله ثراه، مات، لكن محمداً النبي ﷺ باقٍ فينا.

ورد في الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال: «**نظفوا أفواهكم، فإنها مجاري**

---

(١) أخرجه مسلم والإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها.

القرآن»[١] وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه مثنياً على ربه: «**سبّوح قدّوس، رب الملائكة والروح**»[٢].

إن الإنسان ليرقى بنفسه في الطهارة، وإن المجتمع يرتقي بهذا الإنسان، ولم يفت قطار غير الطاهرين بعد، فالتوبة لهؤلاء التوبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢].

(١) أخرجه مسلم والنّسائي وأبو داود والإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها.

السّلام

الله **سلامٌ**، لسلامته من كل عيبٍ ونقص، وفناءٍ وشرّ.

هو **السلام** ومنه **السلام**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول بعد الصلاة: «**اللّهم أنت السلام ومنك السلام. تباركت وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام**»[1]. وسمى الدار الآخرة، الجنة... دار السلام. ودعا الإنسان إليها. ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يُونس: ٢٥] ، وبيّن الطريق إليها. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] .

والإسلام دين بناء يبدأ من الإنسان الفرد، فهو يبنيه خلقاً وتربية وسلوكاً، علماً وثقافة ومعرفة، وعياً عميقاً شمولياً، حياة وقوة وصبراً، صموداً وجهاداً ونضالاً، محبة وإخاء وتعاوناً، وسلاماً، تضامناً ووحدة واتحاداً[2].

إن هذا البناء يكفل أيضاً بناء الأسرة على هذه المعاني العظيمة، التي تكفل أيضاً بناء المجتمع الواحد على أعظم الأسس وأمتن القواعد وأرقى المبادىء وأفضل العقائد، وهو الطريق لبناء المجتمع الإنساني الواحد. فالإسلام دين الفطرة السليمة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥] ، الذين يستوجبون العذاب الأليم.

وهو دين الهداية، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠] .

يتجه **السلام** في الإسلام إلى عدة اتجاهات، تحقق جميعها الخير للفرد وللمجتمع **منها**:

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) عبد الواحد، راتب. إن الدين عند الله الإسلام، ص ٣٢.

أن السلام يعني السلامة، سلامة الفرد وسلامة المجتمع، والمسؤولية عن تحقيق كلتيهما متبادلة بينهما، ولكنني أرى أن مسؤولية الفرد أكبر، فإن استطاع أن يحقق السلامة لنفسه سلم المجتمع.

سلامة الفرد:

إن تدبّر القرآن والسّنة، وتنفيذ تعاليمهما تكفل سلامة الفرد، وهي تتحقق له بالعمل على أن تسلم نفسه من الآثام والمحظورات والمُصيبات، وتتحقق له حين يعمل على أن يسلم عقله من أسر الشهوة والغضب، وحين يكفّ عن القيام بكل حرام لا يحقق منه خيراً لنفسه.

وتتحقق له حين يخلص في دينه وعبادته لربه وهو محسن، فله أجره عند ربه، أي ثواب إيمانه بالله وطاعته له. ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١١٢] . ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النّساء: ١٢٥] في عمله؟ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمَان: ٢٢] ، لأنه أخذ من الله موثقاً بأن لا يعذبه في الدار الآخرة، شرط ألا يمنّ بإسلامه على أحد. ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ [الحُجرَات: ١٧] .

ويقول الله تعالى أيضاً:

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨] أي العمل بجميع أحكام الإسلام، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: ٣٤] (١).

بهذه السلامة يجب على الفرد أن يلقى ربه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

والسبيل إلى هذه السلامة هي الاستقامة على أوامر الله ونواهيه واتباعِ سنّة

(١) المُخبتون: المطيعون المتواضعون.

نبيّه الكريم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فُصّلَت: ٣٠].

سلامة المجتمع:

يسلم المجتمع بسلامة أفراده، وتسلم المجتمعات بسلامة كل مجتمع. وتبدأ هذه المسؤولية من سلامة قلب الفرد وجوارحه تجاه الآخرين من أبناء المجتمع الذي ينتمي إليه، ولهذا كانت مسؤوليته أكبر، فيسلموا من كل غشٍّ وحقد وحسد، وشرّ يصيبهم منه، وهو بهذا يكون مسلماً.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»(١). وفي رواية أخرى: «**من سلم الناس من لسانه ويده**».

ومنها:

أن السلام يعني الأمن والأمان، إنْ في علاقات الفرد مع غيره من الأفراد، أو في علاقات المجتمع مع غيره من المجتمعات.

ودلّنا الرسول الكريم ﷺ على ذلك، فأوصانا بإفشاء السلام، فقال: «**يا أيها الناس أفشوا السلام بينكم**» (٢) (يا أيهاالناس....)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال: أي الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٣).

والسلام حالة تضمن الأمن والأمان من الحرب. فإذا حدثت خصومة بين فردٍ وآخر، أو بين مجتمع وآخر، فالله تعالى أمر بالجنوح إلى السلم، فقال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفَال: ٦١]. أي إذا مالوا للصلح وللمسالمة بدل الحرب فمل إليها وخذ بها، وفوّض أمرك إلى الله فيما عقدته

(١) أخرجه الترمذي والنسائي، والبخاري في الرقاق عن عبد الله بن عمر ﷺ، ومسلم في الإيمان.
(٢) أخرجه الترمذي، ومسلم عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري والنسائي ومسلم وأبو داود والإمام أحمد عن ابن عمرو بن العاص.

معهم. ولكن السلام غير الاستسلام، فالمقصود أن تجنح لسلم الحق والشرف، لسلم العزّة والكرامة، والسيادة، المزيّن بالسماحة والرحمة، لا لسلام الذلة والمسكنة.

ومنها:

أن السلام يعني التحية. وخير التحية هي التي نلقيها على نبينا محمد ﷺ فالله أخبر عباده عن منزلته ﷺ في الملأ الأعلى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وصلاة الله على النبي ﷺ ثناء ورحمة، وصلاة الملائكة عليه ﷺ دعاء واستغفار، فإذا سلمنا نحن عليه اجتمع عليه الثناء من أهل الأرض وأهل السماء.

ومن خير السلام أيضاً أن نسلم على أهل بيتٍ ندخله بعد أن نستأنس، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور: ٢٧]. فالسلام على أهل البيت واجبة ولو كانوا من الأقارب أو من ذوي الأرحام.

فإن دخلنا بيوتاً رُخّص لنا دخولها ولم نجد أحداً فيها فنسلّم على أنفسنا، تحية من الله مشروعة بأمره، مباركة تطيب بها النفس ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ﴾ [النور: ٦١].

وللسلام شعاب أخرى لا تخفى عن إدراك كل عاقل.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦]، ويخاطب الله أهل الجنة قائلاً: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، أي تحية لكم قولاً صادراً من رب رحيم بكم، فيدعو المؤمنون الفائزون: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

فما أجمل السلام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٢].

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

المـؤمـن

تتجلى في اسم **المؤمن** صفات الإيمان والأمن والأمان.

والمؤمن: هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان، بإفادته أسبابه وسده طرق المخاوف، ولا يتصور أمن أو أمان إلا ويكون مستفاداً من جهة الله تعالى، ولذلك فهو **المؤمن** المطلق.

الأبيض لا يظهر بغير الأسود، والخير لا يظهر بغير الشرّ، ومثلهما الأمان، لا يظهر بغير الخوف.

إن أصل الإيمان وحقيقته هو التصديق والثقة، فالمؤمن هو المصدق.

ورد اسم المؤمن في خمس عشرة آيةً من القرآن الكريم[1]، اختصّ الله سبحانه وتعالى بواحدة منها فقط. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحَشر: ٢٣] ، بينما وردت الباقية في وصف الإنسان المؤمن.

فالله **مؤمن** والعبد مؤمن أيضاً، ولكنهما إذا اشتركا بهذا الاسم فإن ذلك لا يعني أنهما يشتركان في المعنى أيضاً. فالله هو **المؤمن** المطلق، أما الإنسان فعليه السعي إلى بلوغ ما استطاع من الدرجات في سبل الإيمان كلها ليصبح مؤمناً كما وصفه الله تعالى، وكما طلب إليه أن يكون.

وأحق العباد باسم المؤمن من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريقه ﷻ، والإرشاد إلى سبيل النجاة، وهذه حرفة الأنبياء والعلماء.

الله المؤمن:

الله **مؤمن** وليس لصفته هذه نقيض.

---

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وقد يسأل سائل: كيف يكون الله مؤمناً؟ وبماذا؟ إن المعنى بالنسبة لله يختلف عنه بالنسبة للإنسان، فالله مؤمن من حيث أن الناسَ أمنوا من ظلمه، والمؤمنين من عذابه ومن عقوبته.

وقيل[١]: إنه مؤمن لأنه صدق نفسه وصدق أولياءه، وتصديقه هو علمه بأنه صادق وبأنهم صادقون. وفي تفسير القرطبي: إنه المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم.

الإنسان المؤمن:

ولهذه الصفة في حق الإنسان نقيض وهو الكفر. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يُونس: ٩٩]. فللَّه حكمة في ذلك وإرادة به، وإذا كان الكفر يدخل في مرادات الله ﷻ، فإنه لا يدخل في ما يرضيه[٢].

يجب على الإنسان أن يسعى في طريق الإيمان مبتدئاً بالتفكر حتى تتشكل لديه العقيدة الصحيحة، فيصبح مؤمناً، ويأمن الناس جانبه.

وماهية الإيمان هي الإقرار والمعرفة والخضوع، وترك الاستكبار واجتناب الكبائر.

وإثباته طاعة الله ورسوله. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، فيما تؤمرون به وتُنهون عنه. والطريق إلى ذلك هو الخوف من الله تعالى بجميع الجوارح. فالخوف من الله يردع الإنسان عن ارتكاب الذنوب خشية انتقامه. ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦]، والإيمان بالله يقطع الخوف، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المَائدة: ٦٩].

ويجب أن يكون الإيمان منطلق تصرفات الإنسان. وهو ظاهر وباطن. أما

---

(١) موسوعة له الأسماء الحسنى، ج ١ ص ٦٢ بتصرف.

(٢) كبرىٰ اليقينيات الكونية، سبق ذكره، ص ١٥٧.

الظاهر، فالنطق باللسان، وأما الباطن فالاعتقاد بالقلب.

وشعب الإيمان كثيرة، تشمل علاقة الإنسان بنفسه، سكناته وحركاته، وتشمل علاقته مع الآخرين، وكذلك علاقته مع ربه، فمن تحقق له الإيمان بها كان من الأعلين. ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٩] ، وهؤلاء يتولاهم الله، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٨] ، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧] .

ولكن الإيمان لا يكفي دون عمل. الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [البَقَرَة: ٨٢] .

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [النِّساء: ٥٧] .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩].

والخطر كل الخطر، أن يقول المؤمن ما لا يفعل. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٢، ٣] .

والإيمان عكس الكفر. الإيمان يؤدي إلى البر والتقوى والصلاح، والكفر يؤدي إلى مهاوي السوء، ومنها الفسوق والنفاق.

وصف رسول الله ﷺ المؤمن بأنه لا طعّانٌ ولا لعّانٌ ولا بالفاحش ولا بالبذيء. ووصف المنافق بعلامات تدل عليه. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(١). والفرق بين المؤمن والكافر كبير، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة: ١٨] . وهؤلاء الكفرة لا يضرون الله شيئاً. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عِمرَان: ١٧٧] ، ولهم عذاب أليم إن أرادوا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩] ، ولمن أراد من هؤلاء التوبة، فالله رحمٰن رحيم، غفور تواب. ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨] .

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣] .

المهـيـمن

المهيمن عند الإمام الغزالي: هو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم. وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه. وكل مشرفٍ على كنه الأمر مستولٍ عليه، حافظ له فهو مهيمن عليه[1].

والجامع لهذه المعاني كلها هو الله **المهيمن** ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ورد اسمه تعالى **المهيمن** مرة واحدة في القرآن الكريم، ومن مشتقاته اللغوية لم يرد غير كلمة **مهيمناً** ولمرة واحدة أيضاً، ونزلت في حق القرآن الكريم. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ومعناها أنه الكتاب الرقيب على ما سبقه من الكتب السماوية.

هذا بالنسبة لله تعالى، أما بالنسبة للإنسان، فإن هذا الاسم يوجهه إلى واحدة من الفضائل الإنسانية، وهي الهيمنة على النفس.

أسباب الهيمنة هي:

١ ـ الاطلاع.

٢ ـ والاستيلاء.

٣ ـ والحفظ.

حسب تعريف الغزالي السابق.

والاطلاع من العلم: أي معرفة الإنسان بما في سرائر نفسه نتيجة مراقبته

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٤١٠.

لها والدخول في أغوارها واستعلام أسرارها.

والاستيلاء من القدرة: فإذا عرف الإنسان مافي نفسه، أطلق العنان لما كان منها في الله ولله، في الخير وللخير، وحبس غيرهما مما هو للشيطان وللشر، من الهفوات والشهوات، فيقومها ويعيدها إلى نصابها بالإيمان الكامل بالله وبالطاعات، وذلك بعد أن يهيمن على الانحرافات الناجمة عن جسده وقلبه وعقله.

والحفظ من العقل: فإن استقامت نفسه كلها لله وللخير فإنه يجعل عقله السليم حاكماً عليها فيحفظها من كل سوء أو شرّ يوسوس لها الشيطان به.

ومن آداب من يعرف معنى هذا الاسم كما ذكر القشيري في كتابه التحبير في التذكير[١] أن يكون مستحيياً من اطلاع الله **المهيمن** عليه ورؤيته له، وهذه هي المراقبة عند أهل التحقيق. ومعناها علم القلب باطلاع الرب. وإن المتخلق بهذا الاسم من الناس يكون كثير المشاهدة لله ولنفسه وكثير الخوف من الله تعالى.

«فإذا اتسع إشرافه واستيلاؤه حتى قام بحفظ بعض عباد الله على نهج السداد بعد اطلاعه على بواطنهم وأسرارهم بطريق التفرّس والاستدلال بظواهرهم، كان نصيبه من هذا المعنى أوفر»[٢].

(١) الموسوعة، ج ١ سبق ذكرها، ص ٦٧.

(٢) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ٧٣.

العـزيـز

الله تعالى صاحب قوة وغلبةٍ لا يُقهر، منيع ممتنع لا يطاله أحد في نفع أو أذىٰ. تشتد الحاجة إليه ولا يحتاج لأحد. قوي جبار مقتدر ذو انتقام، لا يعتريه خوف من أحد، وذلّ لعزته كل مخلوق.

إنـه هـو **العـزيـز** الـحـق. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] ، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: ٦٢] .

وفي هذا الاسم دروس كثيرة للإنسان.

العزيز في اللغة:

هناك عدة معان للعزيز والعزة ومشتقاتهما[١]. ولقد تنوعت في المعنى بحسب التنويع في عين المضارع من عزّ[٢].

عزّ يعُزّ: بضم العين في المضارع: غلب، يغلب.

وعزّ يعِزّ: بكسر العين في المضارع: يقل مثله.

وعزّ يعَزّ: بفتح العين في المضارع: لا يوصل إليه.

وهذا من دقائق اللغة ولطائفها.

ورد اسم الله **العزيز** في ثلاث وثمانين آيةً من القرآن الكريم[٣].

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره. ص ٢٨٩ وما بعدها.

(٢) الموسوعة، ج ١ سبق ذكرها: ص ٦٩.

(٣) وردت كلمة العزيز في اثنتين وتسعين آية بحسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. تسع منها في غير الله تعالى. مرة مثلاً في حق الرسول ﷺ، مرتان في حق عزيز مصر، مرتان في حق امرأته . . .

الله العزيز:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠] .

اقترن اسمه **العزيز** باثنتي عشرة صفة. مع الحكيم في اثنتين وأربعين آية، ذو انتقام في أربع آيات، ومع العليم في ستٍّ منها، ومثلها مع القوي، وفي ثلاث آيات مع الحميد، وفي ثلاث عشرة مع الرحيم، ومع الغفور في آيتين، ومع الغفّار في ثلاث، وفي آيةٍ واحدة مع كل من الوهاب والكريم والمقتدر والجبار.

وقد أُتبعت هذه الصفات جميعاً به فوردت بعده عدا صفته القوي، فقد سبقته، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ربط العزة بالقوة.

ووردت صفته **عزيزاً** في ست آيات أخرى[1]. حكيماً في خمسٍ منها، وقوياً في واحدة.

من الدروس التي نتعلمها في هذا الاسم أن العزة تستلزم تحقيق القوة، وهذه هي الإشارة إلى أهمية القوة لتحقيق العزة، القوة في كل شيء، للفرد وللمجتمع. القوة في العلم، وفي النفس، علو الهمة، القوة الاقتصادية، القوة العسكرية، والقوة السياسية، وغيرها، وقبلها جميعاً: القوة الأخلاقية.

الله **عزيز** لأنه قوي لا غالب له. فالقوة شرط لتحقيق العزة، وهذه هي الصفة التي سبقت هذا الاسم.

أما باقي الصفات فقد وردت بعد اسمه العزيز. وفي هذا درسٌ آخر. لتبيّن لنا أن تصرفه باسمه **العزيز** إنما يكون بالحكمة والعلم، والرحمة والمغفرة وغيرها. فهو **عزيز**، ومقتدر على كل ذلك، ولكنه لمن لم يؤمن من الناس **عزيزٌ** جبار ذو انتقام.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّافات: ١٨٠] .

الإنسان العزيز:

العزّة من الله تعالى، يعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ

(١) هي سبعة في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. واحدة منها في النصر.

مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٦] . ومن اعتزّ بغير الله ذُلّ.

من الناس من اتخذ الأصنام آلهةً من دون الله فعبدوها ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريَم: ٨١] ، ومنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّسَاء: ١٣٩] . وصف الله الأعزّة من المؤمنين بأنهم، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥٤] .

والعزيز من عباد الله الذي يستحق هذا الوصف هو الذي يعتز بالله وحده. وقيل: إنه من يحتاج إليه عباد الله في التوجيه إلى الخير[١].

والعزيز من عباد الله هو من يحتاج إليه العباد في أهم أمورهم. وهذا مما يقلّ وجوده ويصعب إدراكه. وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم في عصره[٢].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنَافِقون: ٨] ، فالعزة هنا لله تحقيقاً، ولرسوله فضلاً، وللمؤمنين.. ببركة إيمانهم بالله ورسوله ﷺ.

ولا تناقض في قوليه تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠] ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنَافِقون: ٨] . لأن العزّ الذي للرسول وللمؤمنين هو في الحقيقة ملك لله ومخلوق له. وعزّة سبحانه وتعالى هو المصدر لكل عزّ. وعلى هذا فالعزّ كله لله[٣]، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: ١٠] .

ويحذّر القرآن الكريم من لا يتّقي الله وتأخذه العزّة بالإثم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٦] .

إن الغنى غنى النفس، وغنى النفس من العزة، فمن الفقراء أعزّة، تحسبهم أغنياء من التعفّف ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٤] [البَقَرَة: ٢٧٣] .

---

(١) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره، ص ٢٦.
(٢) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ٧٤.
(٣) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ٧٢ بتصرّف.
(٤) أي إلحاحاً لعفّتهم، المختار في تفسير القرآن الكريم.

الجبـار

الجبّار: هو العالي المتسلّط، علا فوق خلقه وقهرهم على ما أراد، ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد، ولا يفلت من عقابه ظالم جبار، والعتوّ هو الاستكبار وتجاوز الحد. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

الجبار في اللغة[1]:

الجبّار من الجبر: بمعنى الإصلاح.

الجبّار: من العلوّ والعظمة والقوة.

الجبّار: من الإجبار بمعنى الإكراه.

وجميع هذه المعاني تصحّ على الله تعالى.

والجبّار صيغة مبالغة من جَبَرَ، وهي صفة محمودة لله تعالى. أما بالنسبة للإنسان فقد تكون في صيغة المدح أو في صيغة الذمّ، بحسب موقعها من نفسه وتصرفه بها.

مدحاً في الإنسان:

هناك عدة حالات يكون فيها الإنسان جباراً مدحاً. يقول الغزالي: الجبار من العباد هو من ارتفع عن الأتباع ونال درجة الاستتباع، وتفرّد بعلوّ رتبته بحيث يجبر الخلق على الاقتداء به، ومتابعته في سمته وسيرته. فيفيد الخلق ولا يستفيد، ويؤثر ولا يتأثر[2].

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ١٣٨.

(٢) الموسوعة، ج ١ سبق ذكرها، ص ٧٧.

وقد حظي النبي محمد ﷺ بهذا الوصف، وقال في ذلك: «**لو كان موسىٰ بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي، وأنا سيد ولد آدم، ولا فخر**»(١).

والجبار من العباد أيضاً، الإنسان الذي يكون جباراً على نفسه، شديداً على الكفر والمعصية، متيقظاً في دقائق الأمور، متنبهاً عن وساوس الصدور، فيقبل على تربية نفسه فيجبر نقائصها.

ذماً فيه:

ومن الحالات التي يكون فيها الإنسان جباراً ذماً:

١ ـ عصيان الله ورسوله واتباع أمر كل جبار عنيد. ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: ٥٩].

٢ ـ الجدال في آيات الله جدال تعنّت وإصرار وجحود. ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

٣ ـ أن يتجبر على سواه بغير حق، فليس هذا من خلق المؤمنين. والنتيجة الآية السابقة.

٤ ـ حين يكون عاتياً متمرداً على نفسه وعلى غيره وعلى الله، باغياً بغير حق، لا تدخل قلبه الرحمة. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

والجبرية طائفة تقول إن الله أجبر العباد على الذنوب، أي أكرههم. ومعاذ الله أن يُكره أحداً على معصيته(٢).

ولقد جاء في الحديث أن النار قالت: «**وُكّلت بثلاثة، بمن جعل مع الله إلٰهاً آخر، وبكل جبار عنيد، والمصورين**»(٣).

فليحذر جبار الأرض من جبار السماء.

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد.

(٢) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها. ص ٧٦.

(٣) رواه أحمد في المسند والترمذي.

قال المسيح عليه السلام: «طوبىٰ لمن علّمه الله كتابه، ثم لم يمت جباراً». ولا يذهبنّ الرجل بنفسه لئلا يكتب من الجبارين لقول رسول الله ﷺ: «**لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب**»[1].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البرّ والصّلة عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

المتكبّر

تكبّر الله لأنه تعالى عن صفات الخلق واستغنى عنهم، له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله. ولهذه الأسباب وغيرها فالله هو ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] . وهي صفة محمودة تعالى لأن تكبّره هو استحقاق له لصفات علوّه وتقدّسه عن النقائص.

ومن عرف الله ـ علوَّه وكبرياءَه ـ لازم طريق التواضع، وإلا كان متكبراً، وهي صفة ذمٍ للإنسان ما لم يكن تكبره بالحق.

حتى تكبر الإنسان بالحق... فإنّه لا يعني التعالي على الناس، إلا على المتكبرين منهم، وبالحق أيضاً.

وإن دوام التكبير واستمرار التعظيم حق لله في قلب كل مؤمن. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي**»[1].

ولقد ذمّ الله الكبر في مواضع عدة من القرآن الكريم، وكلَّ جبار متكبر. فقال للذين يتكبرون في الأرض بغير الحق: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، أي سيمنعهم عن فهم آياته والإيمان بها. ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠]. ولمن يستكبر عن عبادته قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .

وللذين كذبوا بآياته واستكبروا عنها قال:

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

إن تكبر الإنسان رذيلة وبيلة تؤدي إلى جملة من عظائم الذنوب[١].

ولقد ورد في كتاب (الأنوار القدسية)[٢] إن الذنوب ثلاثة أقسام: ذنوب جبروتية، وذنوب إبليسية، وذنوب حيوانية.

الذنوب الجبروتية: هي أن يدّعي العبد أن له صفة من صفات الرب مثل العزة والعظمة والكبرياء والقدرة والملك فمن ادّعى ذلك فقد شارك الرب في صفاته، وخير دواء لذلك أن يتذكّر المخلوق أنه جاء من مجرى البول مرتين وأن نهايته رقدة في التراب.

أمّا الذنوب الإبليسية: فأساسها الحسد وحب الرياسة وحب الذات، وهذه الأمراض يعسر علاجها في أصحابها إلا لمن سبقت لهم العناية.

والذنوب الحيوانية: هي ما تكون بدافع الشهوة وقاهر الطبع، مثل السرقة والزنى.

قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان**»[٣].

وعند أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صور الذّر، تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى**»[٤].

وقد قيل: «**طوبىٰ لمن تواضع في غير مسكنة**».

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسرَاء: ٣٧].

---

(١) أسماء الله الحسنىٰ وخواصها، سبق ذكره، ص ٣٠.

(٢) ولي، محمد، أسماء الله الحسنى وخواصها. ص ٣٠.

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة عن ابن مسعود. وأبو داود وابن ماجه في المقدمة والزهد.

(٤) أخرجه الترمذي عن عبد بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، والإمام أحمد.

الخـالـق

نحن أمام أربع وأربعين ومائتي آيةً من القرآن الكريم، ورد فيها فعل الخلق ومشتقاته اللغوية[1]. **الخالق** في ثمانٍ منها، وهي في حق الله سبحانه وتعالى. أما الباقيات جميعها فهي في اسم المفعول من خَلَقَ ومشتقاته. وهي المخلوقات: الإنسان، السماء، الأرض، الجنّ، الليل والنهار، الشمس والقمر، الحيوان، . . . ولقد ذكر الإنسان فيما زاد على مائة وثمانين منها، لأنه محور الخلق، ولأن جميع المخلوقات في الأرض قد خلقت من أجله. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩] . فمن أين نبدأ؟

لا بد أولاً أن نفهم معنى الخلق، وأصله وشرطه.

لقد وردت تعاريف الخلق في عدة مصادر على أنها لفظ مشترك في معان. فيكون بمعنى التصوير، ويكون بمعنى الاختراع أو الإبداع. وأنه في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير النشء. والخالق فيها هو المخترع الذي أظهر الموجودات بقدرته هو دون معين.

وأصله التقدير، وشرطه أن يكون من العدم، فما يخرج من العدم إلى الوجود هو خلق يفتقر إلى التقدير وإلى الإيجاد على وفق التقدير **(البارىء)** ثم إلى التصوير **(المصوّر)**

إن هذه الأسماء، **الخالق والبارىء والمصور**، غير مترادفة، وهناك فرق في معنى كل منها عن معنى الآخر. فالله **خالق** من حيث أنه مقدر، **وبارىء** من

---

(١) بحسب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. هذا عدا ست عشرة آية أخرى من هذه المشتقات ليس لها معنى الخلق الذي في حق الله تعالى، فمثلاً كلمة خلاق في أربع آيات ومعناها حظ أو نصيب. وكلمة خُلُق في آيتين، ومعناهما: دين في واحدة [الشعراء: ١٣٧] وأدب في الثانية [القلم: ٤]. وكذلك كلمة أخلق وتخلق في آيتين ومعناها: أصوّر وتصوّر.

حيث أنه موجد ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب[١].

يقول الله تعالى في بعضٍ مما خلق:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

فما معنى يعقلون في هذه الآية؟ والمقصود بهم ذوو العقول من المخلوقات، أي الإنسان المكلف.

«إن في خلق السموات والأرض»، وما بينهما من عجائب صنع الله. «وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ» في الطول والقصر، والنور والظلمة، وتعاقبهما، «والفلك» السفن، «التي تجري في البحر بما ينفع الناس» كركوبها، وحمل سلعهم عليها، وما أنزل الله من السماء من ماء» أي من المطر ونحوه، «فأحيا به الأرض» بالنبات، «بعد موتها»، أي بعد جفافها وقحطها، «وبثّ» أي فرّق ونشر «فيها من كل دابة»، من جميع أنواع الحيوانات لتحيا فيها، «وتصريف الرياح»، تسييرها في كل الاتجاهات، «والسّحاب المسخّر» المسيّر بأمره تعالى «بين السماء والأرض». إن في كل ذلك «لآيات»، لدلالات على وجود الله ﷻ ووحدانيته «لقوم يعقلون»، أي يتفكرون فيستدلون على قدرته تعالى[٢].

فلننظر إلى بعض مخلوقاته، ونتفكّر.

السماء: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠].

والأرض: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

الليل والنهار: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ٧٥.

(٢) الصبّاغ، د. أحمد إسماعيل. المختار من تفاسير القرآن الكريم.

الماء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفُرقان: ٥٤] .

الحيوان: فمنهم الطائر ومنهم الزاحف. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النُّور: ٤٥] منهم من يموت غرقاً داخل الماء، ومنهم من يموت خنقاً خارجه.

فأي خلق عجيب خلقه الله؟

لقد اكتسبت «دولّلي» ـ النعجة المستنسخة ـ شهرة عالمية واسعة في هذا العصر، إلا أن أحداً لم يتجرّأ على القول بأن الإنسان قد خلقها، بل استنسخت استنساخاً عن نسخةٍ سابقة، وهذا توكيد على أن شرط الخلق أن يكون من العدم. ولا يمكن للإنسان أصلاً مجاراة الله تعالى في الخلق، ونبّه الله ﷻ إلى استحالة أن يخلق الإنسان ولو ذبابة صغيرة الحجم حقيرة الشأن، ولو اجتمع علماء الأرض كلّهم لذلك. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحَجّ: ٧٣] .

ولقد خلق الله هذه المخلوقات وفق تقدير اقتضته حكمته. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢] . ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرّعد: ٨] .

وماذا عن الإنسان؟

كل واحدٍ منا تساءل تساؤلاً بريئاً مشروعاً، من أين جاء إلى هذه الدنيا؟ إن هذا التساؤل يوحي بشيء عظيم يقف الجواب عليه دون قدرة الإنسان العقلية.

إن معرفة الخالق أساس من أسس التوحيد، وهو المنطلق في البحث عن الحقيقة. وإننا نشهد عملية الخلق كل يوم حين نستيقظ، سواء في أنفسنا أو في غيرنا من مخلوقات الله، فهو ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩] .

لقد تجلّت عظمة الخالق فيما تجلّت في أنفسنا: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذّاريَات: ٢١] ، أي عظمة خلقكم. فماذا في أنفسنا؟ يقول سيدنا عليّ كرّم الله وجهه: «أتحسب نفسك جرماً صغيراً وقد انطوىٰ فيك العالم الأكبر»؟ إن أول دافع للإنسان للتفكر في خلق الله هو جسده، الذي خلقه الله بإبداع لا مثيل له: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطّارق: ٥] .

آيات كثيرة تتحدث عن خلق الإنسان، فيها دلالات على عظمة خلق الله تعالى. ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] ، وهذا تأكيد أيضاً على أن الخلق يكون من العدم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] .

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر: ١١] .

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢٠] .

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] .

إذاً هذا هو أصل الإنسان، ولقد أخبر الله عن خلقه له من التراب لمن كان في شك من البعث، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥] فكيف هو خلقه في رحم أمه؟

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العَلق: ٢] .

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطّارق: ٦، ٧] . والماء الدافق هو المنيّ المصبوب في الرحم، يخرج من بين ظهر الرجل والمرأة.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ [الواقِعَة: ٥٨، ٥٩] .

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نُوح: ١٤] . أي طوراً بعد طور.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾ [الزُّمَر: ٦] حيث يحدث فيها النطفة، ثم يجعلها علقة، ثم يكوّنها عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم ينشئه خلقاً آخر، في ظلمات ثلاث: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

ثم:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٦] ، صوراً مختلفة. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٤] ، على وجه لا مثيل له في الحسن

والمنظر والعقل. ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١] ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ولقد وجّه الله خطابه عن خلقه إلى قوم يعقلون، وهم بنو الإنسان، ليتفكروا في خلقه. ومن أبواب هذا التفكر سؤال يُطرح: ماهي غاية الخلق؟ ورد في الحديث القدسي أن الله ﷻ يقول: «**كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعْرف، فخلقت الخلق**». وخصّ الإنسان من المخلوقات بخلافته، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: ٣٠] ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] يخلف بعضكم بعضاً، ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يُونس: ١٤] .

فهناك عمل (صيغة جمع) مطلوب من الإنسان أن يقوم به ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فما هو هذا العمل؟

هو العبادة. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ، وكل عملٍ صالح نقوم به هو عبادة لله تعالى. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢١] ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبيَاء: ٢٥] . وعبادته هي الصراط المستقيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزّخرُف: ٦٤] .

وبين الله للناس كيف يعبدوه، والأمر غايةٌ في البساطة.

١ ـ ألا نشرك به شيئاً. ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٥٥] .

٢ ـ وأن نخلص له الدين، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزُّمَر: ١٤] .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾ [الأنعَام: ١٠٢] . ويجب أن تكون هذه العبادة حقةً حقيقيةً. والسبيل إلى ذلك هو العلم والإدراك والتبصّر في خلقه. ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] أي تعلّم ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] ، أي جعلنا عماراً لها.

وتشاء إرادة الله أن يكون في خلقه من الناس مؤمن وكافر، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ﴾ [التّغَابُن: ٢] . ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ [فَاطِر:

٣٩] ، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤] ، وفي نهاية المطاف ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٤٠] .

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عَبَسَ: ١٧ ـ ١٩] ، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يسَ: ٧٧] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفِطار: ٦] ؟ وقد خُلقت ضعيفاً هلوعاً . ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: ٢٨] ، تحتاج إلى القوة فتجدها في الله . ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعَارج: ١٩] ، خوافاً بحاجة إلى الأمان فتجده لدىٰ الله المؤمن .

﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفَلَق: ٢] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النِّساء: ١] .

والنتيجة :

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٢١] . ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢] .

ويقول الغزالي: إنه لا مدخل للعبد في اسمي **الخالق والبارىء** إلا بنوعٍ من المجاز البعيد، ووجهه أن الخلق والإيجاد يرجعان إلى استعمال القدرة بموجب العلم[1].

يا رب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] .

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] .

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ١ ـ ٣] .

---

(١) الموسوعة، ج١، سبق ذكرها، ص ٨٨.

البـارىء

بَرأ الله سبحانه وتعالى المخلوقات من البر (التراب)، فلم تكن شيئاً فصارت شيئاً بقدرته. فالبرء هو خلوص الشيء من الشيء.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

والبارىء في كتاب الأنوار القدسية للعقّاد هو الذي قدّر الأشياء في علمه الأزليّ، ويبرزها في عالم الظهور باقتداره الأبدي[١]. والبرء أخصّ من الخلق[٢] والعمل البريء: النقي، الخالي من الغشّ، والبريّة: الخلق.

فهل نسعى لنتبرأ من كل نقصٍ وعيب؟

إن أول الطريق إلى ذلك أن ننظر إلى الله تعالى، على أنه خالٍ من أي نقصٍ أو عيب، وأن نؤمن به على أنه الكامل. وهذا يوجب على الإنسان طاعته وتوحيده، فهما تبرئة له من أن يشرك به أي شيء. ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

ولا يظنّن الإنسان أن الشيطان الذي يوسوس له بالمعاصي ويزيّنها له نصير له يوم القيامة، بل إنه سيتبرّأ منه. ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

ولا يبرئنّ نفسه الأمّارة بالسوء من الخطأ والزّلل. ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

ولقد بيّن الله للناس من هم شرّ البرية، ومن هم خير البريّة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) أسماء الله الحسنىٰ وخواصها، سبق ذكره. ص ٣٣.

(٢) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها، ص ٩٤.

هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البَيِّنَة: ٦] . و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧]، فاختر مع من تكون؟، وقد بين الله لك طريق الخير وطريق الشر فقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البَلَد: ١٠] .

المصــوّر

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]. خالق المخلوقات ومنشئها، ثم مصورها على هيئاتها كما شاء وعلى ما اقتضته حكمته الأزلية.

وتصويره لما خلق غير متشابه، لأنه أعطى كل مخلوق صورة خاصة به، وهيئة تناسبه، فجعله يتفرد بها عن غيره، لا على مثالٍ احتذاه أو رسم ارتسمه. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعـــــراف: ١١] ، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] . وكرّم الإنسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: ٧٠] فخلقه في أحسن تقويم. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التّين: ٤] . وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»(١)، وأراد بالصورة هنا ما خصّه به من الهيئة المدركة للبصر والبصيرة. وبها فضّله على كثيرٍ من خلقه، ولم يقل لأحدٍ من المخلوقات إنه أحسن صورته إلا للإنسان لأنه العاقل منهم، وذلك تخصيص له وتكريم.

إن أبسط مثال من الأمثلة يتجلى فيه المصور هو تصوير الجنين في رحم أمه. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٦] ، فتتقلب النطفة بين الخلق والإبراء حتى تمام الصورة المقررة لهذا الجنين، ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفِطار: ٨] .

فلينظر الإنسان إلى هذا الخلق ويحاول أن يحصّل صورة كل منه على هيئته وترتيبه، ومن كان أكثر علماً بتفاصيل مخلوقات الله كان أكثر إحاطة بمعنى اسم **المصوّر**. ولينظر إلى مخلوقات الله من بني جنسه. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله**

---

(١) رواه: البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض فجاء بنوا آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب وبين ذلك»[1].

وقد تصادف أن تشابه بعض الخلق في واحدة ـ وربما أكثر ـ من المزايا، ولكن ليس إلى درجة التطابق، كاللون والهيئة، لكن الله ﷻ ترك سراً كبيراً في بصمة إبهام كل إنسان، ولا زالت دوائر الأمن العام في العالم تعتمد هذه البصمة التي تميز كل واحدٍ من الناس عن الآخر لعدم تشابه هذه البصمات لدى جميع الناس.

(١) رواه: أبو داود الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي موسىٰ رضي الله عنه.

الغفّار

لماذا نقول دائماً إن الكمال لله وحده؟ لأن الإنسان لا يخلو من نقصٍ أو عيب لم يتحرر منه. ومن أكبر نقائص الإنسان أن يتتبع عورات الناس ونقائصهم وعيوبهم فيتحدث عنها. بينما من الأخلاق أن يستر الإنسان عن غيره ما يحب أن يُستر منه، ومن الأخلاق أيضاً ألا يتحدّث عن الناس إلا بأحسن ما فيهم لقول رسول الله ﷺ: «**من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة**»[1]. وهذا هو الغفر في اللغة.

ويختلف الغفر بالنسبة إلى الله تعالى عن الستر في أن الغفر يتعلّق بالذنب، أما الستر فهو خُلُقٌ عام لا يتعلق بالذنوب[2].

والغفّار صيغة مبالغة من الغفور، والغفور صيغة مبالغة من الغافر، فالغفّار هو الكثير المغفرة لعبده، منّ عليه بها بفضله ورحمته كلما توجه إليه بالتوبة.

في هذا الاسم نداء للعبد لأن يستغفر الله كلما وقع في الذنب، فالله واسع المغفرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] ، ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] مع كل عظمته وعزته وكبريائه. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ [الزمر: ٥].

إن مغفرة الله واسعة لا تضيق على المذنبين ولو ملأوا ما بين السماء والأرض ذنوباً فإنه تعالى يغفر لهم جميع ذلك إذا استغفروه.

روىٰ الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) راجع صحيح مسلم.

(٢) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٣١٥.

«والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم مابين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم»[١].

والاستغفار مفتاح الرزق وممحاة للذنب وطريق للرحمة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النّمل: ٤٦].

وفي الحديث الشريف: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»**[٢] وقال بعض السلف: من أحب أن يكثر ماله وولده ويبارك الله له في رزقه فليقل: أستغفر الله إنه كان غفاراً. وجاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: **«مكتوب على ساق العرش: أنا مطيع من أطاعني، ومحب من أحبني، ومجيب من دعاني، وغافرٌ لمن استغفرني»**.

ويحضّ هذا الاسم على الاستغفار لله تعالى، وعلى الغفر للإنسان.

الاستغفار لله:

من ينتهي عن الكفر يغفر له الله. ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقد يرتكب الإنسان الذنب اضطرارياً، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

أو عن جهالة:

﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه في الزهد.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقي.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] ، فلا ييأس الإنسان من رحمة الله ومغفرته. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣] .

ومن كبائر الإثم والذنب أن يشرك الإنسان مع الله شيئاً آخر، فهنا لن ينفع الاستغفار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨] ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت: ٤٣]. ذو مغفرة لمن آمن به وبالرسالة المحمدية وأخطأ، وذو عقاب أليم لمن كفر به وكذب الرسالة المحمدية، فالله لا يغفر لمن كفر به وبرسوله ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٨٠]، وكذلك المنافقون ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، ﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمَّد: ٣٤] .

ولكن أي استغفار يقترن باللسان فقط؟ إن الاستغفار الصحيح هو استغفار الجوارح كلها والإقلاع عن الإثم والرجوع إلى الله بالتوبة النصوح الخالصة له.

فإذا فهمنا الآن معنى أن نستغفر الله، فالله تعالى يقول لنا: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحَديد: ٢١] .

الغفر والإنسان:

إن من أدب هذا الاسم أن يستر الإنسان عيوب أخيه الإنسان ويعفو عنه، ويقابل سيئته بالحسنة. فمن يتغافل عن مقابح الناس ويذكر محاسنهم فهو ذو نصيب من هذا الوصف. وبذلك يتجلّى له بفضل الله قبسٌ من نور هذا الاسم العظيم، وهذا يستلزم أن يترك العبد الغيبة والنميمة وتتبع عورات الناس ونقائصهم.

ومن القوة أن يصبر على أذاهم ويغفر ذنوبهم. ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] . والغفر من الإنسان للإنسان يدخل في باب التسامح الذي يثيبنا الله عليه بالمغفرة ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

القـهّـار

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: ٣٩] .

فإلى من نسعىٰ؟

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [صٓ: ٦٥] .

القهر لغة: الغلبة. والقاهر: هو الغالب. **والقهّار** صيغة مبالغة منه. وقال بعضهم إن القهر هو الرياضة والتذليل. يقال: قهر الناقة، إذا راضَها وذلّلها.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يُوسُف: ٢١] ، نافذ حكمه وقدرته ومشيئته على جميع مخلوقاته. حكيم في أفعاله، خبير في مصالح العباد. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعَام: ١٨] . ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزُّمَر: ٤] .

يعلّم هذا الاسم أن هناك اثنان يجب قهرهما لمن أراد أن يتخلّق بخلق القاهر: النفس والشيطان، اللذان يوقعانه في الشرك والمعصية فيجلبان له الآثام وغضب الله.

قهر النفس:

حين يستسلم المرء إلى نوازع الشرّ والإثم والشهوة المحرّمة، فقد يصل إلى الدناءة والانحطاط. وقهر النفس واجب لصلاح الإنسان لأنها أمّارة بالسوء، ويكون قهرها بالهيمنة على الشهوات والغضب، والتحكّم بها فلا يجعلها تنقاد إلا إلى أوامر الله واجتناب نواهيه، فيصحح بذلك مسيرتها من سلوك الشرّ إلى سلوك الخير.

قهر الشيطان:

إن قهر الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس بالشرك وارتكاب المعاصي

يبدأ من قهر النفس. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وأول طريق في معاداته في قول الله ﷻ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البَقَرَة: ١٦٨ و٢٠٨ والأنعام: ١٤٢] . ثم الاستمرار في معاداته بطاعة الله ورسوله والحذر منه في الأقوال والأفعال والعقائد.

الوهّـــاب

خزائنه لا تنفذ، بذله شامل، وعطاؤه دائم، لا لعوضٍ أو غرض، ويمنح من يشاء بغير سبب.

اللَّهم لا نرفع حوائجنا إلا إليك، ولا نتوكل في جميع أمورنا إلا عليك، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عِمرَان: ٨] .

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: ١٢٠] ، ولقد أسبغ هباته الكثيرة على عباده.

من هباته ماهو ماديٌ كالأولاد: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] .

ومنها ما هو معنوي، كالرحمة والتوفيق والتثبت على الحق والسداد. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عِمرَان: ٨] .

ومن أراد من الناس أن ينال حظاً من اسمه **الوهّاب** فعليه أن يفهم معنى هذا الاسم فهماً كاملاً لمعناه الدقيق.

إن ما يملك الإنسان من المال والقدرة والعواطف النبيلة محدود، ومرهون بحالات وظروف. فحين يبذل جمع ما يملكه، حتى الروح، لوجه الله تعالى فقط، لا للوصول إلى نعيم الجنة أو الحذر من عذاب النار، فهو جديرٌ بأن يسمى وهاباً. ولنا في أبي بكر الصديق رضي الله عنه قدوة حسنة، فقد فاز بالقسط الوافر من بركة اسم **الوهّاب** لأنه بذل جميع ماله في سبيل ربه حتى قال له رسول الله ﷺ: «**وماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟**» فأجاب: أبقيت لهم الله ورسوله[1].

---

(١) رواه أبو داود في الزكاة، والترمذي في باب مناقب أبي بكر.

يقول الغزالي: لا يُتصوّر من العبد الجود والهبة، فإنه إن لم يكن الفعل به أولى من التّرك، لم يقدم عليه، فيكون إقدامه لغرضٍ في نفسه. ولكن الذي يبذل جميع ما يملكه، حتى الروح لوجه الله تعالى، لا للوصول إلى نعيم الجنة، أو لحذرٍ من عذاب النار، أو لحظٍّ عاجل أو آجل، مما يُعدّ من الحظوظ البشرية، فهو جدير بأن يسمىٰ وهّاباً وجواداً، ودونه الذي يجود ليسأل نعيم الجنة، ودونه الذي يجود لينال حسن الأحدوثة[١].

يمكن للإنسان إذاً أن يكون وهّاباً، وفي حدود ما يملك. ولا يشترط لذلك أن ينفق جميع ماله، بل أن يكون كثير العطاء، ويشترط فقط أن يكون عطاؤه لوجه الله، لا لأي غرضٍ أو عوض. فإن لم يكن لديه مال ينفقه، فيمكن أن يكون وهّاباً بشكل معنوي، وهذا له أبواب كثيرة، منها أن يهدي نفسه ويهدي الآخرين إلى الطريق المستقيم، ومنها كلمة طيّبة يكرّرها على مسامعهم، التحية المخلصة، الدعاء لهم... ومنها أيضاً الحضّ على العمل الصالح، النصيحة... ولا يستخفنّ المرء بمسحةٍ مخلصةٍ بيده على رأس طفل.

(١) الموسوعة، ج ١ سبق ذكرها، ص ١١٧.

الـرزّاق

لقد تكفّل الله برزق جميع مخلوقاته. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦] ، فاستحال عليه كل ضعفٍ أو عجز. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: ٥٨] .

والرزق نوعان:

١ - رزق مادي ظاهر: وهو كل نفعٍ مادي ينعكس أثره على منفعة الجسد.

٢ - رزق معنوي باطن: وهو ما تُرزقه الروح، ومن المعارف والعلوم، وهو أشرف النوعين لأن ثماره باقية.

وفي اسم **الرزّاق** دروس عدة نذكر منها:

١ - الإيمان بالله **رزّاقاً** لجميع خلقه. ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: ٦] . ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: ٦٤] بالبذل والعطاء. ويستدعي ذلك **استبعاد** أي خوفٍ من عدم الحصول على كل رزق قدّر الله إيصاله إلى صاحبه، والتصديق بأنه يستحيل على الله تعالى أي عجز وضعف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذّاريَات: ٥٨] .

رزقه سبحانه وتعالى موجود، ولا تنتهي حياة مخلوق ما لم يحصل على كامل ما قدّر الله له من الرزق.

إلا أن وجود الرزق لا يعني أن لا يسعىٰ الإنسان للحصول على ما كتبه الله له منه، فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضّة. بل إن الحصول على الرزق يستوجب السعي إليه بحسب نوعه.

فأما الرزق المادي فيسعىٰ إليه بالعمل الصالح المشروع. وأما الرزق المعنوي فيكون السعي إليه بحضور مجالس العلم والعلماء. وفي الحالتين

يجب أن يكون السعي سعي كرامة ليكون الرزق حلالاً طيباً.

٢ ـ أن نأكل مما أحل الله لنا. ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٨]. فلا نتبع خطوات الشيطان في التحليل والتحريم. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

٣ ـ أسباب الرزق:

ـ تقوىٰ الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ـ الصلاة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

ـ الإيمان والعمل الصالح: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

٤ ـ اسم **الرزاق** يعلمنا أن نشكر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢].

٥ ـ في الغنى والفقر: لقد بني تقسيم الأرزاق بين الناس على حكمة الله وعلمه. فضيّق الله رزقه على بعض الناس وبسطه على آخرين. ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] بمقتضى حكمته وعلمه. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورىٰ: ٢٧]، فلو أغنى جميع العباد لحملهم ذلك على البغي والفساد والعدوان، إنه عليم بأحوال العباد وبصير بما يصلحهم ويفسدهم.

وفي ذلك التقسيم امتحان لكل من هؤلاء وأولئك. فهل شكره الجميع على ما رزقهم مهما كان ذلك الرزق؟ أما ذلك الذي حصل على بسطة من الرزق فماذا فعل به؟ هل حفظه؟ وهل عاد ببعض ما رزقه الله على المعوزين؟

٦ ـ الإنفاق: إن من يحصل على بسطةٍ من الرزق أمام امتحانٍ كبير، فإذا رزقه الله رزقاً يفيض عن حاجته فعليه أن يعود بذلك الفائض أو بجزء منه على

الفقراء والمحتاجين. والزكاة والصدقات سبيلان لذلك. ومن ينفق في هذين السبيلين فإنه يرجو تجارة لن تبور. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطِر: ٢٩] .

ولقد أمر الله تعالى بذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم فقال: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] ، أي ينفقوا في السر في صدقة التطوع، وعلانية في دفع الزكاة المفروضة عليهم. فلا يتباطأنّ المرء الموسر في ذلك. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤] . أي ادفعوا زكاة أموالكم من قبل أن يأتي يوم القيامة، فلا بيع فيه يمكنكم من شراء أنفسكم وإنقاذها من العذاب، ولا توجد فيه مودة وصداقة حتى يسامحكم أخلاؤكم، ولا تنفع فيه شفاعة إلا لمن أذن له الرحمٰن. ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: ٧٥] .

والإنفاق واجب على كل من رزقه الله، والله يرحم من كان رزقه ضيقاً محدوداً، فقد أمره بأن ينفق منه بقدر استطاعته. ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وإن الإنفاق بحسب ما بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يحقق التوازن الاقتصادي الفردي، وعلى الإنسان أن يساهم في تحقيق هذا التوازن، الذي يؤدي إلى تحقيق التوازن الاقتصادي للمجتمع.

لقد وصف الله الإنسان في القرآن الكريم بأنه بخيلٌ ممسك. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسرَاء: ١٠٠] . ولذلك يعلّمنا الله سبل تحقيق ذلك التوازن. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧] ، أي وسطاً لا مجاوزةَ فيه ولا تقصير. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسـراء: ٢٩] ، أي لا تمسك يدك عن الإنفاق في الخير ولا تسرف فيه فتعطي جميع ما عندك

فيلومك الناس على إسرافك فتقعد معسراً نادماً على تبديد أموالك.

هذا بالنسبة لمن كان لديه رزق مادي. أما من لم يجد من ذلك ما ينفقه منه، وكان لديه من الرزق المعنوي كالعلم النافع فعليه أن ينفق منه، وذلك بأن ينقل علمه إلى الناس وبالتالي إلى الإنسانية، فقد يكون الإنسان سبباً في إيصال الأرزاق الشريفة إلى الناس بالأقوال والأفعال.

٧ ـ خير الرزق: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] . وهو الذي وعد به في الدار الآخرة، فهو خيرٌ مما يؤتى في الدنيا وأكثر دواماً واستمراراً، وهو ما ينجم عن ذكر الله والعلم الناجم عنه.

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] . ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١] .

الفتّاح

للفتح في اللغة معان كثيرة:

فهو يعني النصر ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفَتْح: ١] ، أي نصرناك نصراً مؤزراً. و﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٩] : يطلبون النصر.

ومن معانيه الظفر والغنيمة: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ [النِّساء: ١٤١] . والبسط والسّعة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعرَاف: ٩٦] .

ويعني القضاء أيضاً: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سَبَإ: ٢٦] . ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعرَاف: ٨٩] .

ويوم الفتح: هو يوم القيامة. ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السَّجدَة: ٢٩] .

والله بيده مفاتيح خزائن السموات والأرض من علم وحكمةٍ ورحمة. وأموال وأرزاق وأملاك يبسطها كيف شاء ولمن يشاء. و﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، أي علومها. وهو يفتح على القلوب المغلقة أبواب علمه وحكمته ورحمته[١].

ويقول القشيري: إن الله تعالى **فتّاح** لأنه يفتح على عباده ما انغلق عليهم من أبواب الرزق مما قصرت حيلهم عن فتحه[٢]. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: ٤٤] .

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٣٣٦.

(٢) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ١٢٢.

ولهذا الاسم آداب يتجمّل بها من يحسن التفكير فيه ويتعمّق في تدبره ووطيد الرجاء لبركته. ومن هذه الآداب أن يكون حسن الانتظار لوجود لطف الله تعالى، دائم الترقب لحصول فضله، مستديم التطلع لنبيل كرمه، تاركاً الاستعجال، راضياً بما جرى فيه قضاء ربه[١].

والإيمان والتقوى من أسباب فتح الله على عباده. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] . وأصل ذلك هو الثقة بالله ﷻ، والتسليم بأنه مامن نعمةٍ كصحة وأمنٍ ورزق يفتح بها الله على عباده ويقدر أحد على منعها من وصولها إلى من اختصّه الله بها. ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] .

(١) المصدر السابق.

العلـيم

العلم بالأمر هو إدراك حقيقته. ويقال عمن يدرك هذه الحقيقة ويتيقّنها أنه عالم أو عليم بهذا الأمر.

فالعلم إذاً هو معرفة منظمة تدور حول أمرٍ معين، وتقوم على نهجٍ مقرر فتؤدي إلى نتائج متطابقة.

وجاء في مصطلحات الفلسفة[1] أنه إذا كان فعل (**عَلِمَ**) بمعنى اليقين تعدّى إلى مفعولين، وإذا كان بمعنى عرف تعدّى إلى مفعولٍ واحد.

وقال بعضهم: إن العلم دليل بلوغ المعارف درجة التأثير في النفس والقلب بما يدفع إلى التطبيق، فالعلم الحقيقي هو علم التطبيق.

والعليم: هو كثير العلم، وله صفة زائدة على **العالِمْ**، **والله عليم** لأن علمه وسع كل شيء، فلا يقل من علمه مثقال ذرّة أو أقل، ولا تخفى عليه خافية.

لن يتسع المقام للحديث عن هذا الاسم، ويعجز مثلي عن تمام الوفاء بحقه. وما استطعت أن أصل إليه هو إحصاءات قمت بها بعد قراءتي الآيات القرآنية التي تضمنت فعل **عَلِمَ** ومشتقاته اللغوية في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لبيان شيء من علم الله، وآخر من العلم الذي حضّ الإنسان على تعلّمه أو نبّه إليه. والله أعلم بصحة ما توصلت إليه، لكنني على ثقة كاملة بأن فهم الآيات التي اشتملت على كل ذلك فهماً دقيقاً صحيحاً من شأنه ترسيخ الآثار السلوكية الناجمة عن فهم اسم (**العليم**) ومشتقاته اللغوية في النفس الإنسانية.

---

(١) أبو حرب، محمد خير. المعجم المدرسي، مادة (عَلِمَ).

علم الله:

بلغت الآيات التي تضمّنت فعل (**عَلِمَ**) ومشتقاته اللغوية ثمانمائة وخمس وثلاثين آية. ثلاثمائة وسبع وتسعون منها في حق الله سبحانه وتعالى، وهو فيها جلّ شأنه **يعلم**. فهو **عالم وعليم وعلاّم وأعلم**. ولقد **علّم** من علمه. فبماذا هو عليم؟ وماذا علّم ولمن؟

الله يعْلَمُ:

وردت (**يَعْلَمُ**) في ثلاث وتسعين آية من القرآن الكريم. ثلاث وثمانون منها في حق الله تعالى. والمراد بذلك أمران والله أعلم، هما:

١ - إن العلوم والمعارف التي توصلت إليها الإنسانية في فروع العلم كلها منذ بدء الخليقة حتى هذا العصر المتعلّم المتطور عن سالفيه من العصور، هي محدودة جداً قياساً لما يعلمه الله سبحانه وتعالى. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٨٥] ، وستظل هذه المعلومات مهما بلغت في كافة فروع العلم ناقصة عما هو موجود من الأسرار والظواهر والمواضيع التي ستظلّ الإنسانية عاجزة عن الإلمام بها كلها، والمقصود بذلك هو الانتباه إلى عظمة هذا الخالق العليم الذي لن ترق الإنسانية إلى مستواه في العلم وهو الخالق لكل شيء والمدرك لحقيقة كل شيء.

٢ - إن الآية السابقة لا تدعو إلى تثبيط الهمم وإلى التقاعس عن البحث والتفتيش والتفكير، بل على العكس من ذلك، فهي حافز للإنسانية على الاستزادة من تحصيل العلم والمعلومات. إن ذلك القليل الذي أوتيت الإنسانية منه من العلم ليس هو كل العلوم، والمجال مفتوح لتلك الاستزادة التي تقتضي التفكر والتدبر في الظواهر والأسرار وتحليلها. وإن أشرف العلوم وأكثرها فضلاً على الإنسانية كلها هو علم الله سبحانه وتعالى، لأن هذا العلم هو الطريق الوحيد لتحقيق خير الإنسانية في كل المناحي.

والحياة مليئة بالأمور والظواهر التي تتراوح بين الخير والشرّ، بين الإيجاب والسلب، فماذا نتعلم منها؟

الجواب: نتعلم كل شيء. نتعلم الخير ونقوم به، ونتعلم الشرّ ونتجنب القيام به والوقوع فيه، وفي كلتا الحالتين فإننا نسير في طريق الصلاح والبر، ونفع المجتمع.

ومن بلاغة القرآن الكريم عما يعلمه الله قد بيّنه في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]. فعلمه محيط بكل ما كان، وبكل ما هو كائن، وبكل ما سيكون، لا يخفىٰ عليه شيء بينما لا يحيط أحد من مخلوقاته بشيء من علمه إلا بما شاء هو أن يطلعهم عليه.

الله العالِم

وردت (**عالِمُ**) في ثلاث عشرة آية من القرآن الكريم، وكلها في حق الله تعالى، ويقول عن جلالته فيها إنه (**عالِمُ**) الغيب و(**عالِمُ**) الغيب والشهادة.

ومعنى **عالم الغيب**: أنه لا يطلع على غيبه أحد من خلقه.

ومعنىٰ **عالم الغيب والشهادة**: ما غاب عن الخلق وما شاهدوه.

الله العليم:

وردت (**العليم**) في مائة وتسع وثلاثين آية من القرآن الكريم، واحدة وثلاثون ومائة منها في حق الله سبحانه وتعالى فلنعرف أولاً كم هو عليم، وبماذا هو عليم.

إنه **عليم**: (**بكل شيء** في/١٦/آية، **بالظالمين** في /٤/آيات، **بما نعمل من خير** في /٣/آيات، **بما تعملون** في/٨/آيات، **بذات الصدور** في/١٢/آية، **بالمتقين** في آيتين، وكذلك هو **عليم بالمفسدين وبكيدهم**.

إن الإيمان بأنه **يعلم كل شيء** حافز بأن نتوجه إليه بالقول والفعل لنكسب مرضاته وجنته، ورادع لتجنب كل ما نهى عنه خشية الوقوع في معصيته وغضبه سبحانه وتعالى.

وارتبط اسمه **العليم** مع (**الحكيم** في/٢٦/آية، ومع **الواسع** في سبع، ومع **السميع** في/٣١/آية، وكذلك مع **الشاكر والحليم والعزيز والخلاق والقدير**

والخبير والفتاح وغيرها.

ومن أقوال السلف أن «من عرف الله عليماً بحاله صبر على بليّته وشكره على عطيته واعتذر عن خطيئته».

وعليماً: في اثنتين وعشرين آية، وهي جميعاً في حقه سبحانه وتعالى.

عليماً: (**حكيماً** في عشر آيات، **بكل شيء** في أربع. واقترنت هذه الصفة مع **الخبير والشاكر والسميع والحليم والقدير**...).

وهو في ذلك **علاّم**. وقد وردت في أربع آيات وهي في حقه، ويذكر فيها عن ذاته العليّة أنه **علاّم الغيوب**، أي ما غاب عن البشر.

والله أعلم:

ولقد وردت (**أعلمُ**) في تسع وأربعين آية، واحدة منها فقط في غير حق الله، فلنعرف أنه **أعلم** بما لا يسمح به القياس مما نعلم نحن. إنه سبحانه وتعالى **أعلم** بما هو فوق وأبعد وأعمق من مداركنا وما تستطيع عقولنا معرفته.

فهو أعلم: (بما تضعه الأنثىٰ، بما يكتمون، بإيماننا بعضنا من بعض، بأعدائنا، بالشاكرين، بالظالمين، بمن يضل عن سبيله، بالمهتدين، حيث يجعل رسالته، بالمفسدين، بما في الأنفس، بما يصنعون، بما ينزل، بما يستمعون، بنا، بمن في السموات والأرض، بمن هو أهدىٰ، بهم، بعدّتهم، بالذين هم أولى بها صليًّا، بما يقولون، بما تعملون، بمن جاء بالهدىٰ من عنده، بما في صدور العالمين، بما تفيضون، بمن اتقى، بما أخفيتم وما أعلنتم، بإيمانهم، وبما يدّعون...).

ولقد **عَلَّمَ الله** من علمه، فمن علّم وماذا عَلَّم؟

حين تجلّت إرادته سبحانه وتعالى في أن يجعل الإنسان خليفة له في الأرض، فقد اقتضى ذلك أن يعلّمه، وكان الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي حظي بشرف العلم. ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: ٥] فنقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

وماذا علَّم؟ ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحمٰن: ٢] لرسوله محمداً بأن أوحاه إليه

ليبلّغه للناس ليعملوا بما جاء فيه. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسرَاء: ٩].

إن علوم القرآن تهدي الإنسانية إلى الصراط المستقيم، وهذا يوجب فهمها واستيعاب معانيها. ولمن استعصىٰ عليه الفهم فقد أرسل النبي محمداً ﷺ لإفهام الناس ما استعصىٰ عليهم فهمه.

ولم يكن هذا النبي شاعراً، بل رجلاً أمياً يرعى الغنم، فاصطفاه الله لإبلاغ الناس تلك الرسالة الخالدة وهي القرآن الكريم. ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يسَ: ٦٩]. منزّل من رب العالمين.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النّجم: ٤]، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] وهو جبريل عليه السلام.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] و﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العَلق: ٤]. وحصر الله سبحانه وتعالى التعليم في نفسه فأنزل القرآن ليهدي الناس للتي هي أقوم، وفي رسوله الكريم محمد ﷺ من خلال اتباع سنته الشريفة. وذلك لتطهير نفوس الإنسانية من الشرك ومن مساوىء الأخلاق، وليعلمهم أحكام الشريعة وأمور دنياهم وآخرتهم. ودليل ذلك قول الله تعالى في الآيات التي ورد فيها فعل **(يعلّمكم)** التي وردت ثلاث مرات في آيتين من القرآن الكريم، واحدة في حق الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢]. والأخريين في حق الرسول ﷺ في الآية التالية: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١] لهذا بُعث النبي محمد ﷺ إلى الناس **(ليعلّمهم)** الكتاب والحكمة. ولقد ورد فعل **(يعلمهم)** في ثلاث آيات من القرآن الكريم، وهي في حق الرسول ﷺ:

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمرن: ١٦٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

أما (عِلْمِهِ) فقد وردت في خمس آيات وهي في حق الله تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١] و[فصّلت: ٤٧].

الإنسان والعلم:

نحن أمة (اقرأ). وأول ما حضّ عليه القرآن هو العلم، وأول كلمة نزلت منه هي **اقرأ**. فقدم للناس حادثة علمية تجيب على أسئلتهم المشروعة التي تراودهم، من أين جاؤوا، ولماذا جاؤوا، وإلى أين هم ذاهبون. بهذه الحادثة انتقل الإنسان من ظلمات الجهل إلى النور، فللعلم بذلك فضل عظيم على الإنسان وعلى الإنسانية، به يرقى الفرد والمجتمع والأمة.

ولقد فضّل الله العلم على الجهل وتبرّأ منه ومن الجاهلين فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩]. وبالتعلّم يزداد الإنسان خشية من الله سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨] لأنهم يعظمونه حق تعظيمه بعد أن عرفوه حق المعرفة، ويبادل الله تعالى هؤلاء فيرفعهم درجات ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ومن أحاديث الرسول ﷺ في فضل العلم قوله ﷺ:

«من يرد الله خيراً به يفقهه في الدين»(١).

«أفضل الناس المؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه نفع، وإن استغني عنه أغنى نفسه»(٢).

«خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد ومالك.

(٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: (أخرجه البيهقي في الشعب موقوفاً على أبي الدرداء ﷺ بإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود وأحمد.

ولقد حثّ رسول الله ﷺ على طلب العلم واعتبره فريضة. «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١]، وقال ﷺ: «**ليس مني إلا عالم أو متعلّم**»[٢] وفي القرآن الكريم خطابات كثيرة موجهة للناس ليعلموا الله وليعلموا خلقه أو بعضاً من خلقه. فلقد ورد فعل الأمر (**اعْلَمْ**) في أربع آيات هي خطابات موجهة للرسول ﷺ ولكن المراد بها هو الإنسان عامة، فماذا يريد الله من الإنسان أن يعلم؟

اعْلَمْ:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٩] ، فلا يعجزه شيء.

﴿أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، لمن تولّوا.

﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القَصَص: ٥٠] إن لم يستجيبوا لك.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

أما فعل الأمر (**اعلموا**) فقد ورد في سبع وعشرين آية، وهي خطابات موجهة للناس ليعلموا: **أن الله (مع المتقين، يؤيدهم بالعون والنصر، شديد العقاب، لمن ينتهك حرماته، أنكم إليه تحشرون، أنه عزيز حكيم، وأنكم ملاقوه، وأنه بكل شيء عليم، وأنه بما تعملون بصير**، فلا تخفى عليه أعمالكم وهو مجازيكم عنها، **وأنه يعلم مافي أنفسكم** فاحذروا عقابه على قيامكم بالمعاصي، **وأنه غفور حليم** يصبر عليكم، **وأنه سميع عليم، وأنه غنيّ حميد، وأنه غفور رحيم، وأنه على رسوله البلاغ المبين، وأنه يحول بين المرء وقلبه، وأن أموالكم وأولادكم فتنة، وأنه عنده أجر عظيم، وأنه مولاكم فنعم المولى ونعم النصير، وأنكم غير معجزين، وأنه مخزي الكافرين، وإنما أنزل.. بعلم الله، وأن فيكم رسول الله، وأنه محيي الأرض بعد موتها، وأنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة و...)**.

وأما كلمة (**العلم**) فقد وردت في ثمانين آية من القرآن الكريم، وبينت أن

(١) أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي.

العلم بحر لا شطآن له، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٧٦] . وقد استأثر الله سبحانه وتعالى ببعضه فجعله حكراً على نفسه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمَان: ٣٤] .

وفي ثمان آيات من الآيات الثمانين يذكر الله ما خصّ به نفسه من العلم فقال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٢٣] و [الملك: ٢٦].

﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرّعد: ٤٣] .

﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمَان: ٣٤] و [الزخرف: ٨٥].

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فُصّلَت: ٤٧] .

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزّخرُف: ٦١] .

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

أما الآيات الاثنتان والسبعون الباقية فيه للإنسان، ليعرف من خلالها ما يحصل عليه من العلم بالنسبة لعلم الله، ويهتدي بعلمه إليه، ويرتفع بذلك درجات فبهذا العلم يهتدي المرء في الدنيا فيسلم من المعاصي ومما يغضب الرب، ويعامل الناس بخلق حسن.

وعلى من يطلب العلم أن يسلك طريق الإيمان ويصاحب أهل العلم والذكر، فهو طريق التقوى والقرب. ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، أما الجهل فهو طريق الضلالة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ [الأنعَام: ١١٩] ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحَجّ: ٣] فلا تكن أيها الإنسان من هؤلاء، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ [الإسرَاء: ٣٦] .

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾ [فَاطِر: ٢٨] .

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب: العالم الذي يعمل بعلمه. ومن حجّ فلم يرفث ولم يفسق حتى مات. والشهيد الذي قتل في المعركة لإعلاء كلمة الإسلام. والسخيّ الذي اكتسب مالاً من الحلال وأنفقه في سبيل الله بغير رياء. فهؤلاء ينازع بعضهم بعضاً أيهم يدخل الجنة أولاً**» فكن واحداً منهم. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] .

القابضُ، الباسط

في هذين الاسمين يتجلىٰ تمام قدرة الله تعالى، ومن الأدب أن يُذكرا معاً. فحين تقول: إلى الله قبْض أمري وبسطه، ففي جمعهما في قولك هذا دلالة على أنك تريد أن جميع الأمر لله تعالى. وفي ترافق هذين الاسمين دلالة أيضاً على كمال الحكمة الإلٰهية في قبضه وبسطه.

ويشير كل من هذين الاسمين إلى رموز كثيرة، وذلك بحسب موقعه من القول أو الحالة: فالقبض يشير إلى القوة والإحكام والسيطرة، والبسط يشير إلى الراحة. القبض يشير إلى الأخذ، والبسط يشير إلى العطاء.

القبض يشير إلى الضم في الحركة، والبسط يشير إلى الإفراد فيها. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]، أي باسطات أجنحتهن تارة ويضممنها تارة أخرى.

وفي الحياة والموت: فإنه يبسط الروح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الأرواح عند الممات.

وذكر الرازي عن اسمي القابض والباسط هذه العبارة[1]: «اعلم أنهما يشبهان الخوف والرجاء. في كل واحد منهما حالة تحصل بحصول محبوب في المستقبل وزوال مكروه. فصاحب الخوف والرجاء مشتغل بالمستقبل».

ويقرر القشيري[2]: إن القبض والبسط في اصطلاح أهل المعرفة عبارة عن غلبة الخوف والرجاء على القلب. فمن غلب على قلبه الخوف كان من أهل القبض، ومن غلب على قلبه الرجاء كان من أهل البسط.

---

(١) أسماء الله الحسنىٰ وخواصها، سبق ذكره ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق.

إن هذين الاسمين متناقضان لغة من حيث المعنى. **والله تعالى قابض وباسط.** ولكن حاشاه أن يكون متناقضاً في ذاته. فهو قابض وباسط حسب ما تقتضيه الحال، وحسب ما تقتضيه حكمته وإرادته.

وهذا ما يريد أن يعلمه الله للإنسان، أن يكون قابضاً وباسطاً بحسب ما يُقتضى منه ذلك، وبحيث أن تكون أي من الصفتين في محلّها. والإنسان لا يكون متناقضاً بذلك. بل إن قبضه وبسطه حين يكون الواحد منهما في محله لمؤشر على قدرته وحكمته.

والقابض الباسط من العباد[1]: من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم. فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم بآلاء الله ونعمائه، وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفتون عذابه وبلائه.

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ٨٨.

القـابض

الله قابض لأنه يملك زمام كل شيء على الإطلاق. فإن قبض عقل الإنسان جعله كالحيوان لا يفهم، وإن قبض قلبه فإنه لا يغنم، وإن قبض صدره فلا يفرح، وإن قبض روحه مات.

ومن الآيات التي تعلمنا أن الله قابض مطلق القبض، وتحثنا على أن نقدّره حق قدره قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] ، فهي ومن عليها في حوزته وفي ملكه وتحت تصرفه يوم القيامة.

وعلى الإنسان أن يعلم قبل التخلّق بهذا الاسم أنه أمام قبضٍ معنوي وقبض مادي.

والقبض المعنوي يوجب عليه:

١ - أن يقبض كامل نفسه عن ارتكاب أي معصية أو مخالفة تسول لها به نفسه، فيقبض عينه من النظر إلى حرام، ويقبض يده من أن تمتدّ إلى ذنب، ويقبض عقله من التفكير إلا لصالح الإنسان، ويقبض لسانه عن أذية أي إنسان فلا يتكلم إلا بالصدق والحسن من الكلام.

٢ - وأن يقبض نفسه أمام أهل الفجور من الزّلل والوقوع في ماهم واقعين فيه.

وفي القبض المادي:

فالإنسان أمام نوعين مختلفين من هذا القبض، أحدهما سالب والآخر موجب. أما السالب فهو ما حذّر الله عنه، ومثاله أن يمسك الإنسان عن

الإنفاق في سبيل الله، فإنه يكون عند ذلك منافقاً. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٦٧] وأما الموجب فهو ما حضّ عليه الرسول الكريم ﷺ في حديثه: «**من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر له**»[1].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الباسط

ارتبط البسط ـ في أكثر الآيات القرآنية ـ بالرزق.

وينبه هذا الاسم إلى عدة أمور، من أهمها:

١ ـ الإيمان بالله رازقاً باسطاً يديه بالعطاء. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، فافتروا على الله الذي لا تعدّ نعمه ولا تحصى وينفق منها بمقتضى علمه وحكمته. والله قادر على ذلك لارتباط أكثر الآيات في بسطه الرزق لعباده بالقدرة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ [الإسراء: ٣٠].

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ [الرّعد: ٢٦].

٢ ـ إن هذا الاسم يحضّ على الإنفاق والترشيد فيه، فلا يجب أن يكون البسط إسرافاً، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

٣ ـ **الله رزاق وباسط.** فلماذا لا ينزّل خيراته كلها للإنسان؟

إن لله حكمة في ذلك. ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٧].

فليعمل الإنسان عمل الخير ويثق بالله باسطاً له إيّاه، وليعمل ليكون نفسياً في حالات البسط. فهذا مما يعينه على فعل الخير والإبداع.

الخـافض

الخفض لغة: هو اللين والتواضع. ومن معانيه الدّعة والاتساع والتيسير. وحين يصير انخفاضاً يصبح انحطاطاً. وهو ضد الرفع.

والخافض في أسماء الله تعالى كما يقول ابن الأثير[1]: هو الذي يخفض بالإذلال من تعاظم وتكبر وشمخ بأنفه وتجبّر. وطريقه الكفر والتكبّر والنفاق، فالله يخفض الكفار بإشقائهم. ويخفض أعداءه بإبعادهم عنه. وحين يحصل عكس ذلك فيعود هذا لمشيئته تعالى ويكون له بذلك حكمة.

ويوم القيامة يكون أعداء الله في النار وأولياؤه في الجنة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ١ ـ ٣] . ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

ولقد أُمر الإنسان بأن:

١ ـ يخفض نفسه أمام الله تعالى فيرى أنها لا شيء يذكر تجاه الله.

٢ ـ يخفض الباطل بالابتعاد عنه، وأهله بمعاداتهم.

٣ ـ يخفض الشيطان ووساوسه.

٤ ـ وأن يُظهر لوالديه ما يستطيع من التذلل والتواضع ولين الجانب ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] .

٥ ـ وأن يكون لين الجانب للمؤمنين مترفقاً بهم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] ، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٥] .

---

(١) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره. ص ٤٤.

الرافـع

الخافض والرافع: اسمان من أسماء الله تعالى. وفي كل منهما تنبيه للإنسان بأنه هو المعني بهما، وإذا وقع فعل الخفض على بعض المخلوقات حسب بعض معاني الخفض، فإن فعل الرفع لا يقع إلا على الإنسان من حيث معناه اللغوي المجازي. وغالباً ما يكون هذا الرفع بيد الإنسان، ويكون في بعض الحالات بيد الله تعالى لحكمة يعلمها. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعَام: ٨٣].

والله يرفع المؤمنين بإسعادهم، ويرفع أولياءه بتقريبهم منه. وحين يحصل عكس ذلك فيعود هذا لمشيئته تعالى، ويكون له بذلك حكمة هي اختبار هؤلاء وهؤلاء.

وهو يرفع من استحق الرفع من أوليائه في الدنيا والآخرة. فيرفع منزلتهم في الدنيا بإعزازهم، ويرفعهم في الآخرة بارتفاع درجتهم ما لم تكن مشيئته في غير ذلك.

ولكي يكون الإنسان ممن يرفعه الله، فعليه كما يقول الغزالي: أن يرفع الحق وذلك بأن ينصر المحق، ويزجر المُبطل فيعادي أعداء الله ويوالي أولياءه. وهناك أسباب أخرى للرفع، منها:

١ - الإيمان والعلم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١]، فيرفعهم بطاعتهم وصدق إيمانهم، أو بفضل علمهم، درجات عالية في الدنيا والآخرة.

٢ - ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠].

وقد يتساءل المرء: لماذا يرفع الله بعض الناس درجات فوق بعض؟ خاصة وأنه قد يرفع بعض الكفار على بعض المؤمنين، فهل هذا ظلمٌ منه لهؤلاء

المؤمنين؟ لا، بل هو امتحان واختبار لكلا الطرفين، ولا شك أن الفوز والرفعة تكون في الآخرة للمؤمنين، وأن العذاب والهوان والذل للكافرين. حاشىٰ لله أن يكون ظالماً، فهو **العدل** لا الظلم. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦] .

يجيب الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعَام: ١٦٥] .

وهناك سبب آخر من حكمة الله سبحانه وتعالى بأن سخّر بعض الناس لخدمة بعضهم الآخر، فقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزّخرُف: ٣٢] أي ليكون كل واحد منهم مسخراً للآخر فيعمل حسب مواهبه واختصاصه ومؤهلاته.

المعــزّ

إن اسمي الله تعالى: **المعزّ والمذلّ** هما صيغتا مبالغة من اسمي: العازّ والذّالّ، وكلاهما في حق الله تعالى لأنه مصدرهما معاً. ولذلك فإن صفتي العزّ والذّل تكونان للإنسان، وهو اسم المفعول من فعل كل منهما.

والله معزّ: لأنه هو الذي يهب الإنسان موجبات العزّ لمن يشاء من خلقه: في الدنيا: بالمال والجاه والأولاد.

وفي الآخرة: بالجنة.

ولا ناقض لحكم الله ولا رادّ لقضائه. قال الله تعالى مخاطباً الرسول الكريم ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

لقد فطر الله الإنسان على الميل إلى العزّ لا الميل إلى الذّل، فترى من أراد العزّ سلك طريقه. وطريقه في قول بعض العلماء: من أطاع الله واجتنب معاصيه أعزّه الله تعالى.

وربط الله سبحانه وتعالى العزّ بالطاعة والذل بالمعصية، فلن ينال المرء العزّة إلا بسلوك طريق الإيمان ومحبة الله، والعمل بما أمر به والنهي عما نهى عنه.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النّساء: ١٣٩] ، وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ، ومعنى قوله أن من لم يكن مع الله ورسوله والمؤمنين فهو ذليل.

وقال جعفر الصادق: من أراد عزاً بل عشيرة، وهيبةً بلا سلطان، فليخرج من ذل معصية الله إلى طاعة الله[١].

ومن كان يريد الشرف والمنعة التي لا ذلة معهما فليعتزّ بالله تعالى في الدنيا والآخرة، فمن اعتزّ بالله أعزّه الله، ومن اعتزّ بغير الله أذلّه الله.

(١) مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب للغزالي، بعناية محمد أديب الجادر وعدنان عبد ربه، دار البشائر.

المـذلّ

مما تجلّت به إرادة الله ﷻ قوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٦] . ولهذا فإن هذا الاسم يبعث أول ما يبعث على الخوف من الله تعالى والتواضع له. ومن أبواب الكفر أن يتكبّر العبد على ربه، وليعلم هذا أن الله يهين المتكبرين. ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحَجّ: ١٨] .

وقد يكون الإذلال في الدنيا، أو في الآخرة، أو في كلتيهما معاً حسب مشيئة الله وما تقتضيه حكمته.

* الإذلال في الدنيا:

ومنه ما يقع على العبد أو الأمة بإرادة من الله سبحانه وتعالى، وتكون له حكمة في ذلك. ومن أشكاله قلة العدد والعتاد كحال المسلمين في غزوة بدر، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٣] ، فمن تشابهت حاله مع هذه الحال فليشكر الله على ما آتاه وأنعم به عليه. ومن أشكاله أيضاً المرض، والشهوة غير المشروعة، والمال، والحاجة إلى الغير. وغير ذلك، وماهذا كله إلا اختبار للعبد فيما أصابه منها.

ومنه ما يكون بسبب الإنسان نفسه فيجلبه بيديه، ولهذا أشكال كثيرة أيضاً، أولها الإشراك بالله دون التوبة، فمن يشرك بالله ولا يتوب عن شركه فسيناله عذاب كبير في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعرَاف: ١٥٢] ومن أشكاله أيضاً معاداة الله ورسوله بمخالفة أوامر الله ونواهيه، فهؤلاء في عداد من هم أذلّ خلق الله تعالى. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجَادلة: ٢٠] ، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يُونس: ٢٦] .

ولقد أرسل الله رسوله ليهدي الناس لتتبع آياته، فلم يترك لهم حجة

للكفر الذي يؤدي بهم إلى الذل والخزي. ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

ومن الناس من يمد عينه للناس محتاجاً إليهم، ولا يقنع بكفاية، يتدرّج بمكره حتى يغترّ بنفسه فيبقى في ظلمة الجهل فيذله الله[1].

ويلفت هذا الاسم النظر إلى عدة أمور؛ منها:

١ ـ ألا يتدخل الإنسان في حكمة أرادها الله فقد يؤدي ذلك إلى زعزعة ثقته بالله، وربما إلى الكفر. ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]، أي أذلني بالفقر.

٢ ـ هناك نوع حسن من الذّل، بل هو توصية من الله تعالى، فقد وصف المؤمنين بأنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. فالمؤمنون رحماء متواضعون لإخوانهم المؤمنين، أشداء على الكافرين.

٣ ـ التذلل المشروع المطلوب من الإنسان غير الذل، فلقد أوصى الله تعالى أيضاً بالتذلل للأبوين، وذلك بالعطف عليهما إلى ما يستطاع من ذلك، فقال: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

* الإذلال في الآخرة:

الذين أشركوا بالله ولم يتوبوا يعرضون على النار خاشعين خاضعين متضائلين مما لحقهم من الذل. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧].

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٤].

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره. ص ٨٩.

السميع

هناك اختلاف في معنى السميع بالنسبة إلى الله تعالى وإلى الإنسان.

فالله سميع لجميع الموجودات دون حاسة أو آلة، أما الإنسان فهو لا يسمع من الأصوات إلا ما كان في مجال سمعه، ولا يكون ذلك إلا عن طريق حاسة السمع لديه التي تحتاج إلى حادثة إصدار الصوت. أما سمعه تعالى فمنزّه عن أن يكون بآلة أو أن يحتاج إلى مثل تلك الحادثة، بل إن سمعه يشمل السرّ والنجوىٰ، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

ووسع سمعه كل شيء، فلا أسمع منه بكل مسموع. ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

وحقيقة السمع بالنسبة إلى الله تعالى هي الإدراك لما في الظاهر والباطن.

الإنسان السميع:

لقد خلق الله الإنسان ليبتليه، وجعله سميعاً بصيراً، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] ، وجعله مسؤولاً عن سمعه كما عن كل حواسه، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] .

إن المراد بالسمع بالنسبة للإنسان هو أن يسمع كلام الله وهو القرآن الكريم، وحديث رسوله ﷺ، فهما يهديان إلى طريق الله ﷻ. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] .

ولهذا السمع عدة غايات ومعان ركّز عليها القرآن الكريم، ومنها العلم

والفهم والتصديق والقبول والاتباع والتدبّر والاستجابة والطاعة و. . .

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، والمقصود أن نتفهم معانيه ونعتبر بمواعظه. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

ومن الآيات التي بيّنت البراهين على قدرة الله وعظمة خلقه ووحدانيته وارتبطت بالسمع الذي يحضّ على تحقيق تلك الغايات: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾ [المائدة: ١٠٨] ما تؤمرون به سماع قبول واستجابة.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧] و[الروم: ٢٣] و [السجدة: ٢٦] سماع فهم وقبول، سماع اتباع، وسماع تدبّر واتّعاظ.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦].

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] سماع فهم وتصديق، فهؤلاء منافقون يؤدي بهم نفاقهم إلى الكفر، والكفر إلى جهنم لأنهم لم يكونوا يسمعون من الرسل في الدنيا سماع تفهم أو يعقلون ما كانوا يدعونهم إليه، ويعرضون عن اتباع سبيل الحق ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

من أخلاق هذا الاسم:

١ ـ حين يعرف الإنسان بأن الله **سميع** على نحو ما سبق فإنه يدعوه واثقاً من استجابته، ومن حديث رسول الله ﷺ قوله: «**اللّهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع**».

٢ ـ إن الله يسمع السرّ والنجوى، ويدرك مافي الباطن والظاهر، فيتوخىٰ الإنسان الحذر من عصيانه ويراقب قلبه من أن يصدر عنه شيء ينافي الخلق القويم. فيبتعد عن السمع الحرام بكل أنواعه وأشكاله. قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من شرّ سمعي ومن شرّ بصري ومن شرّ لساني ومن**

شرّ منيتي»[١].

ويعلّم هذا الاسم ألا يسمع غيبة أو نميمة من أحد على أحد، وكان الرسول ﷺ لايسمع كلام الناس بعضهم على بعض، وإن سمع فكان لا يبلّغ بعضهم ما يسمع من بعض، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتّات**»[٢].

٣ ـ عدم تسخير السمع إلا لسماع الحق. ويقول الله تعالى عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القَصَص: ٥٥] ، فالمؤمن حين يسمع الشتم أو القبيح من القول فإنه يعرض عنه فلا يصغي إليه ولا يقابله بالمثل.

وكان النبي ﷺ يدعو ربه أن يحفظ له سمعه وبصره ويجعله الوارث منه. قال رسول الله ﷺ: «**اللّهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا**»[٣].

إن السمع إذاً يؤدي إلى النار أو إلى الجنة، وذلك بحسب ما يسمعه الإنسان، ولكل منهما صوتها، وشتان بين ما يُسمع في كل منهما.

ففي النار: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧﴾ [الملك: ٧] وفي الجنة: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) أخرجه الترمذي.

البصير

هناك اختلاف في معنى البصير بالنسبة إلى الله تعالى وإلى الإنسان. **فالله بصير** بجميع الموجودات دون حاسّة أو آلة. أما الإنسان فهو لا يبصر إلا ما شخص أمام عينه، ولذلك فبصر الإنسان قاصر عن أن يمتدّ إلى غير ذلك، عدا عن أنه لا يتغلغل في باطن ما قرب منه وشخص أمام عينه كبصر الله تعالى.

وبصر الله منزه عن أن يكون بحدقةٍ وأجفان، ومقدّس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته مثل ما ينطبع في حدقة الإنسان. ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣] . لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو مجاز كلاً من الناس عن عمله من خير أو شر.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٩٦] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ١١٠] .

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٣] .

﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصِّلَت: ٤٠] .

الإنسان البصير:

لقد خلق الله الإنسان ليبتليه، وجعله سميعاً بصيراً. ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] . وجعله مسؤولاً عن بصره كما عن كل حواسه. ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولم يجعل الله الإنسان مسؤولاً عن هذه الحواس إلا بعد أن هيّأ له الأسباب التي تؤهله لتحمّل هذه المسؤولية. فأعطاه البصيرة، وهي قوة الإدراك العقلية، ومنحه العقل والفطنة، وعلّمه الأشياء، وبصّره إلى قدرته وعظمة خلقه بالتبيين والإيضاح والتعريف، وقدم لها البصائر، وهي الحجج والآيات على قدرته وعظمة خلقه ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ، ثم هداه النجدين.

ينبه اسم **الله البصير** الإنسان إلى توجيه بصره في منحنيين اثنين، وتركيزه بهما. أحدهما باتجاه الله سبحانه وتعالى، والآخر باتجاه الناس، وله الجنة إن أحسن استثماره بهما.

أما ما كان باتجاه الله فهو أن يتركز بصر الإنسان في آيات الله في هذا الكون، وفي عجائب صنعه وخلقه، بدءاً من القريب منه وهو نفسه ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذّاريات: ٢١] وانتهاء بالبعيد عنه ومما يستطيع الإنسان أن يتبصّر أي يتفكّر في خلقه. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك: ٣، ٤]. فالمقصود إذاً أن يتفكّر الإنسان في تطابق هذه السموات، وأن ينظر في إبداع خلقها، فلا يرى فيها اختلافاً ولا فطوراً، أي صدوعاً وشقوقاً، إن هذا يقوده إلى الإيمان بالله الذي يضمن له الجنة.

ومن العجيب بعد ذلك أن يستوي الأعمى والبصير من بعض الناس، وهما لا يستويان، ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ٥٠] ، إلا حين يغفل البصير عن آيات الله ولم يهتد بها فكان كالأعمى الذي عميت بصيرته عن مشاهدة الحق، ويغفل أيضاً عن دلائل قدرة الله تعالى فلا ينظر إليها نظرة تفكر واعتبار، ومثل هذا الإنسان في جهنم. ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وما دام الإنسان حياً، فإن الفرصة سانحة أمام من لم يبصر الله البصر الذي يقوده إلى الإيمان ويضمن له الجنة قبل فوات الأوان. فيوم القيامة يقول

الكافرون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

وأما ما كان باتجاه الناس: فحين يعرف الإنسان أن الله يراه في السرّ والعلن فإنه سيخجل منه إن خطر بباله القيام بأدنى عمل لا يرضى الله عنه، ويؤذي به نفسه أو الناس. وهذا يستدعي أن يكون الإنسان ذا بصرٍ نافذٍ عند مجيء الشهوات، ففي الحديث الشريف: «**إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشهوات**»[1].

ويعتبر الفقيه أبو الليث أن حفظ البصر هو أحد فروع مخافة الله التي تؤدي إلى الإيمان به: فلا ينظر المؤمن إلى الحرام من المأكل والمشرب والكساء وغيرها، ولا ينظر إلى الدنيا بالرغبة، بل يكون نظره على وجه الاعتبار، ولا ينظر إلى ما لا يحل له كما قال ﷺ: «**من ملأ عينيه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينيه من النار**».

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤]، أي من أبصر الحق وآمن به فلنفسه اختيار الخير، ومن عمي عن الحق وأعرض عن الإيمان فعلى نفسه يعود وبال إعراضه.

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

الحكم

إن صاحب الفصل بين الحق والباطل، وبين البرّ والفجور، هو الله **الحكم** الذي يحكم في الأمور ويفصل بين المتنازعين.

وفي اعتقادي أن هذا الاسم ينبه الإنسان إلى عدة أمور تنحى في منحيين، يرتبط الأول منهما بعلاقة الإنسان مع الله، ويرتبط الثاني بعلاقة الإنسان مع الإنسان:

ويقتضي المنحىٰ الأول الإيمان الكامل بالله تعالى والتسليم بقضائه الناجم عن حكمته في تصريف الأمور. إذ حكم الله تعالى على بعض الناس بالسعادة وعلى بعضهم بالشقاء، على بعضهم بالغنى وعلى بعضهم الآخر بالفقر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المَائدة: ١] ، ولا اعتراض علىٰ حكمه ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرّعد: ٤١] لأنه ينطوي على حكمة يعرفها المؤمنون من السعداء والأغنياء و... فيتقوا الله في أنفسهم وفي أهليهم لتزيد سعادتهم في الدارين، ويعرفها المؤمنون المبتلون والفقراء و... فيصبروا على ما آتاهم الله.

من أحكام الله تعالى على الإنسان السعي في الحياة الدنيا نحو الخير ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النجم: ٣٩]، فلا يجازى عامل إلا بعمله، وما يعمله الإنسان في الدنيا فسوف يرى نتيجته في صحيفة أعماله في الآخرة من خير أو شرّ، والخير دليل الإيمان بالله واتباع هداه، والشرّ هو نتيجة الكفر به والإضلال عن سبيله من أمور الدين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥] .

أما المنحى الثاني فهو يقتضي تطبيق وتنفيد أمر الله تعالى **الحكم العدل** في نشر العدل بين الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم.

لقد جعلنا الله خلائف له في الأرض لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وأن نحكم بين الناس بالعدل ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النّساء: ٥٨] . قال الله تعالى مخاطباً سيدنا داود:

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[النساء: ١٠٥] .

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] المتمردون على شريعة الله.

لقد وصف الله تعالى من لم يحكم بما أنزل بالفسوق. ووصفهم في آيات أخرى بالكفر وبالظلم. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] . ولقد ورد في التفسير أنه منافق ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨] .

وفي ذلك كله نصيحة للمسلم بألا يحتكم إلا لله ولرسوله، وهو بذلك يفلح ويكون من المؤمنين. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] .

وخير للمؤمن أن يصبر على حكم الله ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤] ، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ؟. فالله لا يساوي المسلمين بالمجرمين في الثواب والعقاب، وينهى عن ذلك. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] .

وفي كتاب الأنوار القدسية: أن حظّ العبد من هذا الاسم أن تكون حاكماً على قوّتك الغضبيّة. فلا تغضب على من أساء إليك، وأن تحكم على قوتك الشهوانية، فلا تطلب إلا ما يسّره الله لك. ولا تحزن على ما تعسّر، وأن تحكم على نفسك فتجعلها تحت سلطان العقل، وتجعل العقل تحت سلطان الشّرع، ولا تحكم حكماً حتى تأخذ الإذن من الله تعالى **الحكم العدل**[1].

(١) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها، ص ١٦٠.

العـدل

قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٦، ٧] ، أي جعلك سوياً سالم الأعضاء، معتدل القامة سوي الخلق. ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨] ، إلا أنه تعالى قد حقق التوازن في خلقك.

والتوازن كلمة مرادفة لمعنى أحد مشتقات العدل اللغوية، وأهم مراميه: الاستقامة، وهي ضد الجور والظلم.

وبقراءة للتاريخ الإنساني يظهر أن موازين العلاقات الإنسانية قد اختلّت مرّات ومرّات مع أن شريعة الله قد تجلّت منذ خلق الخلق بأن يوضع كل شيء في مكانه الصحيح لتحقيق التوازن، وبدأ تعالى بنفسه فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرَّحمٰن: ٧] ، فتقدس بذلك عن كل ظلم أو جورٍ في أحكامه وفي أفعاله.

وكان **عدلاً** وشرع **العدل** بين الناس كأحد أسباب التوازن الرئيسة بينهم، ووجههم إلى العمل على تحقيقه، فجاء طلبه: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمٰن: ٨] ومعنى ذلك ألا تجوروا في الأحكام ولا تتجاوزوا الحق فيه، وأمر بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرَّحمٰن: ٩] ، أي أقيموا الوزن بالعدل في معاملاتكم. والمقصود بذلك هو ميزان العلاقات الإنسانية التي تبدأ من ذات كلٍّ من الناس وتنتهي بالآخرين، وذلك بأن يعدل كل واحد منهم عن الجور إلى العدل، من كل ماهو سلبي إلى كل ما هو إيجابي، فيحقق للإنسانية نقلة من الظلام إلى النور ولا مبالغة في ذلك، إذ يبدأ انتقال المجتمع

كله إلى نور يضيء حياته في مجالاته كلها من مساهمة كل فرد بذلك.

لقد أمرنا إذاً بتحقيق **العدل** بين بعضنا، وكان أولنا رسول الله ﷺ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] ، وقال الله للناس أجمعين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠] في الأحكام والأقوال والأفعال، ويتم ذلك بوضع الأمور كلاً في نصابه.

ووجه خطابه لكل من له صفة الحكم أو حل النزاع بين الخصوم بقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] فيتحقق بذلك التوازن بين الناس، وتتحقق أيضاً الغاية من العدل وهي إيصال النفع إلى جميع الناس.

إن تحقيق العدل وشيوعه بين الناس هو مظهر من مظاهر التقوى. ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ، وتتلخص وسائل شيوعه في مراعاة حدود الشرع كلها والأخذ بنواصيها.

ويتحقق عدل الإنسان لنفسه بتحقيق علاقة التوازن بين جسده وروحه اللذين يتألف منهما، ويتأتى له ذلك بإبعاده عن مزالق الشهوات واللذائذ فيعطيه حقه من كل حلال، وبالسعي إلى الوصول إلى رتبة الأدب فيرتقي بروحه إلى رتبة الشرف والإجلال والاحترام.

أما بالنسبة لأهله فينقسم عدله إلى الأصول والفروع. ومن العدل بالنسبة للأصول أن يفيهم حقهم إزاء ماقدموه له من التربية وبناء الشخصية التي ساهموا في بنائها، وأول ذلك تقديم الطاعة والبر لهم وعدم مخالفتهم إلا بما كان فيه معصية لله ﷻ. أما بالنسبة للفروع فأول العدل تقديم البر لهم، وتقديم الغذاء والكساء والتعليم، حتى في العواطف فلا يقدم لأحدهم من الحب أكثر مما يقدمه للآخر إلا أن يكون ذلك سياسة ذات غاية نبيلة كإصلاح هذا الآخر.

وأما العدل مع الآخرين فقد طلب الله سبحانه وتعالى تطبيقه بإنصاف المظلوم حتى لو كان الظالم أو المحكوم عليه ذا قربى فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

ولا يحمل الحاكم بغضه لقوم على عدم أخذ الحق لهم، والابتعاد عن ذلك

هو من صفات الإيمان. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ولقد شهدت البشرية أمة تعدل بين المجتمعات في أحكامها ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وهي الأمة الإسلامية لقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، لماذا؟ لأنكم يا أمة الإسلام ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [تتمة الآية السابقة]، وهذا أساس تحقيق العدل، الذي قضى الله سبحانه بتحقيقه بين المجتمعات حتى مع اليهود الذين وصفهم بأنهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]. ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [تتمة الآية السابقة]. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨].

قال رسول الله ﷺ: «**كيف يقدّس الله قوماً لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم**»[١].

(١) أخرجه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

اللّطيف

الرّفق والترفّق، الرّقة والرأفة، الإحسان والبرّ... هي معانٍ قليلة من معاني اللطف الكثيرة. وفي كل مظهر من مظاهر الحياة لون من لطف الله تعالى بعباده ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩] ، أي كثير الإحسان إليهم.

ورد اسمه **اللطيف** [١] في ست آيات من القرآن الكريم، **ولطيفاً** في واحدة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤] ، يبيّن فيها أنه لطيف بأوليائه وأهل طاعته، خبير بجميع خلقه، بارّ ورفيق بهم، محسن إليهم، عالم بخفايا أمورهم ودقائقها.

ومظاهر لطفه بعباده كثيرة جداً لا يستطيع الإنسان لها حصراً مع أنها تحيط به. فمن لطفه خلق الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث يحفظه فيها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] .

ومن لطفه اخضرار الأرض بعد أن كانت قاحلة جرداء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣] . ومن لطفه أنه أعطىٰ عباده فوق كفايتهم ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] ، بينما كلفهم بحدود الطاقة لكل منهم، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، ويسّر لهم الوصول إلى سعادة الآخرة بسعي خفيف في مدة قصيرة هي العمر، فوفقهم إلى الطاعات وسهّل لهم العبادات، وأفاض لهم أسباب الصلاح والبرّ فقادهم بذلك إلى التوفيق إليه والاعتصام به.

ومن لطفه أنه يرزق عباده في خفاء وستر ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطّلاق: ٣] .

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (لطف).

ومن لطفه أيضاً أنه يصور الشيء في قالب ضده بحكم تدبيره ولطف تصويره، فيجعل النقمة نعمة، ويُبهم الأمر على خلقه رحمة بهم ليزدادوا خفاءً وحياءً منه ورجوعاً إليه.

ولا يتم اللّطف إلا إذا اجتمع مع الرفق في الفعل[١]. يقول ابن الأثير: اللطيف من أسماء الله تعالى، وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح، وإيصالها من قَدَرها له من خلقه[٢].

ولقد اقترن اسمه تعالى **اللطيف** باسمه **الخبير** في خمس آيات من الآيات السبع التي ورد اسمه **اللطيف ولطيفاً** فيها، لأن هذين الاسمين الكريمين يتلاقيان في المعنى. ولذلك قال أبو العالية: في قوله تعالى: «**وهو اللطيف الخبير**»، اللطيف باستخراج الأشياء، الخبير بمكانها. أو كما قال القشيري: وهو اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، الخبير الذي أحاط علمه بكل معلوم[٣].

وأوصى الله الرسول الكريم ﷺ بأن يكون لطيفاً في دعوته إليه، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبذلك أُمرنا، بالتلطف والتحلي باللطف «**وليتلطف**» في معاملاته مع نفسه ومع الآخرين.

واللطف هو دقة المذهب وخفاء المسلك، ويوصف الإنسان بأنه لطيف إذا تحايل للتوصل إلى أغراضه في خفاء مسلك وحسن تدبير.

ويتلطف الإنسان مع نفسه بألا يرهقها فيحمّلها فوق طاقتها. ويتلطف مع الآخرين بجذبهم إليه بلطف أخلاقه ومعاملته، حتى إذا كان داعياً إلى الله، فليتلطف بذلك، بأن تكون دعوته إليه من غير إزراءٍ وعنف، ومن غير تعصّب وخصام.

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره. ص ١٠١.

(٢) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها ص ١٦٩.

(٣) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره، ص ٥٣.

الخبـير

فرّق العلماء بين لفظي الخبير والعليم. فالخبير يفيد معنى العلم، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنة سمي خبرة وسمي صاحبه خبيراً[1].

فالخبير إذاً هو العليم بدقائق الأمور.

وفي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ورد اسمه تعالى الخبير في ثلاث وثلاثين آية، **وخبيراً** في اثنتي عشرة آية، وكلها في حق الله تعالى.

في أربع وعشرين من هذه الآيات ينبه الله تعالى إلى أنه **خبير بما يعملون يصنعون، تعملون، تفعلون**، وخبرته هذه لا تقتصر على ظواهرنا وما نبديه وما نعلنه فقط، بل تشمل حتى ما نخفي ونكتم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٩].

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] .

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النّمل: ٢٥] .

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] .

فهو خبير بظواهر الأمور وببواطنها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [تتمة الآية السابقة] .

وهو حكيم فيما أمرنا به، لطيف بذلك، بصير برغائبنا، ولذلك ارتبط اسمه الشريف **الخبير** بغيره من أسمائه الشريفة، مع «**الحكيم**» في أربع آيات، وكذلك مع «**العليم**»، ومع خمس مع «**اللطيف**»، وكذلك مع «**البصير**».

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها. ص ١٧٥.

لم ترد آية واحدة في القرآن الكريم من الآيات الخمس والأربعين السابقة في حق الإنسان، إلا أن ذلك لا يعدم أن يكون الإنسان خبيراً في بعض العلوم والمجالات التي تعتمد على المحسوسات والمجرّبات والمرئيات وما يماثلها، ولكن خبرته لا تصل إلى خبرة الله بها لعدم حصوله على كامل العلم الذي يشملها لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٨٥] ، وهذا يعني أن خبرة الإنسان في أمرٍ ما، تكون بقدر ما يحصل عليه من العلم فيه، وتزداد خبرته فيه بمقدار ازدياد علمه.

إنني أجد في كل ذلك حثّاً للإنسان على السعي لتحصيل القدر الأكبر من العلوم التي يمكنه ذلك بها، كالفلك والرياضيات والاقتصاد وغيرها. . . ، وتنبيهاً له بألا يتطاول للحصول على خبرات مما اختصّ الله به نفسه كعلم الساعة مثلاً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] . إذاً ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾ [فُصّلت: ٤٧] .

وكذلك على سبيل المثال: الروح. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] . يتساءل الإنسان منذ القديم عن كنه روحه ولم يصل إلى جواب بعد، لأن الروح من الغيب الذي استأثر الله بعلمه. وإذ يعلم الإنسان أن الله خبير بأحواله يكون حقاً في أعماله، صادقاً في أقواله مع نفسه ومع الآخرين، فيكف عن فعل وقول كل ما هو سلبيّ. وإذ يكون خبيراً بما يجري في عالمه، وعالمه هو قلبه وبدنه والخفايا التي يتصف قلبه بها، فيحاذر السلبي منها، وإذ يكون خبيراً بنفسه فيحاذر مكرها ودسائسها، يراقبها ويحاول كشف خفاياها، ويعالج أهواءها وفق ما يرضي الله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ [الفُرقان: ٥٨] .

إن الإيمان **بالله الخبير** يساعد في تحقيق الاستقرار النفسي للإنسان، وبالتالي تحقيق الاستقرار النفسي للمجتمع.

وينبه هذا الاسم أيضاً، **الخبير**، إلى الاستفادة من خبرة الله تعالى في

أمورنا لاستقامة حياتنا بالتمثل بما جاء في القرآن الكريم، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فهو ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١] .

وفي كتاب الأنوار القدسية[1]: أن العبد لا ينال الحظ الأوفر من هذا الاسم الشريف إلا إذا كان خبيراً بدسائس نفسه، بصيراً بخدائع حسّه، يعرف الفرق بين خطرات المَلَك والشيطان، بصيراً بإلهامات الرحمٰن.

ويذكر القشيري من أدب المؤمن مع اسمه **الخبير** أنه من عرف أنه خبير بأحواله كان محترزاً في أقواله وأعماله، واثقاً بجميع اختياره، واثقاً أن ما قسم له لا يفوته، وما لم يقسم له لا يدركه.

(١) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره ص ٥٤.

الحليم

لم تخل الحياة يوماً من الشرور والآثام. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ، فانقسم الإنسان عبر التاريخ إلى إنسان أطاع الله واجتنب نواهيه سعياً إلى الآخرة ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧] ، وإلى إنسان عصى الله - ومن رحمة الله فإنه قليل إذا ما قيس بالأول - واتبع هواه وأطاع الشيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يُوسُف: ٥] .

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: ١٧] . ألا يعلم أن لله غاية الاقتدار على معاقبة العاصين والكفار والمذنبين؟ أم إنه يطمع في حلم الله الذي لا يعجّل ذلك عليهم؟

إن الله لا يستفزّه غضب من معصية العصاة ومخالفة أوامره، ولا يعتريه غيظ لذلك، فلا شيء يحمله تعالى على المسارعة في العقاب. وإن له غاية من حلمه وهي في صالح الإنسان والمجتمع فعسىٰ أن يتوب الكافر والعاصي فتصلح حاله ويصلح المجتمع كله وتتحقق له السعادة في الدارين.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧] .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فَاطِر: ٤٥] .

ويورد القشيري ألواناً من حلم الله تعالى فيذكر أن من حلمه سبحانه أنه لا يستفزّه إصرار العاصين، ولا يحمله على سرعة الانتقام انهماك المعرضين، فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم، ويستر حتى يتوهّم صاحب العمى أنه ليس يبصر»[1].

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ١٨٠.

ومن حلمه أيضاً أنه: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٥] .

لقد ورد اسمه الشريف **الحليم** وصفته **حليماً** في إحدى عشر آية من القرآن الكريم، ارتبط فيها باسمه **الغفور** في ست منها، لأنه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾، [غافر: ٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٥] .

والحليم: من الحِلْم، وتعني العقل والأناة والتسامح والصفح والستر وضبط النفس عن هيجان الغضب، وهو بالنسبة للإنسان مرشد في التربية، يعلّمه أن يكون حليماً مع أهله ومع الناس، ولكن لا بشكل أن يعرفوا من خلاله أنه غير قادر على العقوبة، فقد يتمادون في الإساءة. ويعلّمه أن يقف على مواطن الخطأ عند أحد منهم فيفرض عليه العقوبة المناسبة ويؤجل تنفيذها عسى أن يصلح المسيء حاله تجاهه فيصبح كل منهما مكسباً للآخر.

الحلم صفة كريمة نبيلة. حتى ورد في الأثر أن **(الحلم سيد الأخلاق)** وأن الحليم يكاد أن يكون نبياً.

وممن قدم أروع الصور في الحلم سيدنا محمد ﷺ حين رماه الكفار بالجنون والسّحر وكافة ألوان الأذى، وقذفوه بالحجارة حتى سال الدم منه، فلقد كان حليماً إزاء هؤلاء وما فعلوه به، وكان يدعو الله لهم قائلاً: «**اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

ومما نتعلمه من هذا الاسم، **الحليم**، أن الحلم هو مَلْكُ الغضب، والصفح مع المقدرة، فهو دون قدرة على المعاقبة نوع من الجبن، أما الصفح مع المقدرة فهو الحلم بعينه، والشدة بعينها. قال رسول الله ﷺ: «**ليس الشديد بالصّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1].

ومما نتعلمه من هذا الاسم أيضاً أن الحلم لا يكون صفة جيدة إلا أن يكون ناجماً عن علم بالأمور، لأن بطء الاستجابة مع الجهل بلادةٌ لا حلمٌ. وعلى هذا... على أن الحلم دليل رشد الإنسان وعلمه وحكمته الذي لا يؤدي به إلى ندمٍ وتفريط، فليسأل الإنسان نفسه: هل هو حليم؟ وإلى أي مدى؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد ومالك.

العظـيم

إن فعل عَظُمَ ومشتقاته اللغوية من الأفعال، التي وردت في القرآن الكريم لا تتجاوز بالعدد أصابع اليدين. إلا أن صفة **العظيم** قد وردت في ثلاث عشرة ومائة آية منه، عدا ما كان بمعنى العَظْم والعظام التي يتشكل منها جسد الإنسان والحيوان.

ومن يقرأ تلك الآيات لا بد سينتبه إلى ما وصفه الله تعالى العظيم بالعظيم، ومنها: **الأجر العظيم** الذي ورد في عشرين آية وهو الجنة، **والعذاب العظيم** الذي ورد في خمس عشرة آية وهو النار، لاحظ معي رحمة الله، **والفوز العظيم** الذي ورد في ست عشرة آية وهو الجنة أيضاً، لاحظ كم زادت رحمة الله، **واليوم العظيم** الذي ورد في عشر آيات وهو يوم القيامة.

إن أول ما يخطر في البال بعد قراءة تلك الآيات أننا خلقنا لنعبد الله ولنعمل صالحاً فنكسب الأجر العظيم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المَائدة: ٩].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٧١].

وإلا فالعذاب العظيم، في يومٍ عظيم.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المَائدة: ٣٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٤٨].

إن العظيم ومشتقاته اللغوية تقابل الكِبَر والتكبير. عَظُم الشيء عِظَماً: كَبُر. وعَظُم الأمر: صَعُبْ، والعظمة: الكبر والتجبّر.

ويشير الدكتور ضياء الدين الجمّاس[١] إلى فارقٍ هو أن التعظيم كالتكبير، إلا أن التعظيم راجع لتأثر القلب. فتكبير شيء قد يؤدي لتأثر القلب به فيعظمه. والدليل على أن التعظيم من أفعال القلب وخصوصياته قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] . فالتعظيم رؤية الكبر في القلب، وأما التكبير فيكون بالفكر والعقل... فالتعظيم أبلغ من التكبير.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحَجّ: ١] ، أي أمر هائل لا يطاق، وهو من القلب، **والله عظيم** لأنه لا يُتَصوَّر. ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣] ، ولأنه كبير مؤثر في قلوب المتقين الذين يرون عظمته في قلوبهم فتخشع له جوارحهم وذلك من دلائل التعظيم.

ورد في الحديث القدسي الشريف «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**»[٢]، فاستأثر تعالى بالعظمة المطلقة، فلا حدود لعظمته، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] .

وعظّم الله بعض مخلوقاته من الناس كالأنبياء. فقال في حق النبيّ محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤] ، بما أدّبه به دون جميع الخلق، وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] [٣] إلى آخر الحديث الشريف، ونرى في ذلك إشارة إلى أن الإنسان يمكن أن يحقق لنفسه شيئاً من العظمة مهما كان ضئيلاً، كأن يصير عالماً، فيكون عظيماً بالنسبة لمن هم دونه في مرتبة العلم التي وصل إليها، أو إستاذاً، فهو عظيم بالنسبة لتلاميذه الذين ينظرون إليه هذه النظرة لقلة ما يعرفونه بالنسبة لما يعرفه هو. فإذا عرف العاقل شيئاً من صفات هؤلاء، الأنبياء والعلماء و... امتلأ صدره بالهيبة تجاههم، ولكن عليه ألا ينسىٰ بأنه لن يظلّ عظيماً أمام من يرتقي بعلمه إلى مستواه العلمي، فالأستاذ لن يظل عظيماً في نظر تلميذه حين يصير أستاذاً مثله، وقد ينقلب الأمر بينهما إذا حصل على مرتبة من العلم أعلى مما حصل عليه العالم أو الأستاذ.

---

(١) في ص ١٩٥ من كتابه: التفكر في الأسماء طريق العلماء.

(٢) رواه: أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه: البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد.

الغفور

ما أحوج المذنب، وما أحوج من كان في علاقاته اختلال مع الآخرين منا إلى اسم الله تعالى **الغفور**، الذي يعيد من يعرف كيف يستفيد منه إلى الله تعالى، ويصلح لمن يتمثل به بعد أن يفهم معناه علاقاته مع الآخرين. وفي هذين الاتجاهين سأتناول هذا الاسم الشريف دوناً عن سائر مشتقات الغفر اللغوية.

عن معرفةٍ منه بما في نفوسنا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يُوسُف: ٥٣]، ولذلك خاطب رسوله الكريم ﷺ في قرآنه المجيد قائلاً: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩]. تضعنا هاتان الآيتان أمام فعلين: ذنوب نقوم بها فنظلم أنفسنا، ومغفرة من الله الرحيم الكريم العفوّ يقابل بها ذنوبنا. إلا أن هناك فعلاً يجب أن نقوم به لتتحقق تلك المغفرة وهو التوبة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. فالتوبة إذاً: هي مكمن الاستفادة من اسمه **الغفور** الذي يشيع الطمأنينة في نفس المذنب ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠]، فهو لا يقفل بابه أمام التائبين المستغفرين حتى ولو أسرفوا على أنفسهم. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه رحمة منه تعالى كتبها على نفسه ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤]، ثم يبدل سيئاتهم حسنات ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣]، ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

وتلمّح تلك الآيات إلى وجوب الندم على فعل الذنب ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣]، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

ويجب أن تكون التوبة توبة نصوحاً. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] .

ولكنها ـ تلك الآيات ـ تصرّح بوجوب الإصلاح. «**ثم تاب من بعده وأصلح**»، «**إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً**»، «**ثم اهتدىٰ**»، فإن الله يتوب عليه ويجده غفوراً رحيماً يبدل سيئاته حسنات.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] ، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠] ، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] .

وبماذا يغفر الله لكم؟ ﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] ، ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الذين يحبون الله ويتبعون الرسول فيما أمر الله به وينتهون عما نهى عنه فيكسبون رضاه تعالى ومغفرته على ما مضى من ذنوبهم. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

وهو تعالى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] ، فحذار من الوقوع في أعظم وأكبر الذنوب وهو الكفر بالله والإشراك به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦] ، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨ و١١٦] .

والاستغفار هو طريق النجاة ومفتاح الرزق. وهو ليس استغفار اللسان فقط بل استغفار الجوارح أيضاً والندم والإقلاع عن الإثم والرجوع إلى الله تعالى بالتوبة.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

والغفر في اللغة هو الستر، إلا أنهما يختلفان في أن الغفر يتعلق بالذنب،

أما الستر فهو خلق عام لا يتعلق بالذنوب[١]، فهو ستر تكتم فيه الفاحشة فلا تنتشر ولا يشعر مرتكبها أنه قد سقط من أعين الناس فتبقى له كرامته ريثما يصلح أعماله.

والله تعالى يكتم عيوب عبيده ما لم يفضحوا أنفسهم ويجاهروا بالمعصية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ١٩]، والغفور من الناس هو الذي يسامح على أخطاء الآخرين ابتغاء مرضاة الله. فلا يقتصّ منهم مع قدرته على ذلك. ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشّورى: ٤٣] أي من مكارم الأخلاق فلا يقفل بابه أمام المعتذرين ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّغابُن: ١٤].

قال رسول الله ﷺ: «**من ستر على مؤمن فاحشة فكأنما أحيا موؤودة**»[٢].

وقال ﷺ أيضاً: «**لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا سترة الله يوم القيامة**»[٣]. وما أنفع أن نكرر الدعاء الذي رواه الإمام البخاري ويسمى سيد الاستغفار وهو قول الرسول ﷺ: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[٤] لم يفت القطار بعد، فاسمه تعالى: **الغفور**، يبعث الأمل في نفس كل إنسان في مغفرة الله، بعد الندم والتوبة، والقيام بالعمل الصالح.

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٣١٥

(٢) أخرجه: البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه في شعب الإيمان.

(٣) أخرجه: مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه: البخاري والترمذي والنسائي.

الشّكور

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف: ١] ، يعلّم الناس الخير ويهديهم للتي هي أقوم، فيأتمرون بما أمرهم الله به وينتهون عما نهاهم عنه. يشكرون الله على هديه ويشكرهم على ذلك بمجازاتهم على أعمالهم الصالحة.

لقد بيّن القرآن الكريم مفهوماً عميقاً للشكر إذ جعله في مقابلة الكفر، ومعنى ذلك أن الشكر أصله الإيمان. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، أي إما مؤمناً بالله شاكراً نعمه التي أنعمها عليه، وإما كافراً بالله جاحداً لربوبيته، وجعل الشكر علاقة متبادلة بين الله تعالى وبين العبد.

فالعبد يشكر الله على نعم كثيرة أسبغها عليه.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] ، فالشكر من العبد لله هو الاعتراف بنعمه وفضله عن طريق الخضوع له. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يونس: ٦٠] الأمر الذي يوجب شكره على فضله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [تتمة الآية السابقة] . إن نعم الله كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وخاصة نعمة الإيمان وبعثة النبي محمد ﷺ رحمة للعالمين كل هذه النعم. ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] . ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠]، أفلا نشكر الله القائل في كتابه العزيز ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]. من الحكمة أن نشكر الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ [لقمان: ١٢] لأن شكر المخلوق للخالق هو خير وثواب سيعود عليه ﴿وَسَيَجْزِى

﴿ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٧٤] ، وجعله آخر كلامهم ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يُونس: ١٠] .

والشكر يعني خضوع الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمه والثناء عليه بها، وقال ابن مسعود «الشكر نصف الإيمان» ويكون بالقيام بالأعمال الصالحة. ويكون على عدة أشكال: بالقلب واللسان والجوارح. فأما بالقلب: فهو تصوّر النعمة وقصد الخير وإضماره للخلق كافة.

وأما باللسان: فهو الثناء على المنعم وإظهاره بالتحميدات الدالة عليه. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] . قال رسول الله ﷺ: «**الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره**» (١)، وقال ﷺ: «**ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً**» (٢).

وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته.

ومن دلائل قبول الخالق شكر المخلوق: الزيادة في النعمة. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] . وقال رسول الله ﷺ: «**خصلتان من كانت فيه كتبه الله شاكراً وصابراً: من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله الله عليه**»(٣).

وقال ﷺ: «**أول من يدعىٰ إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء**»(٤) وروي عنه ﷺ أنه قال: «**ينادى يوم القيامة: ليقم الحمادون. فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة**»، وقيل: من الحمادون؟ قال ﷺ: «**الذين يشكرون الله تعالى على كل حال**». وفي لفظ آخر: «**الذين يشكرون الله**

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٢) أخرجه ابن ماجه وأحمد.
(٣) أخرجه الترمذي.
(٤) أخرجه الحاكم والطبراني.

على السراء والضراء»[1].

ولقد قرن الله تعالى الشكر بالذكر في القرآن الكريم فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] . ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٦] .

هذه هي العبادة التي للسماء، لله تعالى، وهناك إحسان على الأرض اقترن بعبادة الله وهو الإحسان للوالدين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣] فأمر بعبادته، ومباشرة بالإحسان للوالدين، وربط شكر العبد له بشكر العبد لوالديه أيضاً ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمَان: ١٤] .

والله بجلاله وعلوه يشكر العبد، وشكره وللعبد هو مغفرته له. فهو يقبل التوبة من عباده ويجازيهم عن القليل من العمل الصالح في العمر القصير بالكثير من العطاء وحسن الثواب وهو نعيم غير محدود في الدار الآخرة. ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فَاطِر: ٣٠] .

إن شكره تعالى خلق من أخلاق الربوبية ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّغَابُن: ١٧] أوجب على نفسه إثابة الشاكرين له الذين يسعون للدار الآخرة ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] .

وقال في الحديث القدسيّ: «**إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري، فما لهؤلاء الكافرين**» ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: ٦٧].

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن.

العــليّ

العلوّ هو ارتفاع المنزلة، **والعلي** هو الرفيع القدر وهو الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الرُّوم: ٢٧] أي الكمال المطلق فاستحق أن يعلو على خلقه بقدرته وسلطانه وليس بارتفاع المكان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحَجّ: ٦٢]، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فعلا بذاته وصفاته عن مدارك الخلق بالكنه والحقيقة، وعلت عن الإدراك ذاته وكبرت عن التصور صفاته.

وهو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرَّعد: ٩]، العظيم الشأن، فكل شيء هو دونه واستعلى عليه بقدرته وسلطانه.

ويرجع علوه تعالى إلى واحدٍ من ثلاثة أمور: إلى أن لا يساويه شيء في الشرف والعزّة فيكون هذا الاسم من أسماء التنزيه. أو إلى أنه قادر على كل شيء والكل تحت قدرته وقهره فيكون من أسماء الصفات المعنوية. أو إلى أنه يتصرف في الكل بقدرته فيكون من أسماء الأفعال[1].

وإن تعظيم العباد له وإجلالهم إياه لا يزيدان شيئاً من علوه وكبريائه.

والعلو شعار ينبه الله الإنسان إلى رفعه في حياته، ويبين له منهجه الذي يتمثل في التواضع لله والإيمان به.

فمن أدب هذا الاسم أن يتواضع الإنسان إلى ربه ويتذلل له ولا يتكبر عليه ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الدّخان: ١٩]، فعند ذلك يرفع الله قدره. وعليه أن يجنح إلى معالي الأمور دائماً، ويتذكر أن ما من منزلة رفيعة يبلغها إلا والله فوق ذلك.

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٠١.

وفي الإيمان قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] بالله ورسوله حق الإيمان ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥] أي المنازل الرفيعة.

الكبير

جملة أحاسيس تنتابك حين تلفظ اسمه تعالى **الكبير**، تقف على رأسها تلك القدرة الإلٰهية، وهي المراد من هذا الاسم الشريف. وسرعان ما تحسّ معها بالهيبة والعظمة والعلوّ.

وبحسب قدرته فإن الله سبحانه وتعالى بكبره مدح المادحين ووصف الواصفين، وتصاغر أمامه الكبراء والعظماء. فكبره هو كبر جلال وعلوّ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، وكبر عظمة، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثِّر: ٣] ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسرَاء: ١١١] ، أي عظّمه بعبادتك له تعظيماً يليق بجلاله وقدرته وكماله إلٰهاً واحداً لا شريك له.

تفتتح صلاتك بتكبيره «**الله أكبر**»، فتعدّ الله كبيراً بمعنى أنه أكبر من كل كبير.

وفي تاج العروس عن تعبير الله أكبر فيه قولان: أحدهما معناه: الله كبير. وضع أفعل موضع فعيل كقوله تعالى: «**وهو أهون عليه**» أي هو عليه هيّن. والقول الآخر: أن فيه ضميراً، والمعنى: «**الله أكبر كبير**». وكذلك **الله الأعزّ**، أي أعزّ عزيز. وقيل معناه: الله أكبر من كل شيء أي أعظم، فحذف لوضوح معناه. وقيل معناه الله أكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته[1].

وللمرحوم كاتب الإسلام مصطفى صادق الرافعي عبارة يصور فيها أثر كلمة **الله أكبر** تصويراً رائعاً يقول فيها:

«الله أكبر»: بين ساعات وساعات من اليوم ترسل الحياة في هذه الكلمة نداءها. تهتف: أيها المؤمن إن كنت أصبت في الساعات التي مضت، فاجتهد للساعات التي تتلو. وإن كنت أخطأت فكفّر وامح ساعة بساعة، الزمن يمحو

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٠٦.

الزمن، والعمل يغيّر العمل، ودقيقة باقية في العمر هي أمل كبير في رحمة الله[١].

وفي هذا الاسم دعوة للإنسان ليكون كبيراً. كبيراً عند الله وكبيراً بين الناس. ويكون كبيراً عند الله بالتذلل والتواضع له لأنه تعالى يرفع من قدره، ويكون كبيراً بين الناس ـ كما يقول الغزالي ـ عندما لا تقتصر عليه صفات كماله بل تنتقل إلى غيره، فلا يجالسه أحد من الناس إلا وينتقل إليه شيء مامن كماله، وإنما يكون كمال العبد في عقله وورعه وعلمه[٢].

وكان الرسول ﷺ يدعو: «**اللهم اجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً**»[٣].

(١) الموسوعة، ج١، سبق ذكرها. ص ٢٠٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٨ بتصرف.

(٣) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير.

الحفـيظ

حفظ الشيء هو رعايته وصونه وحرسه ومنعه من الضياع والتلف. والحفيظ هو الأمين والحارس الموكل بالشيء، فالحفظ حراسة تستوجب الأمانة وذكر الأصفهاني: أن الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها ينبت ما يؤدي إليه الفهم وتارة لضبط النفس، ويضاده النسيان. وتارة استعمال تلك القوة، فيقال حفظ كذا حفظاً. ثم يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية. وعلى هذا يكون لاسم الحفيظ معنيان: أحدهما ضد السّهو والنسيان ويرجع معناه إلى العلم، والله سبحانه وتعالى حفيظ للأشياء بمعنى أنه يعلم جملها وتفاصيلها علماً لا يتبدل بالزوال. وثانيهما: الحفيظ الذي هو ضد التضييع، وهو حراسة ذات الشيء وجميع صفاته وكمالاته من العدم[1].

فالله حفيظ، أي فعيل في معنى فاعل فهو حافظ وحفيظ، وهو خير الحافظين، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٦٤] ،

حفظ جميع خلقه ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هُود: ٥٧] ، وممن حفظ: القرآن والإنسان.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩] ، لأنه منهج حقيقي كامل وثابت للناس في حياتهم، فحفظه عن كل تغيير وتبديل، وعن أي زيادة ونقصان، وعن كل تبديل وتحريف.

وحفظ الإنسان. ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطّارق: ٤] بأن أرسل عليه حَفَظَة يحصون أعماله للحساب والجزاء. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعَام: ٦١] .

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢١٠.

والحفيظ من العباد كما يذكر الغزالي هو من يحفظ جوارحه وقلبه، ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان.

وهو من يجتهد بحفظ نفسه عن اتباع الشهوات، ومن يحفظ قوته العملية عن الانقياد لمقتضى الشهوة والغضب[١].

قال رسول الله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٢].

فكيف يحفظ الإنسان الله، وكيف يجده تجاهه؟ ليتذكر الإنسان دائماً أن الله أرسل على عباده رقباء من الملائكة يحفظون أعمالهم ويحصونها عليهم ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الإنفطار: ١٠و١١]. وهذا يقتضي أن يراقب الإنسان نفسه، وكلما كانت المراقبة للنفس أشد كلما كان الحفظ الإلٰهي أقوى وأمتن. وأشرف الحفظ أن يحفظ الإنسان نفسه من الوقوع في المخالفات، ويكون ذلك بدوام مراقبة القلب والإكثار من الذكر وحضور مجالس العلماء والعارفين.

ورحمة منه بين الله سبحانه وتعالى لعباده سبل حفظه، ولخصها كلها في أمرين: اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وحفظ حدوده فقال: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] وهم المتمسكون بأوامره ونواهيه، وبين تلك الحدود[٣]، ووصف من يتعداها بأنه ظالمٌ نفسه، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ، وأشار إلى أن إطاعة الرسول ﷺ هي من إطاعته، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] ، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾ [الشورى: ٤٨] .

كما بين أشياء محددة ذكرها في القرآن الكريم وأمر بحفظها، نذكر منها:

ـ **حفظ اليمين**: فقال تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ٨٩]، فلا تنكثوها إلا في فعل برٍّ أو إصلاح بين الناس.

---

(١) الموسوعة، ص ٢١٣.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) راجع مادة (حدود) من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

ـ **حفظ الصلاة**: لأنها تعصم عن الوقوع في الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، فقال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨] (١).

والمقصود بحفظ الصلاة هو إقامتها في أوقاتها ومراعاة شروطها وأركانها والمواظبة عليها، والمقصود أيضاً أن تكون صلاة حقيقية خالصة لوجه الله تعالى، ففي إقامتها على أوقاتها حفظ للعبد من كل معصية ورذيلة. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] أي الذين يقيمونها في أوقاتها، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] . وحذّر من يتلهّى أو يغفل عنها، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]، الذين هم عن أداء صلواتهم في أوقاتها لاهون وغافلون. الذين إن صلّوا لا يرجون ثواباً، وإن تركوا الصلاة لا يخشون عقاباً. ووصف هؤلاء بالنفاق، بينما وصف المؤمنين بأنهم هم الذين لأماناتهم ولما عاهدوا الله أو عاقدوا الناس عليه فيما يسمح به الشرع راعون، أي حافظون للعهود والعقود، الذين يقيمون الصلاة في أوقاتها، وقال تعالى فيهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٨و٩] .

ـ **حفظ الفرج**: فلقد حرّم الله الزنا في آيات كثيرة، وأمر بحفظ الفرج فذلك أزكى للإنسان. ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النُّور: ٣٠، ٣١] ، فذلك أطهر لقلوبهم وأحفظ لدينهم، وقد أعد لهم لقاء ذلك مغفرة وأجراً عظيماً. ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، وحذّر من ارتكاب الزنا، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ [الفرقان: ٦٨].

وروي عن بعض الصحابة أنه قال(٢): إياكم والزنا فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة:

---

(١) وهي صلاة العصر على أرجح الأقوال.

(٢) مكاشفة القلوب، بعناية الجادر وعبد ربه، سبق ذكره، ص ١١٦.

فأما التي في الدنيا: **فنقصان الرزق، وقطع الأجل، وسواد الوجه.**

وأما التي في الآخرة: **فغضب الله، وشدة الحساب، ودخول النار.**

واللواط أشد من الزنا لما روي عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من لاط لا يجد رائحة الجنة، وإن رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام**».

وقال محمد بن كدام لرجل وهو يوصيه: «اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك، وابذل كيسك لإخوانك كما تبذل لهم لسانك، واحفظ لسانك عما لا ترجو فيه الثواب كما تحفظ كيسك من سلفة لا ترجو الربح فيها».

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

المُقـيـت

ارتبط اسم الله تعالى **المقيت** بالرزق لأنه المتكفل برزق العباد من الطعام الذي يحفظ حياتهم. ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

خـلـق الأرض ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فُصِّلَت: ١٠].

قال أهل اللغة: إن المقيت هو المقتدر على الشيء. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النِّساء: ٨٥] أي مقتدراً، وهو بمعنى الرزاق ولكنه أخصّ منه لأنه يتناول القوت وغير القوت[١]. ولذلك فرق العلماء بين اسم **المقيت** وبين اسم **الرزاق**، فقالوا إن المقيت هو خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهي الأطعمة، وإلى القلوب وهي المعرفة.

وذكر القشيري أن المقيت بمعنى الحفيظ ومعطي القوت. وفي تاج العروس أن المقيت هو الحفيظ والمقتدر[٢].

ولقد وردت مادة القوت في الحديث الشريف فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**»[٣]، أي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم.

وفي هذا الاسم دروس هامة يجب على الإنسان أن يتعلمها ويعمل بها، أهمها:

١ - ألا يبخل المعيل على من تلزمه نفقته من أهله وعياله، وأن يكون خير مقيت لهم لا ينقص عليهم شيئاً لقول رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرء إثماً أن**

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره. ص ١١٣.

(٢) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢١٦.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد.

يضيع من يقوت»[1].

٢ ـ ألا يقبل إلا الحلال الطيب ليرتفع عند الله ذكره ويعظم أجره.

٣ ـ وألا يطلب حوائجه كلها إلا من الله تعالى لأن خزائن الأرزاق بيده. وقال الله تعالى لموسى في الحديث القدسي «**يا موسى: اسألني في كل شيء حتى في شراك نعلك وملح قدرك**».

(١) أخرجه أبو داود وأحمد.

الحسيب

ذكر الرازي أن لمعنى **الحسيب** ثلاثة وجوه[1]:

الحسيب: بمعنى الكافي، لقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني فأعطاني ما كفاني حتى قلت حسبي.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، فهو كافيك أنت ومن اتبعك من المؤمنين.

وبهذا المعنى فإن **الحسيب** يعلمنا التوكّل على الله لا التواكل عليه أو على بعضنا، والتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه، ثم الاعتماد عليه والثقة به، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه ما أهمّه.

الحسيب: بمعنى الشريف، الذي له صفات الكمال والجلال والجمال، وهو من الشرف، والشرف هو العلوّ والمجد والحسب، ولله تعالى ينتهي كل شرف في الوجود.

قبل الإسلام كان الحسب عند العرب المال وشرف الآباء، وتغير مفهومه بعد الإسلام فصار بالتقوى وتطبيق أركان الدين والقيام بالعمل الصالح.

الحسيب: بمعنى المحاسب، فالله تعالى يحاسب خلقه يوم لقائه.

يستوقفنا هذا المعنى أمام عدة أمور تتمحور في أمرين هامّين ركّز القرآن الكريم عليهما في آيات كثيرة منه، وهما: العمل في الدنيا، والحساب في الآخرة، وهذا من حقّ الله تعالى على من استخلفه في الأرض لعمارتها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وسنعرف نتيجة هذا اللقاء في نهاية هذا المبحث، ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا

---

(١) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره، ص ٦٧ بتصرف.

حِسَابِيَهْ﴾ [الغَاشِيَة: ٢٥، ٢٦] .

العمل في الدنيا:

خلق الله الإنسان وبين له طريق الخير وطريق الشرّ ليختار أحدهما، فقال عزّ من قائل: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البَلَد: ١٠] ، ولذلك تنضوي أعماله تحت أمرين هما الإيمان أو الكفر. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسَان: ٣] ، وأرسل ملائكة يحصون أعماله عليه، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]، ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [إبراهيم: ٥١] .

فكل حركة وسكنة للجسد والقلب والعقل مرصودة مسجلة عند الله تعالى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النّساء: ٨٦] ، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القَمَر: ٥٣] .

هاتان الآيتان الأخيرتان، والآيات التي لها الفحوى نفسه تجعلنا نتساءل عما إذا كانت تتضمن تهديداً من الله للإنسان أم تحذيراً له، وللوصول إلى الإجابة يجب أن نعرف معنى كل من المصطلحين في اللغة. فالتهديد هو التخويف والتوعد بالعقوبة، أما التحذير فهو التخويف في سبيل التيقظ والاستعداد للأمر والتنبّه لما تخشى عاقبته.

لقد اشتمل المعنيان معاً على التخويف، ولكن فرقاً بين النوعين، فحاشىٰ الله أن يهدد العبد وهو مترفع عن ذلك وليس هنالك ما يدعوه إليه، بل إن من أسمائه **اللطيف، الرحيم، الكريم**، . . . ومن لطفه ورحمته وكرمه فإنه يحذّر فقط، والتحذير نوع من التنبيه ليأخذ الإنسان حذره، فيستقيم على شرعه، مطبقاً أوامره ومجتنباً نواهيه، مستعيناً عليه في ذلك كله.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القَمَر: ٥٣] ، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]. حتى ما يخفيه الناس في أنفسهم فسوف يحاسبون عليه، ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤] ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزَلة: ٧، ٨] .

ومن كمال الرحمة الإلٰهية أن لله تعالى قانوناً عاماً في حساب الأعمال يجب أن يعلمه كل إنسان، وهو أن الحسنة تكافأ بعشرة أمثالها، بينما يجازي على السيئة بمثلها فقط، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا

﴿يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ورزقه بغير حساب، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١٢] .

إن اسمه تعالى الحسيب، يرشدنا إلى الاستعداد لذلك الحساب، وأول هذا الاستعداد أن يحاسب المرء نفسه.

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيئوا للعرض الأكبر، يومئذٍ تعرضون على ربكم لا يخفى عليه منكم خافية».

فإذا حاسب الإنسان نفسه فليراقبها بعد ذلك، وكلما كانت مراقبتها أشدّ كلما كان الحفظ الإلٰهي أقوى لها وأمتن، ثم يتّقي الله في أعماله وفي أقواله، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطّلاق: ٢] ، ويتجنّب الكفر والضلالة. ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: ٢٦] .

الحساب في الآخرة:

لننظر معاً إلى بعض صور يوم الحساب في القرآن الكريم:

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الفُرقان: ٢٦] .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٧ ـ ٢٩].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٢] .

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢٦] .

وليتصرّف العاقل.

الجـلـيـل

عرّفت بعض المصادر الجلال على أنه التناهي في عظم القدر. وأجمعت على أن **الجليل** هو الموصوف بنعوت الجلال، وهي العزّ والملك والتقديس والعلم والغنى والقدرة والنزاهة وغيرها، والجامع لجميعها هو **الجليل المطلق وهو الله سبحانه وتعالى**

وقيل: إنه المستحق للأمر والنهي، وإنه الذي جلّ قدره في قلوب العارفين وعظم خطره في نفوس المحبين[1]. وإنه الذي لا يدانيه أحد في الذات ولا في الصفات، وهو عند الإمام فخر الرازي: الكامل الذات والصفات[2].

لم يرد اسمه تعالى **الجليل** في القرآن الكريم بل وردت مادته في آيتين من سورة الرحمٰن.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧] .

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٨] .

ويقول بعض العلماء إن صفات الحق أقسام[3]:

ـ صفات جلال: وهي العظمة والعزة والكبرياء والتقديس وغيرها. وكلها ترجع إلى معنى الجليل.

ـ صفات جمال: وهي صفات اللطف والكرم والحنان والعفو والإحسان. وكلها ترجع إلى معنى الجميل.

ـ صفات كمال: وهي الأوصاف الذاتية التي دونها جميع العقول

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٢٦.

(٢) التفكر في الأسماء، سبق ذكرها، ص ١٤٢.

(٣) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٢٨.

والأرواح.

وهناك صفات ظاهرها جمال وباطنها جلال. مثل اسمه **المعطي**.

وهناك صفات ظاهرها جلال وباطنها جمال. مثل اسمه **الضار، النافع**.

وقد تحدث الغزالي عن الفرق بين الجليل والكبير والعظيم فذكر أن الجليل يرجع إلى كمال الصفات، والكبير يرجع إلى كمال الذات. أما العظيم فهو الذي يرجع إلى كمال الذات والصفات جميعاً[١].

إن هذه الصفات تبعث الإنسان على الجلال والإجلال لله تعالى وهما من أعمال القلب[٢] إذ تظهر فيها هيبة **ذي الجلال** بما يخشع له القلب ويسكن مع قدر عظيم من المحبة. وقال رسول الله ﷺ: «**ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام**»[٣] فإن ذلك يجلب المغفرة لقوله ﷺ: «**أَجِلُّوا الله يغفر لكم**»[٤].

وللإنسان أن يتصف ببعض نعوت الله سبحانه وتعالى فيكون جليلاً، ويكون جلاله بقدر ما ينال من هذه النعوت[٥].

وذكر الرازي أن حظ العبد من اسم الله تعالى الجليل هو براءته عن العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة واتصافه بالمعارف الحقة والأخلاق الفاضلة[٦]. ويكون له ذلك بقدر ما تحسن صفاته الباطنة التي تستلذها القلوب.

وأدب المؤمن مع الله **الجليل** هو أن يتحلى بالجمال وأن يتذكر أن الله هو الذي أفاض عليه الجمال سواء أكان جمال صورة أم جمال حسّ. وجمال التقوى بالمعاني هو أعلى من جمال الأبدان.

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره. ص ١١٧.

(٢) التفكر في الأسماء، سبق ذكره. ص ١٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي عن أنس، وأحمد والنسائي والحاكم في المستدرك عن ربيعة بن عامر ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد وأبو يعلى، والطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ﷺ.

(٥) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره، ص ٦٩.

(٦) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٢٩.

الكـريم

يصعب أن تجد تعريفاً واحداً موجزاً للكرم الذي هو في حق الله تعالى **الكريم**، ولذلك فإنك واجد تعاريف كثيرة للكرم في حقه تعالى، وكلها صحيحة وتنطبق عليه، ولعل عنوانها جميعاً أنه المعطاء بغير حدود ودون أي مقابل، ولذلك **فهو أكرم الأكرمين**.

قال الجنيد: **الكريم** هو الذي لا يحوجك إلى وسيلة.

وقال الحارث المحاسبي: **الكريم** هو الذي لا يبالي من أعطى.

وقيل: **الكريم** هو الذي يعطي من غير منة وبغير سؤال.

ووصفه الغزالي بقوله: **الكريم** هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجا[1].

ويصعب أيضاً أن تحصي مظاهر كرمه. والقليل جداً جداً منها أنه يعفو عن السيئات ويغفر الذنوب ويكافىء عن العمل القليل بالثواب الجليل، فإذا استغفره عبد من ذنب غفر له ذنبه وأبدله حسنة.

ومن كرمه أيضاً أنه جعل الدنيا ملكاً للعبد فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وجعل الآخرة ملكاً لهم أيضاً، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ولنكمل الآية فنعرف لمن أُعدت: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [تتمة الآية السابقة]. ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥] ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] .

وهذا غيض من فيض، فأي كرم ذلك الذي يتصف به الله سبحانه وتعالى؟.

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره ص ٣٧٧.

القرآن هو قرآن كريم ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقِعَة: ٧٧] ، لأنه كثير النفع. جمّ الفوائد. ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسرَاء: ٩] .

فالكريم اسم لكمال إحسان الله تعالى وإنعامه. «**إن الله كريم يحب الكرم**»[١].

والكرم صفة لا يصعب على الإنسان أن يتصف بها، لكن ذلك لا يكون له إلا في بعض الأمور فقط، وربما مع نوع من التكلف، والله تعالى خير قدوة في ذلك.

ارتبط الكرم بالخير، وله عدة درجات يمكن للإنسان أن يلج بعضها، وعنوان ذلك أن يسارع إلى كل خير يمكن أن يسارع إليه.

أما درجاته فهي الجود والوهب والسخاء. وهي تلتقي جميعها بأنها صفة من صفات الجود بلا عوض.

وفي اللغة:

كَرُمَ: أعطى عن طيب خاطرٍ وجاد.

جاد: سخا وبذل وتكرّم.

وهب: أعطى بلا عوض.

إلا أن هناك فرقاً بين الكريم والسخي، فالكريم هو كثير العطاء والإحسان من غير طلب أو سؤال، بينما السخي هو المعطي عند السؤال[٢].

والكريم من العباد هو من يسعى إلى أن يتجمّل باكتساب ما يمكنه من صفات الله الكريم. والكرم هو الجود، وهو صفة تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي من الخير لغير عوض أو منّة.

---

(١) حديث شريف، رواه الترمذي في الأدب.

(٢) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٣١.

والكرم يضاده البخل، وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن، وأصل البخل حب المال وطول الأمل وخوف الفقر، وهو خسّة يكفي صاحبه أن يجمع لغيره فلا ينال من لذة ماله.

ذمّه الله في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. وقال رسول الله ﷺ: «**أقسم الله تعالى أن لا يدخل الجنة بخيل**»(١). وقال أيضاً: «**خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق**»(٢).

وأوصى ﷺ بالابتعاد عن البخل لما يفعله في النفس فقال ﷺ: «**إياكم والبخل فإن البخل دعا قوماً فمنعوا زكاتهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم، ودعاهم فسفكوا دماءهم**»(٣).

بينما قال عن السخاء: «**السخاء شجرة من شجر الجنة، أغصانها متدلية إلى الأرض، فمن أخذ بغصنٍ منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة**»(٤). وعن السخي: «**السخيّ قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار**»(٥).

وفي كل ذلك حضّ على الكرم، وأقله أن يدفع المسلم ما عليه من زكاة ماله. والذين لا يؤتون زكاة أموالهم فلهم الويل، واعتبرهم الله سبحانه وتعالى من المشركين فقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصّلَت: ٦، ٧].

والزكاة تعطى للفقراء في سبيل الله ودون مقابل إلا ابتغاء وجهه الكريم،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
(٢) رواه الترمذي في البر والصلة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) كنز العمال، المجلد الثالث. للمتقي الهندي، وقال: رواه ابن جرير.
(٤) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه ابن حبان.
(٥) رواه الترمذي في البر والصلة.

وتؤكد الدراسات التي أجريت في هذا المجال أنه ما بقي فقير في المسلمين لو أدى كل مسلم ما عليه من زكاة ماله.

قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة**». قالوا يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: «**إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة**»[١].

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه أبو نعيم في الحلية بسند ضعيف.

الرقيب

كل اسم من أسماء الله الحسنى هو درس في التربية، **والرقيب** واحد منها، فالمراقبة: هي أحد عوامل التربية الرئيسة، وهي تقتضي عدة أحوال وأفعال أهمها الملازمة والحراسة والرصد والملاحظة والإحصاء. وغايتها شريفة نبيلة دائماً هي الحفظ من الانزلاق في مهاوي السوء.

والله الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] ، كان ولا يزال، يحفظ أعمال عباده ويجازيهم عليها. فالله تعالى قريب من العبد مطلع على كل أحواله لا يخفى عليه منها حال. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] ، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ، والرقيب في الآية معناه: الحافظ، والعتيد معناه: الحاضر.

هناك عدوان رئيسان للإنسان، نفسه الأمّارة بالسوء، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ، والشيطان. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] يتربصان به وينتهزان منه الفرص حتى يحملاه على الغفلة عن الله وعلى مخالفة أوامره، وبالمراقبة يستطيع صدّهما عن انحرافه لمزالق السوء مالم يضعف أمامهما.

المراقبة مفتاح كل خير، وهي تقتضي أن يعي الإنسان عدة أمور:

أولها: أن يعلم أن رؤية الله له سابقة على قيامه بأيّ من المحظورات، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] ، فإذا علم ذلك هاب الله وخاف سطوة عقابه فارتدع عن ارتكاب الإثم.

إن أساس مراقبة الإنسان لله في السرّ والعلن، ولنفسه إذاً هو علمه باطلاع الله على مافي طوايا ضميره ودخائل قلبه.

ثانياً: أن يعلم أيضاً أن ملكين يسجلان عليه أقواله وأفعاله كلها، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] ، فالملك الذي إلى يمينه يسجل الحسنات والآخر يسجل السيئات. وكل كلمة ينطقها أو فعل يقوم به أصبح في أحد كتابي الملكين، فإما له وإما عليه.

ولقد استشهد الغزالي على فضيلة المراقبة بالحديث الشريف: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[١].

(١) رواه مسلم.

المجـيب

جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «**مكتوب على ساق العرش: أنا مطيع من أطاعني، ومحب من أحبني، ومجيب من دعاني، وغافر لمن استغفرني**»[1]. وقال ﷺ: «**إن الله يستحي أن يرد يد عبده صفراً**»[2]. وفي أدعيته ﷺ كان يقول: «**يا مجيب دعوة المضطرين**».

فالله مجيب لأنه يلبي مطالب الطالبين ولا يملّ دعاء الداعين.

وهو جل وعلا قريب من عباده. ليس بينه وبين دعاء العبد له حجاب، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾،[البقرة: ١٨٦] فكيف يستثمر الإنسان هذا الاسم الشريف لمنفعته؟

إن الإجابة والاستجابة بمعنى واحد، فالله تعالى يدعونا إلى ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وعلينا الاستجابة لما أمر به بالطاعة والانقياد والانتهاء عما نهى عنه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فهو يأمر بكل خير، وفي أمره ونهيه منافع للناس، فلا يأمل العبد استجابة الله لحوائجه إلا ما كان منها في خير وصلاح لنفسه أو لمجتمعه، وهو لا يستجيب لطالب بالنجاح ما لم يدرس لذلك. ولا يستجيب لسارق ولا لزان ولا لمن كان يضمر الشر لنفسه أو لغيره من الناس، بل يستجيب فقط حين طلب الرحمة والعون على القيام بكل خير.

ولا يجزع الداعي لتأخير الإجابة، فلله حكمه في خلقه وهو يضمن للعبد إجابة الدعاء بما فيه خير العبد في الوقت الذي يريده هو لا الوقت الذي يريده

---

(١) مكاشفة القلوب، سبق ذكره ص ٣٤.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه بلفظ: «إن الله حييٌّ كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين».

العبد، وربما كان التأخير أفضل، لأن حكمة الله تامة، وعلمه كامل بينما صاحب الحاجة أرعن. وعلى العبد حين يدعو ربه أن يكون موقناً بالإجابة لقول رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»(١).

ومن معاني الدعاء في القرآن الكريم: السؤال(٢). ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، بمعنى اسألوه يعطكم، بشرط أن تعبدوه مخلصين له العبادة، فيثيبكم عليها ويزيدكم من فضله أكثر مما تستحقونه من الثواب. ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦] ، و﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرّعد: ١٨] وهي الجنة التي يدخلها العبد برحمة الله، بالإيمان والطاعة.

وفي الحديث الشريف: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(٣).

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] والذي لا يجيب داعي الله فلا مهرب له من عقابه، ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هُود: ٦١] .

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] هذه الدعوة سماع تفهّم وقبول، قبل أن يأتي يوم العذاب ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] .

إن الله غني عن أن يجيب العبد سؤله، وما على العبد إلا أن يستجيب لطاعته، إلا أن الإنسان لا يستغني عن سؤال أخيه الإنسان مما أنعم الله به عليه من علم أو مال أو من إغاثة، وعلى من يريد التحلي بهذا الخلق أن يستجيب لأمر الله تعالى القائل في كتابه العزيز: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] ، فلا يتوانىٰ عن إجابة السائل، وعن قضاء حاجة الملهوف بقدر استطاعته، فالاستجابة

---

(١) رواه الترمذي والحاكم.

(٢) راجع مادة (دعا) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص ٣١٦ وما بعدها.

(٣) رواه الترمذي.

تقتضي القدرة ولا تجب إلا عند المقدرة، فمن الخطأ أن تجيب رجلاً يغرق في الماء لاستغاثته وأنت لا تجيد السباحة، وإلا تتضاعف خسارة المجتمع.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٣ ـ ١٩٥] .

الواسع

الواسع مشتق من السعة وهي ضد الضيق، ولها معانٍ عديدة منها: الإحاطة. والشمول، الكثرة والغزارة، . . . التي لا ينتهي أي منها بالنسبة لله تعالى إلى نهاية، فكان أحق باسم **الواسع** المطلق.

ففي الإحاطة قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] أي أحاط به. وفي الشمول ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وفي الكثرة والغزارة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

ومن معاني السعة أيضاً: القدرة والطاقة وهما في غير حق الله تعالى، إذ لا حدود لطاقته وقدرته.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو واسع من كل شيء بلا حدود، واسع العلم، واسع الرزق، واسع الملك، واسع الرحمة، واسع المغفرة، . . . وشمل سلطانه السموات والأرض وما بينهما، وفي الخبر: «ما السموات السبع والأرضون السبع من الكرسيّ إلا كحلقةٍ في فلاة».

ورد اسمه، **الواسع**، في ثمان آيات من القرآن الكريم اقترن باسمه **العليم** في سبعٍ منها ومرة بالمغفرة. ووردت صفته **واسعاً** في آية واحدة اقترنت **بالحكمة**.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

لا حدود لمدلولات أسمائه وصفاته تعالى. وللإنسان من هذا الاسم فوائد كثيرة بحسب معنى كل مشتق منه، فاسأله من كل ما تحتاجه «**وإذا سألت فاسأل**

الله»[١] لأن سعته تتجلى في كل ما يخطر في البال.

ولذلك فإن من يتفكر بآلاء اسمه **الواسع** فإن أفقه الفكري يتسع ويجعله أوسع علماً ويورثه حالة من التعظيم القلبي لحضرة الله سبحانه وتعالى ويزيد قلبه إيماناً به. ورد في الحديث القدسي: «**إن السموات والأرض ضعفت عن أن تسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن**».

إن كل واسع غير الله ناقص، فسعة الإنسان من أي شيء تبقى نسبية بالنسبة لسعة الله تعالى من هذا الشيء فإن كثر علمه فهو واسع بقدر هذا العلم، وإن اتسعت أخلاقه فهو واسع قدر اتساعها.

وتتفاوت السعة من كل أمرٍ بين إنسان وآخر بحسب القدرات النفسية والعقلية والمادية لكل منهما، إلا أن المجال مفتوح أمامهما للاتساع، ويكفي الإنسان اتساعاً في المعارف والأخلاق التي تقتضي أن يتخذ أسبابها.

مما يتعلمه الإنسان من هذا الاسم أن يكون واسع (أي كثير ودائم) الطاعة لله، واسع الإحسان والأخلاق لنفسه وللناس. «**إن لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**»[٢]. وبقدر ما يستطيع المرء، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، فلا يحمل الله نفساً من النفقة والمشقة وأي التزام آخر إلا بقدر استطاعتها وتحملها، وأكد الله تعالى على معنى هذه الآية في أربع آيات أخر[٣].

ومن فوائد هذا الاسم أيضاً أنه يعلّم عدم القنوط من رحمة الله حتى لو جنيتم على أنفسكم بالإفراط في ارتكاب المعاصي والذنوب ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، فاليأس من رحمة الله نوع من الكفر، ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) حديث شريف. رواه الترمذي باب صفة القيامة والرقائق والورع: عن ابن عباس ﷺ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أجد له أصلاً.

(٣) راجع مادة (وُسْعَها) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص ٨٤١.

كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣]. وعلى الإنسان أن يحذر من أن هذه الرحمة لا تكتب للعاصين والكافرين المصرّين على عصيانهم وكفرهم ما لم يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً ويؤمنوا به ويدفعون ما عليهم من حقوق للغير. ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

الحكيم

الحكمة هي معرفة الأشياء بأفضل العلوم، ووضع الأمور، وهي العلم والتفقّه والعلّة ـ في مواضعها الصحيحة وفي أوقاتها المناسبة تماماً.

والحكمة في حق الله تعالى هي معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان والكمال. ولذلك **فالله تعالى هو الحكيم المطلق** الذي أتقن كل شيء وهذه صيغة تعظيم لحضرته. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: ٨٨].

ورد اسمه تعالى **الحكيم** و(**حكيماً**) اثنتين وتسعين مرة في القرآن الكريم، اقترن **بالعليم** و(**عليماً**) في ست وثلاثين منها، و**بالعزيز** و(**عزيزاً**) في سبع وأربعين والله أعلم.

إنه عليم حكيم[1]، ومن مظاهر ذلك أنه عالم الغيب والشهادة، يعلم ما لا نعلم، هدانا سنن الذين من قبلنا، ولأنه يرفع درجات من يشاء، لطيف لما يشاء، صاحب فضل ونعمة، وهو في السماء إلٰه وفي الأرض إلٰه.

والفارق بين **العليم والحكيم** أن العليم هو الذي يكشف حقائق الأمور، أما الحكيم فهو الذي يجعل العلوم والتصرفات متناسبة بأفضل وضع لها لتحدث أثراً ذا قيمة خيّرة[2].

وهو عزيز حكيم[1]، ومن مظاهر ذلك أنه لو شاء لأعنتنا[3]، من عنده النصر وعليه الاتكال، كلمته هي العليا، له الكبرياء، وله المثل الأعلى في السموات والأرض.

---

(١) راجع إذا شئت الآيات التي ورد فيها اسمه تعالى **الحكيم** في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. مادة (حكم)، ص ٢٦٢ وما بعدها.

(٢) التفكر في الأسماء، سبق ذكره ص ١٨٨.

(٣) أي كلفنا ما يشق علينا. راجع تفسير الآية رقم ٢٢٠ من سورة البقرة.

قرآننا حكيم ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١ ولقمان: ٢] لأنه من كلام الله **الحكيم** سبحانه وتعالى. ووصف كلامه بأنه حكيم لأن كل حرف فيه قد جاء في موضعه المناسب.

ولله في خلقه شؤون، ومن حكمته أنه خصّ بعضهم بالسعادة وبعضهم بالشقاء، بعضهم بالغنى وبعضهم بالفقر، بعضهم بالعلم وبعضهم بالجهل، بعضهم بالعزّ وبعضهم بالذّل... ليبلو كل فريق بما قسمه له منها، إلا أن حكمته هذه لم تخل من رحمته التي تجلّت ببعثة النبي محمد ﷺ ليعلم هؤلاء جميعاً الكتاب والحكمة. ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومن اسمه **الحكيم** يستفاد بالنسبة للإنسان بأمرين[١]:

١ ـ أن للإنسان هدفاً في حياته قد خلقه الله من أجله، فهو لم يخلق عبثاً، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٢ ـ وأن هناك يوماً يجمع فيه الناس للحساب والجزاء، فإما ثواباً وإما عقاباً. وهذا يوجب على كلٍ من هؤلاء ـ الأغنياء والفقراء وغيرهم ـ أن يسعى لأن يكون حكيماً في حياته، فيعمل صالحاً ويتقن ذلك لقول الرسول لله: «**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**»[٢] وأن يكون على حالة مرضية أساسها العمل بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه، مجتهداً في العبادات بعيداً عن مواطن الشبهات، لينال أجره في الآخرة.

الحكمة بالنسبة للإنسان كنز ثمين ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] ، وهي تقتضي أن يعرف العبد الله حق المعرفة ليكون حكيماً، ومن يعرف أجلّ الأشياء وأفضلها من الناس ولم يعرف الله ﷻ لا يستحق أن يكون حكيماً. و«**رأس الحكمة مخافة الله**»[٣] والاتعاظ بكتابه ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره ص ١٩١.

(٢) رواه أبو يعلى والعسكري في كشف الخفاء عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) حديث شريف. رواه أبو بكر ابن لال الفقيه والبيهقي في الشعب.

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٣١] لتطبيق أحكام الشريعة وتحقيق الصواب في القول والعمل لضمان سعادة الدارين.

والحكمة بالنسبة للإنسان تقبل التعلّم، ومن يتعلم القرآن ويعمل به فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

قال رسول الله ﷺ: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**»[١].

(١) أخرجه الترمذي. كتاب صفة القيامة، وابن ماجه في كتاب الزهد والإمام أحمد في مسند الشاميين.

الـودود

ورد في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «**مكتوب على ساق العرش: أنا مطيع من أطاعني، ومحب من أحبني، ومجيب من دعاني، وغافر لمن استغفرني**»[1].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٣، ١٤].

الودود في تاج العروس: فعول بمعنى مفعول. وهو من الودّ أي المحبة، فالله تعالى مودود أي محبوب في قلوب أوليائه. وفعول بمعنى فاعل، فهو يحب عباده الصالحين، بمعنى يرضى عنهم.

ويرى الرازي أن الودود بثلاثة معانٍ[2].

الأول: الودود بمعنى الوادّ، والود بهذا التفسير قريب من الرحمة، لكن الفرق بينهما أن الرحمة تستدعي مرحوماً والود لا يستدعي ذلك.

والثاني: أن يكون معنى كونه ودوداً أن يودّهم إلى خلقه لقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

والثالث: أن يكون فعول بمعنى المفعول، فالله تعالى مودود في قلوب أوليائه لكثرة وصول الإحسان إليهم.

فالودّ من العلاقات المتبادلة بين الخالق والمخلوق. وهو أبلغ رسوخاً في القلب من المحبة، فهو المحبة العميقة في القلب الرابطة للمحبين.

لقد تجلّت محبة الله لعباده بصور شتى، من عناوينها رحمته على من يستحق الرحمة منهم، وإنعامه عليهم، والإحسان إليهم. فمن كان من هؤلاء فالأجدر به

---

(١) مكاشفة القلوب، سبق ذكره، ص ٣٤.

(٢) أسماء الله الحسنىٰ وخواصها، سبق ذكره، ص ٧٧.

أن يبادل الله ودّه بالودّ، وهو خلق رفيع يربّيه الله في قلب المؤمن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥] وهو ثمرة الإيمان والعمل الصالح يقذفه الرحمن في القلب بعد الإيمان. ومن لم يكن منهم فلا بأس عليه فالله يدعوه ليكون منهم بالاستغفار والتوبة، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هُود: ٩٠] . ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] .

ولقد بين الله تعالى في القرآن الكريم كيف نحبه، وذلك باتباع رسوله ﷺ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] ، فالرسول ﷺ يعلم طاعة الله وذكره، والامتثال للأوامره والكف عن نواهيه. والمؤمن لا يوادّ من حادّ الله ورسوله، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

ومن يحب الله يحب رسوله المبشر المعلّم الخير والصلاح، ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وعليه أن يتودد إلى نفسه الطاهرة المخلصة في عبادة الله فيزكيها ويؤكد الصلة بها، لا نفسه الأمارة بالسوء.

وعليه أن يتودد إلى الناس، وذلك اعتبره رسول الله ﷺ نصف العقل لقوله: «**التودد إلى الناس نصف العقل**»[(١)].

والودود من الناس من يريد الخير لخلق الله كما يريده لنفسه. وأعلى من ذلك[(٢)] من يؤثرهم على نفسه، ويكتمل ذلك له إذا لم يمنعه الغضب والحقد كما قال رسول الله ﷺ حين آذوه وأدموه: «**اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**[(٣)]» فلا يمنعه سوء صنيعهم عن إرادته الخير لهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق من أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ١٢٢.

(٣) رواه مسلم والبخاري وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه.

عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [المُمتَحنَة: ٧] فتنقلب العداوة إلى أخوة.

وقيل إن شرط المحبة أن لا يزداد بالوفاء ولا ينتقص بالجفاء.

ويكون التودد إلى الناس بالأعمال التي تجعل المحبة في قلوبهم وبما يرضي الله ﷻ، فيحب للعاصي التوبة، وللصالح الثبات في تقواه، أفلا تشرب القلوب من بعضها بهذه المحبة ويتذوق الناس تأثير الوداد؟

المجيـد

ورد هذا الاسم في أربع آيات من القرآن الكريم[1]، اثنتان منهما في حق الله تعالى، والأخريان في حق القرآن، فوصفه **بالمجيد** بقدر ما وصف ذاته به، كيف لا وهو كلام ذاته العليّة؟.

الله المجيد:

أي التامّ المجد، وترجع معاني هذا الاسم إلى المجد الكامل الشامل لحضرته سبحانه وتعالى. فمن معاني المجد: الكرم، والعزّ والرِّفعة والمروءة والشرف والنبل و... ولذلك فهو الرفيع العالي، الكثير الخير والإحسان على عباده، العظيم في ذاته وصفاته. ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] ، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]. وفي تاج العروس: إن اسمه **المجيد** يجمع معنى **الجليل والوهاب**.

القرآن المجيد:

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [قَ: ١] ، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البُرُوج: ٢١] ، وتتشابه صفات القرآن الكريم إلى حد كبير مع صفات الله سبحانه وتعالى، فهو قرآن: كريم، شريف، كثير النفع لكثرة ما تضمنه من العلوم والمعارف، والمكارم والمقاصد العليا، والفوائد الدنيوية والأخروية، وليس كما زعم المنكرون من أنه شعر أو سحر أو كهانة، ولذلك تعهّد الله بحفظه فجعله ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البُرُوج: ٢٢] وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، من التبديل

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. مادة (مَجَد)، ص ٧٥٩.

والتحريف والزيادة والنقصان.

أفلا يريد الإنسان بعد هذا الوصف أن يتخلّق ولو ببعض معاني المجد وقد دلّه الله على ذلك في وصفه لذاته ولقرآنه؟ فتعال نستمجد بما أمكننا من هذه الصفات ونتماجد بذلك بين الناس.

الباعث

لم يرد اسمه **الباعث** في القرآن الكريم بهذه اللفظة، بل وردت مادة البعث في مواطن كثيرة منه أخذت عدة معانٍ لغوية، منها ما يختص بالله سبحانه وتعالى كالبعث في بعض معانيه، ومنها ما يمكن أن يمسّ الإنسان بحالٍ من الأحوال، لكنها جميعاً تبعث على فوائد للإنسان يجب أن يستقي منها.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي كانوا على دين واحد، فبعث الله النبيين مبشرين بالثواب لمن آمن وأطاع، ومنذرين بالعقاب لمن كفر وعصى. فمن معاني البعث إذاً: الإرسال، ومن هذا الإرسال فائدة تبيّن بغية الله منه، وهي عبادته. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والطاغوت هو كل ما يعبد من غير الله.

ومن فوائده أيضاً أن يعلم الإنسان أن هناك ثواباً أو عقاباً ينتظره في يومٍ يُبعث فيه جميع الخلق، فيجازىٰ الإنسان على أعماله، فيستعد لذلك اليوم.

إن من أكبر الفوائد للإنسانية بعثة النبي محمد ﷺ رحمة لها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وخصّ المؤمنين بذلك ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [تتمة الآية السابقة]، فيطهرهم من دنس الذنوب والآثام ويعلمهم القرآن والسنة.

ومما قد يخطر في البال هنا سؤال عما إذا كان ثواب أو عقاب مسلم اليوم وقد مضىٰ على بعثة النبي ﷺ ما يقرب من خمسة عشر قرناً يختلف عن ثواب أو عقاب المسلم الأول.

والجواب بالنفي طبعاً لثبات القرآن الكريم وما جاء فيه، إلا أن الباعث

على السؤال هو ما يتمتع به مسلم اليوم من زيادة بالغة في العلوم والمعارف في عصر التقنيات والسرعة والاتصالات على مسلم الأمس، التي تبعث زيادته في معرفة الله والإيمان به.

ومن معاني البعث في حق الله أيضاً إحياء الموتى ليعرضوا على الله في يوم يبعثون فيه ليجازى كل منهم بما اكتسبت أو اقترفت يداه. وهذا ما ترجع إليه حقيقة البعث عند الغزالي[1]، وهو من أغمض المعارف، إذ لا تزال للبعض من الناس في مسألة البعث توهمات وتخيلات مبهمة، ولا يزال بعضهم ينكر ذلك اليوم، ويدّعي دون برهان أن لا حياة للإنسان بعد موته. ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التَّغَابُن: ٧] ، وهذا من عمل الشيطان الذي دأب على الوسوسة للإنسان منذ آدم عليه السلام، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] ، فكان باعثاً على نزوله إلى الأرض، ولا زال يوسوس لبنيه بكل مامن شأنه أن يوقعهم في الشرك والكفر.

إن الدخول في عالم الغيبيات ليس له برهان إلا الإيمان بالله والتصديق بما أنزله في القرآن الكريم. الموت حقيقة مؤكدة من عالم الغيبيات التي صدّقها الإنسان الحيّ من خلال أخيه الذي فارق الروح، أما يوم البعث فهو من الغيبيات التي لم يدركها الإنسان أو يعرف تفاصيلها إلا من آمن بما أنزل الله به من الآيات: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، أي المرجع والمعاد.

لقد وصف الله سبحانه وتعالى الذين زعموا ذلك الزعم بالكفر، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يُونس: ٩٩] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحَجّ: ٥] ، فجدير بالذي خلقنا من تراب أن يبعثنا من جديد، فليزدد إيماننا بأن الله سيبعث الخلق كلهم ليوم لا شك فيه، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ

(١) الموسوعة، سبق ذكرها، ج ١، ص ٢٧٦.

يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحَجّ: ٧] ، وليزدد إيماننا بقول الله تعالى عن الذين كذّبوا في الآخرة، ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، فوفّى لكم بوعده ووعدتكم باطلاً أن لا بعث ولا جزاء. ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] .

وحظ الإنسان من اسم الله **الباعث** أن يطبق معناه اللغوي وهو السبب أو الداعي وعنوان ذلك أن يكون سبباً في كل خير وداعياً عليه، وحظه من البعث تطبيق معانيه التي تخصه ومنها الإثارة أو التحريض فيقوم بالأعمال الصالحة لنفسه ولأهله ولمجتمعه التي تبعث على السرور والطمأنينة والخير على وجه العموم، وأن يسعىٰ دائماً للاستزادة من المعارف والعلوم التي تبعث في نفسه وفي روحه الحياة أي التي تثيرها فيها. ولقد ذكر الله تعالى العلم والجهل في كتابه وسمىٰ الأول منهما حياة والثاني موتاً.

إن كمال أسماء الله وجمال خلقه هو باعث لكل مؤمن أن يحبه ويتخلق بأخلاقه التي تعلم ـ مما تعلمه ـ الاستقامة. ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: ١١٢] ، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٩] .

الشّـــهيد

ارتقت كلمة الشهيد من رتبة الإنسان إلى مرتبة الله ﷻ، حيث اكتسبت بعضُ مشتقاتها كثيراً من صفات السموّ والعلوّ، فلم ترتبط ببعض حواسّ الإنسان وبعض خلاياه فقط، بل احتلّت مكانه هامة في معاملاته المالية. وارتقت إلى منزلة رفيعة حين أطلقت على من باع نفسه لربّه، وأرفع من ذلك حين صارت صفة من صفات الرسول ﷺ، إلى أن نالت شرف أن تكون اسماً من أسماء الله تعالى.

إن لمادة شَهِدَ مشتقات لغوية عديدة اختلفت معانيها، منها:

شَهِدَ: أي بيّن ما يعلمه.

شهد بالله: حلف به.

شاهَدَ: رأى مع المعاينة، والفرق بينه وبين رأىٰ: أن الثاني أبصر بعينه، والرؤية هي المشاهدة بالبصر، وقد يراد بها العلم مجازاً.

الشاهد: هو الحاضر، الدليل، الذي يؤدي الشهادة.

الشهيد: يرجع معناه إلى العليم مع خصوص إضافة.

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس[1] أن مادة (شهد) تدل على الحضور والعلم والإعلام، فالشهيد مشتق من الشهود بمعنى الحضور ويستلزم ذلك العلم.

الله سبحانه وتعالى الشهيد: هو المحيط بأعمال العباد المطلع على جميعها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحَجّ: ١٧]، فهو يرى أفعال خلقه ويعلم سرّهم ونجواهم فلا تخفىٰ عليه خافية ولا يمكن للإنسان الاستخفاء منه.

وهو «**عالم الغيب والشهادة**» وقد ورد ذلك في عشر آياتٍ من القرآن

---

(١) الموسوعة، سبق ذكرها، ج ١ ص ٢٧١.

الكريم[١]. والغيب هو عبارة عما بطن من الأمر، والشهادة ما ظهر منه، والكلام في هذا يقرب من الكلام في العليم والخبير.

شهد الله تعالى برسالة الرسول ﷺ، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

ولذلك فإن أعلىٰ الشهادات بعد **لا إله إلا الله** أن **محمداً رسول الله**، المرسل شاهداً على الناس مبشراً المؤمنين بالجنة ونذيراً للكفار بالنار. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وأعطاه سبحانه وتعالى اسمه **الشهيد** فقال جلّ وعلا: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النّساء: ٤١].

والشهيد وما يشتق منه لغةً في حق الإنسان كثير، مختلف المعاني وجمّ الفوائد، ومنها ما يتعلق بعلاقته مع خالقه، ومنها ما يتعلق بمعاملاته مع الناس.

ومما ذهبت إليه في علاقة الإنسان مع ربه:

١ ـ أن يؤمن بالله الذي قدم له الدلائل (أي الشواهد) على وحدانيته.

٢ ـ أن يخشىٰ الله في أقواله وفي أفعاله، فلا يظنّن أنه ما يقوله أو يفعله سراً يخفىٰ على الله الذي يعلم سرّه ونجواه. فما كان منها في معصية الله فسوف يحاسب عليه، وستشهد على ذلك أعضاؤه يوم القيامة. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّور: ٢٤]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ـ أي النار ـ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصّلت: ٢٠] من المعاصي وما كانوا يرتكبون من الكفر والآثام. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ

(١) راجع مادة (شهد) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٧٩ وما بعدها، أو مادة (غيب) في ص ٦١٨ وما بعدها منه.

أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢١، ٢٢].

٣ ـ الشهادة، والشهيد هو الذي يبيع نفسه لربه. وهو لغةً: من قُتل في سبيل الله دفاعاً عن عقيدته أو عن أرضه وماله أو خرج يسعىٰ لعياله وأهله أو خرج يسعىٰ لطلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع، وإذا مات، مات على الشهادة بإذن الله تعالى ما دامت نيته خالصة لوجهه ﷻ.

والشهيد نوعان: شهيد المعركة، وشهيد غير المعركة.

فأما شهيد المعركة: فهو الذي يستشهد في سبيل الله، وهذه الشهادة هي أصدق برهان على صحة الإيمان، وطريق الخلود في جنان الله والفوز برضوانه. ولا تُكتب للأمة العزة والكرامة إلا بجسور من الضحايا.

ولقد كتب الله الحياة والخلود للشهداء. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩] ، والشهيد يتبوأ منزلة عالية في الجنة مع الأنبياء والمرسلين. وقال الرسول ﷺ عن الشهداء: «**أرواحهم في جوف طير خضْرٍ، لها قناديل معلّقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل...**»[(١)]، ويُغفر للشهيد كل ذنبه إلا الدَّيْن لقول رسول الله ﷺ: «**يُغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن**»[(٢)] لتعلقه بحقوق الناس المادية.

ولما للشهادة من لذّة ولما للشهيد من كرامة قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده: لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**»[(٣)]. ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحَديد: ١٩] .

وقد يسأل سائل[(٤)]: ولماذا سمي المقتول في سبيل الله من الناس بالشهيد؟ وقد تعددت في ذلك وجوه التأويل والتفسير: إما لأنه حيّ، فروحه شهدت

(١) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.
(٢) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ في كتاب الإمارة.
(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ.
(٤) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها، ص ٢٧٢.

وحضرت دار السلام، أو لأن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة، أو لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعدّه الله تعالى له من الثواب والكرامة، أو لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه، أو لأنه شُهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، أو لأن عليه شاهداً شهد بكونه شهيداً وهو الدم، فإنه يُبعث يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً، أو لأنه ممن يشهد على الأمم يوم القيامة، أو لأنه سقط عند قتله على الأرض، والأرض تسمى الشاهدة، أو لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، أو لأنه شهد المغازي.

وسمي الشهيد شهيداً[1] لأنه مشهود له بالجنة، أو لأنه حيّ عند ربه حاضر شاهد، أو تشهد موته الملائكة.

وشهيد المعركة هو الذي يستحق الفضائل السابقة، وقد أورد الفقهاء تعريفات متقاربة له بحسب رأيهم في بعض المسائل المتعلقة به.

وأما شهيد غير المعركة، فمثاله المقتول ظلماً من غير قتال، والغريق إذا مات بالغرق والغريب إذا مات في الغربة، وطالب العلم إذا مات على طلبه، أو من مات عشقاً[2] وغيرهم.

وحديث رسول الله ﷺ، «**من قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»[3] يعلمنا الدفاع عن النفس وعن المال وعن العِرض.

ومما ذهبت إليه ـ مشتقات الشهيد ـ في علاقاته مع الناس: فلقد شملت عديداً من هذه العلاقات، كما في القضاء، كالزواج والطلاق، أموال اليتامىٰ، الدَّيْن... على سبيل الذكر لا الحصر.

١ ـ ففي القضاء: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، وغالباً ما تحتاج المؤسسات المناط بها تحقيق العدل إلى شهود حين تنظر في قضية ما. والشاهد هو الذي يعلم أمراً يخصّ تلك القضية فيبينه ويظهره للمحكمة.

---

(١) الزحيلي، د. وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته، ج ٢ دار الفكر بدمشق. ص ٥٥٤.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: من عشق وعفّ وكتم فمات، مات شهيداً. وشرطه العفة والكتمان.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

من صفات المؤمن أنه يستر على العيوب فلا يظهرها، أما عند لزومها في مجال القضاء لإحقاق الحق فلا يجوز له كتمانها. ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البَقَرَة: جزءاً من الآية ٢٨٢] ، وحذّر القرآن الكريم من كتمان الشهادة ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٣] لأنه سيرتكب معصية الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٠] .

والمؤمن لا يقدم شهادة إلا إذا كان يعلم بها علم اليقين، فإذا أدّاها فليكن ذلك خالصاً لوجه الله تعالى لا لغرضٍ ما، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطَّلَاق: ٢] ، ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢] ، بمعنى أن لا تلحقوا الضرر بالكاتب ولا بالشاهد، كأن يلحّ الرجل على الكاتب بأن يكتب له ما يريد، أو يلح على الشاهد إلا أن يشهد في صالحه.

ولا يشهد بالزور، ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠] ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] فهؤلاء ينالون الدرجة الرفيعة في الجنة.

٢ - وفي مسائل الزواج والطلاق قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطَّلَاق: ٢] .

٣ - وفي أموال اليتامى الموكلين عليها فادفعوها لهم إذا بلغوا النكاح: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [النّساء: ٦] بأنهم استلموها منكم.

٤ - في الدَّيْن قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ..... وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: جزء من الآية ٢٨٢]، ويستوقفنا هذا الجزء من الآية عند بعض الأسئلة التي تتعلق بالمرأة من حيث الشهادة، وقد يكون في ذلك خروج عن الموضوع تسوّغه أهمية البحث فيه.

لماذا رجلان أو رجل وامرأتان؟ ألا يمكن أن يضلّ الرجل أيضاً؟ أفي ذلك انتقاص للمرأة وشك في قدرتها على الشهادة أو في عدم أهليتها لذلك؟ أهي نصف الرجل؟ أم لأنها في طبعها أكثر عاطفية منه؟

لا هذا ولا ذاك.

فالرجل يمكن أن يضلّ أيضاً ولذلك أمر الله برجلين. وليس في ذلك أي انتقاص لها مما ذكر. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨] ، وهي النصف المكمّل للرجل لا نصفه. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النّساء: ١] ، وليس للعاطفة علاقة بالشهادة إذا أراد الشاهد ـ رجلاً كان أو امرأة ـ أن يشهد بالحق.

تتلخص الإجابة بأنه تنصب اهتمامات المرأة ـ في وجه العموم ـ في واجباتها تجاه بيتها وأهلها أكثر من أن تكون لها علاقة مع الرجال وبخاصة في مسائل الدَّيْن والبيوع والمعاملات المالية، فالرجل في هذه المسائل أكثر قدرة منها على التعامل مع الرجال ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨] . ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النّساء: ٣٤]، أي بسبب ما منحهم الله من خصائص الرجولة التي تناط بها مثل تلك العلاقات أكثر مما تناط بالمرأة.

٥ ـ وفي رمي المحصنات: وهذه قضية أخلاقية مهمة في المجتمع، إذ تجد أكثر المراهقين وبعض الجهلاء يرمون المحصنات بالزنى، وهن النساء الحُرّات أو العفيفات أو المتزوجات البريئات مما يرمون به، فأمر الله بجلد أولئك ثمانين جلدة إذا لم يأتوا بأربعة شهداء حتى لا تكون الأعراض لعبة بين أيدي البعض. ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النُّور: ٤] ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٥] .

الحــقّ

إن اسمه تعالى **الحق**، واسع شامل، ولا يمكن أن يفيه بحث صغير كهذا البحث حقه، إلا أن المراد هو الإلماح إلى بعض معانيه علّ أن يتحقق منها ولو جزءاً من الفائدة المرتجاة.

تستبان الأمور بأضدادها، والحق ضد الباطل. وهو بمعنى الثابت الذي لا يزول، الموجود غير المعدوم أو المنتفي، وهذا هو الحق المطلق.

وحقّ الأمر: إذا صحّ وثبت ووجب، وإذا تحققت من شيءٍ ما، فمعنى ذلك أنك تيقنت من كونه ووجوده، أما الباطل فهو المعدوم أو المنتفي.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أصدق ما قالت العرب كلمة لبيد: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل**»[1]، ومعنى كلمة لبيد أن الله تعالى هو الحق وليس شيء سواه بحق.

اقترن اسمه **الحق** بأسماء أخرى، مثل: **الملك**، ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، **المبين**، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥]، **الرب**، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، [يونس: ٣٢] **المولىٰ**، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وذكر الرازي في تفسير هذه الآية[2] أنهم اختلفوا هل الحق اسم من أسماء الله تعالى مع أنه مصدر، وأسماء المصادر لا تجري على الفاعلين إلا مجازاً. ويمكن أن يقال: الحق هو الموجود، وأحق الأشياء بالموجودية هو الله سبحانه لكونه واجباً لذاته فكان أحق الأشياء بكونه حقاً هو الله.

وتعرّض تفسير المنار للآية ذاتها[3] فكان مما ذكره أن وصف الاسم الكريم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق.

بمولاهم الحق يدل على أن ردّ هؤلاء إليه حتم لأنه سيدهم الحق الذي يتولى أمورهم ويحكم بينهم بالحق.

وردت كلمة الحق في القرآن الكريم بعدة معانٍ لغوية، منها[1]:

ـ الوجوب والثبوت: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [صٓ: ١٤]، الصدق: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [يُونس: ٥٥].

ـ مطابقة الحكم مع مقتضى الواقع والحكمة: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

ـ الهدىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: ٣٢].

ـ النصر والتأييد: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

ـ وبمعنى جوهر الشيء وعينه وجوداً: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقِعَة: ٩٥]. وبمعنى الظهور إلى عالم الواقع: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يُوسُف: ١٠٠].

وبمعنى الجدير: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

وبحسب قول لبيد السابق ذكره فعلى الإنسان أن يرىٰ نفسه باطلاً فلا يجد حقاً غير الله تعالى. وهو إن كان حقاً فهو حق بالله لا بنفسه لأنه موجود به لا بذاته. وعلى هذا فلا يتصف المخلوق بأن الحق لأنه ليس موجوداً دائماً. بل عليه اتباع الحق. وهذا الاسم الشريف، **الحق** كغيره من أسماء الله تعالى عظيم الفائدة له لأنه يعلمه معاني الحق ومواطنه.

وعلى رأسها عبادة الله الحق وحده لأن كل ما سواه باطل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [لقمان: ٣٠]. ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٧، ٨].

والإيمان بالقرآن الكريم: الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره. ص ١٧٥.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨] ، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] وهو القرآن الكريم الذي لا يجوز عليه أي تبديل أو تغيير.

والإيمان بالرسول ﷺ: الذي كانت بعثته بالحق، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] ، أي أرسلناك بالدين الحق الذي ختمنا به الرسالات بشيراً للمؤمنين بالجنة ونذيراً للكافرين بالنار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] . ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

نحن أمام بعث وحساب. والفائز من كان قوله وعمله في معاني الحق. ومن لا يقر بواجب الوجود فإن عقيدته تكون ضالة وليس فيها من الحق في شيء. وقد هدانا الله إلى الحق. ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥].

الوكيل

إن الله هو القوي، ولذلك يحتاجه كل إنسان، قليل الحيلة وكثيرها أيضاً، ويحتاج إليه لأنه تعالى المدبّر، فيوكّله في أمره.

الوكيل: هو القادر على التصرّف في أمرٍ نيابة عن آخر غير قادر عليه، فإذا فُوّض بالتصرّف في ذلك الأمر أصبح وكيلاً.

ولقد حمل **الوكيل**، كاسم من أسماء الله تعالى في آيات القرآن الكريم معنى أهلية التصرّف بالتفويض المطلق دون إذن أحد لقصور وجهل كل من سواه[1]. فالتوكيل يتضمّن التفويض... وكلَ إليه الأمر: اعتمد عليه فيه وفوضه إليه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] سبحانه وتعالى، ولذلك فالمؤمن هو من يوكل أموره كلها إلى الله ﷻ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١] فإذا توكل على الله فلأنه يعلم أن الله كافل له رزقه وأمره، ولذلك يركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره.

والتوكل: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في كل الأحوال وفي كل الأمور، وهو فرع من فروع التوحيد والمعرفة، وهو لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل الإنسان مأمور به[2].

ولنا في قصة الأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ: أأعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل؟.. درس في فهم معنى التوكل نأخذه من إجابة الرسول ﷺ للأعرابي إذ قال له: «**اعقلها وتوكل**».

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٤٣١.

(٢) مكاشفة القلوب، بعناية الجادر وعبد ربه، سبق ذكره، ص ١٥٧.

فما معنى العقل؟ ومامعنى أن نعقل؟

العقل لغة: هو الإمساك، والنُّهى، وما يقابل الغريزة التي لا اختيار لها، وهو أيضاً ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات.

أما: عَقَلَ: عَقَلَ البعير: أي ضمّ رسغ يده إلى عضده، وربطهما معاً[1].

فالفعل إذاً: هو الأخذ بالأسباب، فلا يترك الإنسان (العاقل) أموره سائبة ويرجو بعد ذلك النجاح أو الفوز. فالطالب لا ينجح بدون دراسة كافية واعية لدروسه، فإذا درس واجتهد فليتوكل على الله بالنجاح. وكذلك المريض.. يأخذ الدواء ثم يتوكل على الله رجاء منه بالشفاء...

ومن الجهل أن يظنّ المرء أنه هو صاحب التصرّف حينما تأتي الأمور على هواه.

ولنا في رسول الله ﷺ قدوة في التوكل على الله، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

الفرق بين التوكل والتواكل:

هناك فرق كبير بينهما يندرج تحت عنوان الأخذ بالأسباب بالنسبة إلى التوكل، والاعتماد كلياً على الغير دون الأخذ بها بالنسبة للتواكل، والرجاء والأمل بلا عمل.

فالإنسان الوَكْلُ: هو العاجز الكثير الاتكال على غيره، فلا يكن الإنسان وكْلاً.

قال رسول الله ﷺ: «**حسبي الله ونعم الوكيل أمان كل خائف**».

وعلمنا ربنا أن نقول: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤]، ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢]. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٠].

---

(١) المعجم المدرسي. مادة: عَقَلَ، ص ٧١٨.

القـويّ

القوة: تعني القدرة، مادية كانت أو معنوية. وهي ضد الضعف. وفي حق الله تعالى تدل على القدرة التامة.

والقوي: هو من كان ذا قوة **والله تعالى قويّ** لأنه لا غالب له، تصاغرت أمام حضرته كل قوة، فلا يعتريه أي ضعف أو وهن، ولأنه القادر كامل القدرة على التأثير في كل من سواه دون أن يتأثر بأحد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ، وهما صفتان تدلان على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة. والله تعالى من حيث أنه بالغ القدرة تامها.. قوي، ومن حيث أنه شديد القوة.. متين[1].

مظاهر القوة كثيرة، ويتشابه بعضها فيما بين الفرد والمجتمع، ومن مظاهرها: الطاقة على العمل، الإرادة، ملك النفس عند الغضب، وضبطها عند الشذوذ ومخالفة أوامر الله تعالى، الصبر، الجدّ والثبات، والوَحدة، و... كان النبي ﷺ يطلب القوة من الله، ويدعو: «**اللَّهم إني ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي**»[2]، لإيمانه ﷺ بأن ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] ، أي بمعونته وتأييده، للفرد والمجتمع والأمة.

ما أحوجنا اليوم إلى القوة لنعيد للحضارة العربية والإسلامية ألقها، ونعيدها إلى مكان الصدارة الذي كانت تحتله إحداهما بين الحضارات. ولتحقيق القوة أسباب يمكن أن نضع لها جميعاً عنواناً واحداً هو: تصحيح العقيدة، الذي يكفل تصحيح كل مسار خاطىء.

---

(١) الموسوعة، ج ١، سبق ذكرها، ص ٢٩١.

(٢) أخرجه الطبراني عن عمر رضي الله عنه.

وفي آيات كريمة من كتاب الله يمكننا أن نتعلم كيف نصير أقوياء، ومن ذلك:

١ - الإيمان بالله إيماناً مطلقاً لا يعتريه أي شك، والإيمان بأن النصر من عنده، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٦ والأنفال: ١٠].

٢ - أن ننصر الله، بإطاعته وإطاعة رسوله، وأن يكون رضاه هو الغاية، لا إرضاء النفوس، عند ذلك فإنه ينصرنا ويثبت أقدامنا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: ٧].

٣ - توحيد الصف بالقضاء على النزاعات بالعدل ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥].

٤ - التمسك بالدين الحق وتدبّر القرآن الكريم. ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الرُّوم: ٣١، ٣٢].

إن المسلم يؤمن بأن قوته من قوة الله ﷻ، ويسعىٰ إلى ألا تسود الفرقة بين المسلمين، فيحل الضعف والتشرذم محل القوة والوحدة، وتسود روح التنافر والتباغض بعد أن تتلاشى روح القرب والتحابب.

إن المسلم الفرد والمجتمع يسعيان إلى توحيد الصف، والفكر، ويساهمان في خلق الأجواء التي تمكن من تجاوز صعوبات الإصلاح.

ولن يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى دين الله الذي أمر به، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والتمسك بالقرآن الكريم، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣ والأعراف: ١٧١] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٠].

المتين

وردت كلمة **المتين** في القرآن الكريم ثلاث مرات[1] في حق الله سبحانه وتعالى، واحدة منها كاسم من أسمائه الحسنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨] والأخرى تكررت في آيتين متشابهتين في سورتين يصف الله فيهما كيده، فيقول: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣ والقلم: ٤٥] .

إن اسم الله تعالى، **المتين** مرادف لاسمه **القوي**، «**ذو القوة. . . المتين**»، ويذكر هذان الاسمان متواليين ومقترنين للمشاركة بينهما في أصل المعنى، ولذلك فإن هذا المبحث مرادف للمبحث السابق **القوي**.

متانة الشيء: هي شدته واستحقاقه وصلابته، فالمتانة تدل على شدة القوة، فإذا مَتُنَ الشيء فهذا يعني أنه صَلُبَ واشتد وقوي، ومنه المتين، وهو الشديد القوة.

والله تعالى هو **المتين** لأنه الكامل القوة والبالغ الشدة المتناهي بهما، فلا يؤثر عليه أحد ولا أية قدرة لأن قوّته وقدرته لا نهائيتان. لا يحتاج في إمضاء حكمه إلى جند أو مدد ولا إلى معين أو عضد، ويستحيل عليه أي ضعفٍ أو عجز.

هذا عن اسمه **المتين**، أما عن كيده. ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ فمعنى ذلك باختصار أن الله يمهل العصاة والمذنبين والكفار «**وأملي لهم**» فلا يعجّل العقوبة لهم. فإن لم يرجعوا عن كفرهم ولم يتوبوا عن ذنوبهم فإن بطشه بهم لشديد، وعذابه لهم لا يطاق لأنه لا يهمل «**إن كيدي متين**».

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: مَتَنَ، ص ٧٥٧.

وكيده هذا سبحانه وتعالى هو للإصلاح، سواء كان في عقوبة مجرم أم في حماية مؤمن.

أين الإنسان من هذا الاسم الشريف، وما هو حظه منه وهو لم يرد إلا في حق الله تعالى؟

لوتدبر الإنسان آيات الله وعرف أنه يستمد متانته من متانة الله لوجد حظاً كبيراً له من هذا الاسم.

بالنسبة لغير المسلم فإن ذلك يتحقق له بدخول دين الإسلام. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] ، وهو دين الفطرة السليمة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبَة: ٣٦ والروم: ٣٠] ، المستقيم الذي لاعوج فيه. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥] .

وعلى المسلم أن يعتصم بالله ويتمسك بشرع دينه. ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦]، فمن يعتصم بالله ويتمسك بقوة بدينه وطاعته فإنه يمتن مستمداً ذلك من الله **المتين**.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحَجّ: ٧٨] ، أي ثقوا بالله وتوكلوا عليه فهو وليكم وناصركم ومتولي أموركم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحَجّ: تتمة الآية السابقة] .

ومن فوائد هذا الاسم أيضاً أن يسعى الإنسان لأن يكون متيناً في جميع مناحي حياته، العلمية والثقافية والمادية وغيرها منها، وكذلك المجتمع في مختلف فعالياته، الاقتصادية والعلمية والثقافية والعسكرية و....

الـولـيّ

يشترك اسمه تعالى **الوليّ** مع اسمه **الوالي** الذي سيرد مبحثه لاحقاً بقاسم مشترك بينهما هو القرب، فللاسمين معاً معنى عام هو تولي الأمور بالرعاية مع فارق خاصٍّ بينهما، إذ تظهر خصوصية الولاية الإلٰهية على كل فردٍ في اسمه **الوليّ**، بينما يشير **الوالي** أيضاً إلى تدبير شؤون الرعية إجمالاً بشكل جماعي حكماً وقضاء[1]. فالوالي هو من يُرسَل إلى العباد فيتولى شؤونهم وتعليمهم أمور دينهم كخليفة لله في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٧٥]. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١].

ومن معاني الولاية: القرب، والمحبة، والنصرة، وولي الشيء: ملك أمره وقام به.

والوليّ: هو الله المتولي لعباده المؤمنين، يختصّهم بعنايته ونصره وسابغ كرمه.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠].

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [البَقَرَة: ١٠٧].

﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [فصلت: ٣١].

والرسول ﷺ ولي بهداية الناس إلى الله، وتأتي بمعنى الحب والنصرة فإن المؤمنين أولياء لبعضهم بعضاً. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. والمؤمن: هو من يتخذ رسول الله ﷺ قدوة له في ذلك، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٤٣٥.

﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠١] .

والصالحون هم الذين آمنوا، ينصرهم الله ويتولاهم بعونه وتوفيقه، ويخرجهم من ظلمات الشكّ والشرك إلى نور الهداية والإيمان، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧] ، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩] الحق. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الشورى: ٤٤] .

أما الكفار فلا مولى لهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١١] ، ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البَقَرَة: تتمة الآية ٢٥٧] مَثَلَهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العَنكبوت: ٤١] .

إن أولياء الله هم أنصار دينه وأشياع طاعته، المقبلون بكليتهم على نوره سبحانه وتعالى، المقتدون برسوله ﷺ، الشادّون أزر بعضهم بعضاً. والولي من العباد كما يقول الغزالي هو من يحب الله ويحب أولياءه، وينصره وينصرهم، ويعادي أعداءه ومنهم النفس والشيطان[1]، فمن خذلهما ونصر أمر الله ووالى أولياءه وعادى أعداءه فهو الولي من العباد.

وقال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النِّسَاء: ١٤٤] ، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: ١١٣] . والركون هو مطلق الميل، وقال النيسابوري في تفسيره: قال المحققون: الركون المنهيّ عنه هو الرّضا بما عليه الظّلمة، أو تزيين طريقهم وتحسينها عند غيرهم، ومشاركتهم في شيء من أبواب المظالم، فأما مداخلتهم لدفع شيء من الضرر أو اجتلاب منفعةٍ عاجلة فغير داخلة في الركون[2].

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الشورى: ٨]، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الجاثية: ١٩] .

---

(١) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره ص٨٧.

(٢) مكاشفة القلوب، بعناية الجادر وعبد ربه، سبق ذكره، ص ٢٠٦.

الحميد

الحمد: يعني الثناء بالجميل، وهو نقيض الذم. حَمَد الشيء: رضي عنه واستراح إليه، وحَمَّدَ فلاناً: أثنى عليه مرّة بعد مرّة، فهو حامد وذاك محمود وحميد. والله تعالى محمود، أي فعيل بمعنى مفعول فهو حميد، استحق الحمد بكرمه وجزيل نعمه.

ويذكر الغزالي أن الله هوالحميد بحمده لنفسه أولاً، وبحمد عباده له أبداً، ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال[1].

فلقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نفسه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فَاطِر: ١] ، وبذلك علّم عباده كيف يحمدونه ويتقربون إليه، ونحن نحمده لأسباب لا نحصيها، منها: لأنه رب العالمين، خالق السموات والأرض، لأنه هدانا، ولأنه أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولأنه فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، ولأنه يقضي بيننا بالحق، . . . مهما حمد الإنسان ربه فهو لن يحصي عليه شيئاً من كمالاته اللانهائية التي يجب على الإنسان تقصّيها ومعرفتها فيحمد الله عليها، إذ يأبى الله أن يقول العبد في وصفه ما لا يعلم ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٩] .

تذهب بعض المعاجم إلى أن الحمد هو الشكر، وهذا خطأ[2]، فالحمد هو رؤية المحامد والثناء عليها، وهو أساس للشكر، فالشكر ناجم عن الحمد، والحمد هو إجلال وتعظيم قلبي للمحمود بما عنده من محامد يجهلها القلب، وأما الشكر فهو عمل يسدي عرفاناً للمحمود بما يقدمه من أعمال جليلة.

وفي الموسوعة[3]: الحمد والشكر لا فرق بينهما، وقيل: الفرق بين

---

(١) أسماء الله الحسنىٰ وخواصها، سبق ذكره، ص ٨٧.

(٢) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ١٩٥.

المعنيين أن الحمد يكون عن يد وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد.

والحمد هو بداية طريق معرفة الله، وبه بدأت سورة الفاتحة «**الحمد لله رب العالمين**» لأنها مفتاح الفتح على القلوب.

ويجب على الإنسان أن يتفكر باستمرار بمحامد الله تعالى ويثني عليها ليزداد مرة بعد مرة إجلالاً لله تعالى وتعظيماً له، فالإجلال والتعظيم لا يكون إلا من بعد معرفة المحامد وإقرار القلب بعظمتها.

ويتحدث القشيري عن أدب المؤمن مع **الحميد** سبحانه وتعالى فيذكر أن حمد العبد لربه بمعنى الثناء لا يقبل منه إلا إذا كان عن تحقق، والتحقق هو عرفان القلب بما يثني به على الرب[1].

فلنحمد الله على نعمه اللامتناهية. ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: ١٥]، أما من يجحد بها هو وجميع من في الأرض فلن يضرّ الله شيئاً لأنه غني عن جميع خلقه، محمود في جميع أفعاله، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحَديد: ٢٤ والممتحنة: ٦].

روي أن داود عليه السلام قال لربه: إلٰهي كيف أشكرك، وشكري لك نعمة منك علي؟ فقال الله له: «**الآن قد شكرتني**».

ويُحمد الله تعالى في كل الأحوال وعلى كل الأحوال، فإذا عملنا صالحاً نحمد الله الذي هدانا لهذا العمل الصالح الذي سندخل به الجنة برحمة الله، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وحين يدخل المؤمنون الجنة يحمدون الله الذي أذهب عنهم الهم والخوف، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فَاطِر: ٣٤]، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يُونس: ١٠]،.

والحميد من العباد كما ذكر الغزالي هو من حُمدت عقائده وأخلاقه وأعماله

---

(١) ج ١، سبق ذكرها، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٧.

وأقواله كلها[١]. وذاك هو محمد ﷺ ومن يقرب منه من الأنبياء ومن عداهم من الأولياء والعلماء.

والعبد منا هو حميد بقدر ما يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله، والتوجه إلى الله بالدعاء والتسبيح والتحميد طريق لذلك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٩٨] ، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٩] .

(١) المقصد الأسنىٰ، سبق ذكره، ص ١٣٠.

المحصي

إذا عددت الشيء فقد أحصيته. وأحصاهم: عدّهم. وأحصى الكتاب ونحوه: حفظه أو عقله.

لم يرد اسم الله **المحصي** في القرآن الكريم بل وردت بعض مشتقات مادته وهي الإحصاء.

والإحصاء يقتضي العلم بالأمور والإحاطة بها، ولو تفكّر المرء فإنه سيجد في الإحصاء نعمة كبيرة أسبغها الله على البشرية من جملة ما أنعم عليها.

ويمكن للمؤمن، والإنسان عموماً، أن يستفيد من الإحصاء في بابين منه:

١ ـ الإحصاء الإلٰهي.

٢ ـ الإحصاء البشري.

١ ـ الإحصاء الإلٰهي:

إن إحصاء الله لا يشمل أعداد الموجودات فقط، بل الأعمال التي يقوم بها المكلف أيضاً. وفي هذا تنبيه إلى أن الله تعالى محيط بكل خلقه ظاهراً وباطناً، علماً وإدراكاً، وبكل موجود جملة وتفصيلاً، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجنّ: ٢٨].

وينبه أيضاً إلى أن كل عمل من أعمال المخلوقات المكلفين مسجل عليهم في صحائف أعمالهم. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النَبَإ: ٢٩].

وإلى أنه ما من أحد من مخلوقات الله في السماء والأرض إلّا آتي الرحمٰن يوم القيامة عبداً مُقراً بالعبودية لله الذي أحصى خلقه كلهم وعدّهم فلا يخفى عليه أحد منهم. ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ [مريَم: ٩٣، ٩٤].

حين يخرج الناس من قبورهم يوم القيامة يكونون قد نسوا ما عملوا في الحياة الدنيا فيخبرهم الله بذلك. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] فيجد كل منهم ما عمل في صحيفة أعماله فلا يغيب عن الله شيء من أمور خلقه. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. فالعباد مراقبون إذاً من قبل **الله الرقيب**، ومحاسبون بعد ذلك من قبل **الله الحسيب**، فرحون بما سجل في صحائفهم من الأعمال الحسنة إلا المجرمين منهم، فهم خائفون مما سجل فيها من أعمالهم السيئة، نادمون على ما اقترفت أيديهم. يقولون يا مصيبتنا وياهلاكنا ما شأن هذا الكتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا إلا عدّها وسجلها علينا.

هكذا يجد الناس ما عملوا في الدنيا من خير أو شرّ حاضراً مثبتاً في كتبهم، فالله تعالى يكتب ما قدموا في الدنيا من خير أو شرّ، ويكتب آثار ما تركوه من بعدهم من صالح أعمالهم وسيئها. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، فكل شيء مضبوط ومسجل في كتاب بيّن هو اللوح المحفوظ الذي لا يقبل التبديل والتحريف، ولا الزيادة والنقصان، والله لا يعاقب أحداً من غير ذنب.

إن الباعث على فرح بعض الناس وخوف بعضهم الآخر من نتائج هذا الإحصاء الإلٰهي هو نتيجة تلك الأعمال التي قاموا بها في الحياة الدنيا من صالحة أو سيئة.

٢ ـ الإحصاء البشري:

إن أسس الإحصاء الإلٰهي تتجلى في العلم والإحاطة والإدراك والعلم بظواهر الأمور وبواطنها، فإذا أدرك المرء ذلك ـ حتى المجتمع ـ فإنه من الصعب عليه أن يكون محصياً كالله تعالى، ولكن حظه من هذا الاسم لن يكون قليلاً كما ورد في بعض المصادر، بل يكون بقدر ما يقوم به من إحصاءات. وسيجد في ذلك نعمة في اتجاهين، ديني ودنيوي.

أما بما يتعلق بالاتجاه الأول... فحين يعرف العبد أن الله تعالى يحصي عليه الجزئيات والكليات، وأنه لا يمحي السيئات منها إلا الاستغفار لله وعفوه فإنه يكون من اللائق به أن يحصيها على نفسه أيضاً، فيحاسبها ويراقبها ويراقب الله تعالى كذلك في أقواله وفي أفعاله، فيكثر من القيام بأعمال الخير، وبذلك يصحح مسيرتها ويقترب من الاستقامة إذا لم يصل إليها.

لقد أمر الله تعالى الرسولَ ﷺ بالاستقامة بقوله عزّ من قائل: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥]. وخير الأعمال وأول الاستقامة هو الصلاة على وقتها ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤]، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ولهذا يصعب على المرء أن يحصي فوائد الاستقامة لقول رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا. واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»[1]. فالاستقامة بحد ذاتها نعمة كبيرة من نعم الله التي لا يمكن عدها أو حصرها لقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، وهذا يوجب علينا الشكر لله الذي يبين لنا الطرق التي توصلنا إلى الاستقامة أو التي تجعلنا نقترب منها، ويوجب علينا الشكر لله الذي يصفح عن خطايانا بقيامنا بالأعمال الصالحة التي تؤدي بنا إلى الاستقامة.

وأما بما يتعلق بالاتجاه الثاني فلقد أضحى الإحصاء بما يتعلق بأمور الأفراد أو المجتمعات الدنيوية علماً ضرورياً لهما لما له من علاقات بالحياة الدنيوية.

الإحصاء عمل رياضي يتعلق بالعلم، وكلما اتسعت العلوم أمام الناس دخلت معارف جديدة تتطلب الإحاطة بها ومعرفة كنهها. ولاختلاف المستوى العلمي بين المجتمعات والأمم فإن قدرة كل منها على الإحصاء تكون مختلفة ومحدودة بالنسبة للأمم المتخلفة والنامية تجاه الأمم المتقدمة علمياً، ومحدودة جداً بالنسبة لكافة الأمم على وجه الأرض تجاه الإحصاء الإلٰهي.

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه في مسندهما.

ولقد بات الإحصاء علماً ضرورياً جداً لأمتنا العربية وأمتنا الإسلامية، فهو خادم في عملية التنمية والتخطيط الشامل اللتين تسعيان إليهما كهدف لأن تجلس كل منهما في صف الأمم المتقدمة.

المبدِىء

الإبداء: هو إيجاد الشيء غير المسبوق بمثله، فإذا كان مسبوقاً بمثله سمي إعادة.

حين أنشأ الله الخلق كان بادئاً ومبدئاً، فالبدء لغةً: هو أول كل شيء. وبدأ الشيء أو بدأ به بدءاً: أنشأه وأوجده قبل غيره أو قدّمه وفعله قبل غيره.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العَنكبوت: ٢٠] تستوقفنا هذه الآية لننظر كيف بدأ الله الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم. إن المقصود بهذا النظر هو التفكر في آثار من كان قبلنا تفكيراً علمياً صحيحاً، منطقياً، ولعل هذا يقوم على تحليل الظواهر، الكونية والإنسانية ومعرفة أسسها وقوانينها بحيث يُنتهج القانون الأساسي القويم الذي يربط بين كل ظاهرة وبين خالقها المبدىء.

لم يرد اسمه تعالى **المبدىء** في القرآن الكريم بل وردت بعض مشتقاته، ويستشف المرء منها عدة معانٍ ومرامٍ مهمة ـ غير ما سبق ـ تشير إليها الآيات القرآنية التي وردت فيها، وهي تظهر واضحة في رحلة الإنسان التي تتلخص في ثلاثة أمور تظهر فيها فائدة هذا الاسم للإنسان تجاه خالقه، وهي:

١ ـ **الخلق**: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ [الروم: ١١] فهو مبدىء. وهذا أولاً باعث للناس على الإيمان بالله **الخالق**.

وهو يذكرهم بالبداية والأصل، ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدَة: ٧]، فيتأدبوا أمام الله وينزع كل منهم الغرور من نفسه.

ثم إنه عليهم أن يعرفوا الغاية من خلقهم وهي عبادة الله: **الواحد الأحد**، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢ ـ **الإعادة**: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ١١]. فالله سبحانه وتعالى

يعيد الخلق بعد فنائه خلقاً جديداً، وفي ذلك إشارة إلى قدرة الله تعالى اللامتناهية. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩] ، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢] ولقد تحدى الله سبحانه وتعالى جميع مخلوقاته أن تكون لأحدهم القدرة على الخلق والإعادة. ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٣٤].

فلا مجال إذاً للانصراف عن عبادته والدليل ظاهر على وحدانيته. وخلقُه وإعادة خلقه وعد قطعه الله سبحانه وتعالى على نفسه بقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٣ ـ **الرجوع:** ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: ١١]. ما نحن البشر، وما هذه المخلوقات والموجودات وتلك الظواهر كلها إلا حوادث تبدأ وتعاد، أما البشر.. فليوم حساب، ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ﴾ [إبراهيم: ٥١]، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢] ، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١] .

مما تقدم يتبين أن لا حظّ للعبد من هذا الاسم في علاقته مع خالقه، لكنه يتعلم منه في علاقاته مع نفسه ومع أهله ومع أفراد مجتمعه أن يكون بادئاً بعمل الخير، مبتدءاً به في جميع نواحيه، ومثاله حديث رسول الله ﷺ: «**لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان.. فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام**»(١).

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أنس رضي الله عنه.

المعيد

لقد جمعت الآيات القرآنية بين الاسمين **المبدىء والمعيد** معاً، فلم يرد أحد مشتقات الاسم الأول منهما إلا وأُتبع بأحد مشتقات الاسم الثاني، ولهذا فإن أكثر الذين كتبوا عن الأسماء الحسنى قد جمعوا بين هذين الاسمين كالغزالي والرازي والقشيري ومخلوف ومخيمر[1].

المبدىء والمعيد صفتان تتعلقان بالله تعالى وحده وليس للإنسان منهما ولا من أحدهما حظ في التخلق به لعدم قدرته على الخلق والإعادة التي يقدر الله عليهما.

والإعادة: هي خلق الشيء بعدما عدم، وليس غير الله القادر من يقدر على إعادة الحوادث بعد أن تعدم جواهرها، ﴿أَللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ١١] فيحشر مخلوقاته يوم القيامة لمحاسبتهم.

إن اسمه تعالى **المعيد** يذكّر مرة ثانية بوجوب الإيمان بالله تعالى وبالإيمان باليوم الآخر، الأمر الذي يستوجب أن يعدّ الإنسان العدة لذلك اليوم وأن يستعد للحساب، فمصيره إلى الله تعالى وهذا وعد قطعه الله على نفسه ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤].

وقد يحدث البدء والإعادة بآنٍ واحدٍ معاً، ففي كل مرة يبدأ الله بقبول توبة التائب فإنه يعيد إليه اعتباره كمؤمن، فتوبته عليه بدء له بصفحة جديدة من العمل وإعادة لقبوله مع أهل الإيمان[2].

وكان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللَّهم أصلح لي حياتي التي فيها معاشي،**

---

(١) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها، ص ٣١٢ بتصرف.

(٢) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٤٥٠.

وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي»[1].

وفي مصدر هذا الاسم: العَوْد يجد الإنسان فرصة وحظاً يحقق لنفسه من خلالهما فائدة كبيرة تقوّم نفسه وسلوكه حين يقوم بالإعادة. والإعادة هي رد الشيء إلى مثل تركيبه الأول كأن تقول أعاد فلان بناء داره، فإن كان إنساناً صالحاً وحدث خلل مافي سلوكه يؤدي إلى زيادة في أعماله السيئة على حساب أعماله الحسنة فإنه عليه أن يعيد صياغة نفسه بما يعيده إلى الحالة التي كان عليها مستفيداً من أسماء الله تعالى **الغفور، التواب، المنتقم، الجبار**.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨] أي عسى **الرحمٰن** أن يرحمكم بعد انتقامه منكم إن تبتم وأطعتم. فإن عدتم للفساد والإجرام مرة ثانية عدنا إلى عقوبتكم وجعلنا جهنم للكافرين محبساً وسجناً لا يخرجون منه أبداً. إن إعادة الخلق هي قانون إلٰهي ثابت ينبهنا إلى غيره من القوانين.

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ بلفظ «اللَّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»، وهو عند الترمذي والنسائي والطبراني والإمام أحمد.

المحيي والمميت

منطلق هذا البحث أسئلة تخطر في بال الكثير، من الناس تتعلق بالإنسان من هذين الاسمين الشريفين، بالإضافة إلى أن البعض يعتبر الإنسان محيياً ومميتاً، أيضاً، فهل هو كذلك؟

إن الطبيب الذي يجري عملية جراحية لمريض يشارف على الموت يكون أمام احتمالين، أن تنجح العملية ويشفىٰ المريض، أو أن تفشل العملية ويموت. فما هو الدور الحقيقي الذي لعبه الطبيب؟ وهل تتعلق نتيجة العملية من نجاح أو فشل به وحده؟

يقول الله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٦] .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [الأعرَاف: ١٥٨] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ﴾ [التوبَة: ١١٦] .

﴿هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦﴾ [يونس: ٥٦].

وهناك آيات أخرى كثيرة نزلت بحق الله سبحانه وتعالى من حيث أنه محي ومميت، ولكنها لا تثبت في ظاهرها على أنه المحيي والمميت فقط. حتى إن الله تعالى يقول أيضاً: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣٢] ، حيث تشير هذه الآية إلى أن الإنسان يمكن أن يقتل ويمكن أن يحيي، وأرجو أن أنبه إلى ورود القتل والإحياء فيها وليس الإماتة.

ومع أن الله تعالى قد نهانا عن القتل في القرآن الكريم فقال في أكثر من آية: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الإسراء: ٣٣] أي إلا تنفيذاً لحكم أمر الله به.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] كما كان يفعل أهل الجاهلية خشية الفقر. لاحظ: «**ولا تقتلوا**» في الآيتين السابقتين. إلا أنه تعالى قد أمرنا بالقتل في آيات أخرى من القرآن الكريم، فقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] أي اقتلوا المشركين المقاتلين أينما وجدتموهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ (١) إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بمعنى أن يقتل البريء منكم المجرم الذي عبد العجل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي فرض عليكم القصاص من القاتل دون غيره لأن لكم في القصاص وهو معاقبة الجاني بمثل ما فعل من قتل أو جرح ـ حياة آمنة مستقرة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] لأن الجاني حين يعلم أن مصيره العقاب المماثل لعمله فإنه يرتد فيحفظ حياته وحياة من أراد قتله.

لقد سجل التاريخ البشري حوادث قتل شهيرة وكثيرة قام بها الإنسان وكان من نتيجتها حدوث الموت، فمنذ فجر التاريخ وقعت أول جريمة ارتكبها ابن آدم الأول قابيل الذي زينت له نفسه أن يقتل أخاه هابيل ظلماً وحسداً ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٠]، واستمر القتل عبر التاريخ، فالذين كفروا بآيات الله قتلوا النبيين بغير حق، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: ٢١].

وبين سيدنا إبراهيم وبين النمروذ بن كنعان، وكان هذا ملكاً آتاه الله الملك، جرى حوار قصّه علينا القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فأحضر سجينين محكوم عليهما

(١) كان هذا قبل بعثة النبي ﷺ، بينما التوبة في أمتنا هي استغفار لله وعمل صالح يقوم به المرء.

بالإعدام فقتل أحدهما وعفا عن الآخر (زاعماً) أنه أمات الأول وأحيا الثاني.

ومن معجزات السيد المسيح أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [آل عمران: ٤٨].

وفي باب الوفاة أيضاً تشير عدة آيات قرآنية إلى أن هناك من يتوفى الأنفس غير الله تعالى بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] بمعنى أن تتوقف حواسكم عن أعمالها. (لاحظ هذه الوفاة).

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزُّمَر: ٤٢] أي يتوفى الأرواح حين انقضاء آجالها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النّساء: ٩٧] أي تتوفاهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] فالملائكة تقوم بفعل الوفاة حين تقبض أرواح الكفار. وهناك رسل تقوم بذلك أيضاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] أي لا يقصرون بما أمروا بتنفيذه.

وأرجو الآن أن أذكّر بالكلمات الواردة في الآيات السابقة من كلام الله ﷻ في حق الإنسان وغيره منها، وهي: **قتله، يقتلون، يتوفى، توفته**.

السؤال من حيث أن الإنسان محي ومميت لا يزال قائماً، وقبل الإجابة عليه لا بد من شرح معاني الإحياء والإماتة وما يشتق منهما، ونأخذ منها التعاريف التالية:

الحي: نقيض الميت.
مات: فارقت روحُه جسدَه.
الميت: هو الذي فارق الحياة.
أماته: جعله يموت.
قتله قتلاً: أماته. قضى على حياته فهو قاتل والآخر مقتول وقتيل.
القتل: إزالة الروح من الجسد..

توفي الرجل: مات والله هو المتوفِّي وذاك هو المتوفَّى.

توفى الله فلاناً: قبض روحه.

المتماوت: هو الذي تراه ميتاً وهو حي. وأرجو التركيز على هذا التعريف.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[١]: إن التوفي معناه أخذ الشيء وقبضه تماماً ومرادفه الاستيفاء. نقول: استوفيت حقي وتوفيته أي قبضته كاملاً، أما الإماتة التي هي أخذ الروح فهي نوع من أنواع التوفي الذي يشملها.

ويقول أيضاً[٢] على لسان العلامة مصطفى صبري أن الزمخشري نصّ في كتابه: أساس البلاغة على أن التعبير بالوفاة عن الموت من المجاز.

لنقرأ الآن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ [الحجر: ٢٣].

إعراب هذه الآية[٣]:

الواو عاطفة، وإن واسمها واللام المزحلقة ونحن، مبتدأ، وجملة نحيي: خبر. (ويجوز أن تكون تأكيداً لـ: نا، ولا يجوز أن تكون فصلاً لأنها لم تقع بين اسمين).

وعلى هذا نقيس قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ [قَ: ٤٣]، الذي يؤكد أن الله تعالى هو فقط الذي يحيي وهو فقط الذي يميت. أليس هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [المُلك: ٢].

إن الآجال مقسومة بحكمة الله تعالى وإرادته ولا محيي ولا مميت إلا هو. ولذلك لم يكن الطبيب محيياً بعد نجاح العملية لأن المريض كان **(متماوتاً)** ولم يكن ميتاً. ولم يكن الطبيب مميتاً بعد فشلها لأن أجل المريض قد انتهى، وما كان الطبيب في الحالتين غير سبب أراده والله في تأجيل أجل المريض أو حلوله.

أما الكفار الذين أُمر المؤمنون بقتالهم في سبيل الله وقتلهم حيث ثقفوهم فلم يقتلهم المؤمنون ولكن الله قتلهم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ

(١) في صفحة ٣٢٩ من كتابه: كبرى اليقينيات الكونية.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه. الجزء الرابع عشر، ص ٢٣١.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٧] أي لم تقتلوهم بحولكم وقوتكم ولكن الله قتلهم بتأييده لكم وإلقاء الرعب في قلوبهم.

وأما المسيح عليه السلام فقد كان يقوم بمعجزات اختصّه الله بها، وبإذنه، لقوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران: ٤٨].

لقد أخذ كل من الإحياء والإماتة معان مجازية غير معانيها اللغوية، مثل مافي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [النساء: ٢٩] بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها في الدنيا والآخرة كالفساد بكل معانيه فاعتبره الله نوعاً من القتل للنفس. ومثل مافي قوله تعالى أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤] بمعنى استجيبوا بالطاعة والانقياد لما فيه صلاح حياتكم وعزتكم في الدنيا والآخرة، وهذا ما قصده الله سبحانه وتعالى في قوله: «**النفس... من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**»[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٦] أي يستجيب دعاءك إلى الإيمان ـ أيها الرسول ـ الذين يسمعون هذه الدعوة سماع تفهم وقبول. أما الموتى... والمقصود بهم موتى القلوب. إذاً.. فإن آجالنا مقسومة محدودة من قبل الله الذي خلق الموت والحياة. الأجدر بأن يكون هو المحيي وهو المميت، ولا حظّ لأي مخلوق منهما في شيء أبداً ـ إلا الإنسان بالمعاني المجازية فقط ـ حتى لو مات المرء ميتة غير الميتة الطبيعية كالقتل، فما كان القاتل غير سبب في حدوث الموت ولم يكن القاتل مميتاً.

ومن هذه النتيجة سأدخل إلى بحثي المحيي، والمميت من بابٍ آخر يتعلق بفوائد جمة جداً للإنسان لو تفهم معنى ومراد كل منهما.

---

(١) راجع [المائدة: ٣٢] التي ورد تفسيرها على لسان ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الطبري قال: حدثنا وكيع عن أبي عن حصيف بن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كف عن قتلها فقد أحياها، ومن قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً. تفسير الطبري الجزء السادس.

المحيي

لا حظّ للإنسان إذاً في أن يكون محيياً بالمعنى الشرعي وبالمعنى اللغوي الدقيق لهذا الاسم الشريف، وقد يكون له منه حظّ بالمعنى المجازي له. فالله تعالى هو الذي يحيي ويميت، ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٦] ، ودلّ في كثير من آيات القرآن الكريم على أنه هو المحيي الحق وعلى أنه هو المحيي الوحيد حتى من خلال ما يمكن أن يقوم به الإنسان كالزرع والسقاية. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يـــس: ٣٣] وقـال تـعـالـى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النّحل: ٦٥] .

لقد تعلم الإنسان كيف يزرع ويسقي وبرع في ذلك، ولا يزال يقوم بأبحاثه الزراعية التي تهدف إلى تطوير علم الزراعة الذي وصل إليه، إلا أن عملية الإنبات تقوم على أسباب عرفها الإنسان كتركيب التربة وتوفر الهواء والضوء والحرارة و... وأسباب هي من شأن الله تعالى لا ولم يستطع الإنسان أن يوفرها جميعاً لعملية إحياء النبات، وكم من زرع تم بأفضل الشروط والظروف لكنه لم ينبت لحكمةٍ يريدها الله، فنعرف من ذلك أن المحيي الحق هو الله، وذلك واحد من آثار رحمته تعالى على عباده ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الرُّوم: ٥٠] .

إن الإنسان محيٍ بالمعنى المجازي فقط من هذا الاسم الشريف، ويستدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفَال: ٢٤] ، أي استجيبوا لله بالطاعة والانقياد، واستجيبوا للرسول لما فيه صلاح حياتكم وعزتكم في الدنيا والآخرة، والرسول قدوة لنا، ويمكن لمن يستطيع منا أن يحيي نفساً بتحسينها وتطويرها بالعلم والمعرفة، والارتقاء بها نحو الأعلى. وقد يحيي مجتمعاً بأكمله ـ وربما الإنسانية كلها ـ

بعلم جديد أو فكرة نافعة تحمل الخير لهما.

وإن لم يكن للإنسان حظّ من هذا الاسم فإن له منه فوائد كبيرة وعظيمة تتحقق له إذا أدرك الغرض من وجوده في هذه الحياة، وفهم هذه الحياة نفسها وآمن بما بعدها.

فأما الغرض من وجوده فيها فهو عبادة الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]. لقد خلقنا لنعبد الله العبادة التي يستحقها بمعنييها العام والخاص، فقد نكون من المكرمين برحمته في الآخرة فندخل الجنة، فالحياة الحقيقية هي الدار الآخرة دار البقاء والخلود.

إن حياة الواحد منا قصيرة مهما طالت، وبعدها موت لا بد منه، وبعد الموت بعث وحساب وجزاء ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾ [قَ: ٤٣]، ووعده تعالى بالبعث والحساب والجزاء وعد حق ثابت لا خلف فيه فلا تخدعنا الحياة الدنيا بمتاعها وزخرفها فتصرفنا عن العمل للآخرة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [فَاطِر: ٥].

ولقد خلق الله الموت والحياة ليختبرنا أينا أسرع في طاعته وأورع عن محارمه، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢] ووصف سبحانه الحياة بعدة أوصاف في آيات كثيرة من القرآن الكريم، فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، لعب لا فائدة ترجى منه في الآخرة، ولهو يشغل الإنسان عن ذكر الله والعمل الصالح، لكي نقلبها إلى جدٍ وعبادة قد نستفيد منهما بعد الموت، وزينة تتزينون بمتاعها وزخرفها، ولم يمنع الله ﷻ أن نتزين بما يكفينا من متاعها وزخرفها بحيث لا ننصرف بذلك عن ذكره وعبادته، وتفاخر هي أيضاً بين الناس بالجاه والنسب والنفوذ والقوة وتكاثر في الأموال والأولاد، والله لا يمنع أيضاً أن نكسب ما شاء لنا من المال الحلال، ولا أن نكون أقوياء، بل يريدنا كذلك بما يعيننا على طاعته وعلى القضاء على الكفر والإثم حيث وجدناهما.

ومثّل لنا هذه الحياة الدنيا في سرعة زوالها بمطر أعجب الزراع زرعه ثم يبس فتراه آخذاً في الجفاف والذبول ثم يكون هشيماً متحطماً. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ

أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠] لنعلم أن في الآخرة عذاباً شديداً لمن آثر حب الدنيا على طاعة الله، ومغفرة ورضواناً منه لمن آثر الآخرة على الدنيا وسعىٰ إليها بالعمل الصالح ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الحديد: ٢٠] ، ولنعلم أيضاً أن الحياة الدنيا ماهي إلا متاع غرور يتمتع بها من اغترّ بها فركن إليها حتى شغلته عن الآخرة ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [تتمة الآية السابقة] .

لم يمنع الله سبحانه وتعالى أن ننعم بحياتنا الدنيا وأن نستلذ بما فيها من خيرات ومباهج وزينة، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٥٧] . وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣] ، وكل المطلوب منا أن نتّقي الله فيما رزقنا وخلق من أجلنا وأن نبتغي فيما آتانا الدار الآخرة دون أن ننسى نصيبنا من الدنيا، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

إن التعلق بالحياة الدنيا والسعي للحصول على شهواتها وعرضها الزائل هو باطل وغرور زائل لا ثبات له، فإن نؤمن بالله ونتقه، فنعمل بأوامره ونتجنب معاصيه فإنه يعطينا ثواب أعمالنا في الدار الآخرة، ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]، ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] فإما عذاب خالدٌ أو نعيم دائم، وإن أشد الناس خسارة لأعمالهم الذين ضاع وبطل عملهم في الحياة الدنيا بسبب شركهم بالله وكفرهم وهم يظنون أنهم بعبادة غير الله يعملون عملاً ينالون به الشفاعة والغفران. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] .

وبعد كل ذلك، فالذي لا يعدّ العدّة للآتي، الذي يرضى بالحياة الدنيا بدلاً عن الآخرة وتسكن نفسه إلى شهواتها ولذاتها ويعرض عن الآيات الدالة على وحدانية الله، وينكر البعث والحساب.. فمقامه النار بسبب ما يرتكب في ذلك

من الكفر والتكذيب. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يُونس: ٨،٧] .

فليعدّ كل منا العدّة قبل أن يندم يوم القيامة يوم يتذكر وأنى له الذكرى، ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] أعمالاً صالحة في الدنيا لأجل حياتي هذه... الدار الآخرة.

إن قصارى القول في هذا قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

المميت

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣] الباقون بعد فناء الخلق، نرث الأرض ومن عليها، ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣] ، فكل نفس كتب الله لها الحياة ميتة، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧] مهما فررنا منه ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجُمُعَة: ٨] .

تستند الحياة إلى جملةٍ من الحقائق، منها أن الموت هو نهاية كل كائن حي فهو ميت إلا الله تعالى. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠] فلا ينجو من الموت أحد مهما تحصّن هرباً منه في حصون منيعة، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النّساء: ٧٨] .

لا حظّ للإنسان أيضاً إذاً في أن يكون مميتاً، وله من اسم **المميت** ـ كما من اسم **المحيي** ـ فوائد كبيرة وعظيمة تتحقق له إذا آمن بالموت حقيقة آتية لا ريب فيها وفهم معناها، وعرف ماذا يجب عليه أن يفعل قبل أن تأتيه، وعرف كذلك نتيجة أعماله بعدها.

الموت هو مفارقة الروح للجسد وانتقالها إلى الحياة البرزخية. وحياة البرزخ هي الحياة التي تفصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهي حياة الانتظار ليوم القيامة[1].

ولا يموت حيّ إلا بقضاء الله وقدره، وبلوغ أجله، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عِمرَان: ١٤٥] . وهو ـ الموت ـ من الحقائق

---

(١) الزنداني، عبد المجيد. توحيد الخالق. ج ١ ص ١١٨، دار الخير.

التي لا يعلم عنها الإنسان أي علم بل يعلمها **الله العليم الخبير**. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] ، فلا يعلم أحد غير الله بأي أرض يموت ولا متى يموت ولا كيف يموت، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ، فإذا حانت ساعة الإنسان أرسل الله إليه ملك الموت الموكل بقبض روحه. ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السَّجدَة: ١١] .

ولقد منّ الله على عباده بالغفلة عن الموت، فمن رحمته تعالى أن الموت غالباً ما يجيء فجأة على العباد، ولولا هذه الغفلة ما تهنّوا بعيشٍ ولا قامت بينهم الأسواق ولا ارتفع البنيان.

قال مطرف: «لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي». لكن هذه الفجأة تكون راحة للمؤمن وأسفاً على الفاجر لقول رسول الله ﷺ: «**موت الفجاءة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر**» [1]، لأن المؤمن قد عمل ما عليه تجاه ربه ولأن الفاجر لم يقم بذلك.

إن كل مؤمن وكل عاقل لا ينظر إلى الموت نظرة لا مبالاة، أو إلى أنه نهاية لا تستحق التفكير والعمل لما بعده وهو الحياة الأبدية الخالدة، فإذا عمل من أجل ذلك عملاً صالحاً يرضي الله فإنه يضمن حياة أزلية هانئة بإذن الله تعالى ورحمته. ولا يعني ذلك أبداً ألا يتمتع المرء في حياته الدنيا بما فيها من ملذات خلقها الله من أجله، كما لا يعني كون الحياة الدنيا قصيرة ـ مهما طالت ـ أن يتقاعس الإنسان عن البناء، وألا يعيش حياته الدنيا بشكل صحيح صالح.

وإن المؤمن ينظر من خلال الموت إلى نفسه على أنه مخلوق ضعيف. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨] مهما أوتي من قوة، وعلى أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره حياةً أو موتاً مهما كان ذا قوة أو جاه أو مال أو سلطان، فلا يخاف على حياته من أي إنسان آخر.

---

(١) أخرجه أحمد من حديث عائشة ﵂ بإسناد صحيح، وأبو داود عن خالد السلمي ﵁ والبيهقي، انظر كشف الخفاء وتخريج أحاديث الإحياء للعراقي.

إن الإيمان بالموت حقيقة آتية لا ريب فيها، وبذكره، وبالعمل استعداداً له يحقق للإنسان خيراً وسعادة تتجلى له في عدة صور منها لقاء الله، فيقبل عليه محباً هذا اللقاء. قال رسول الله ﷺ: **من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**[1].

ومنها أنه باعث على أن يعيش الإنسان حياته على أفضل ما يكون وبما يضمن له الهناءة في الدار الآخرة. قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هازم اللذات**» وهو الموت، أي نغّصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله. ولا يعني قول رسول الله ﷺ أن ننظر إلى الموت على أن منغّص للحياة أبداً.

وللموت معان مجازية نعيشها في الحياة الدنيا بأشكال مختلفة، منها الكفر، لقوله تعالى، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي كافراً فهديناه. ومنها الجدب والفقر والفحش والغلاء و...

إن الغفلة عن الموت تؤدي إلى الانهماك في الدنيا وشهواتها، وذكره يقتضي الاستعداد للآخرة، فكيف يستعد الإنسان لتلك الآخرة؟

لقد بين القرآن الكريم للناس وسائل هذا الاستعداد التي تتلخص في عبادة الله حق العبادة وتقواه حق تقاته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، أي خافوه أشد الخوف بأن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروه فلا تنسوه، وتشكروه فلا تكفروه.

فالذين كفروا ملعونون مطرودون من رحمته ومبعدون عنها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦١] ساعة لا ينفعهم الندم ولا فدية مهما بلغت ولو كانت ملء الأرض ذهباً لينجوا من عذاب النار كناية عن استحالة قبول التوبة حينذاك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو نعيم في الحلية عن أنس ﷺ، والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة وعن عبادة ﷺ.

مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران: ٩١] ، فالتوبة قبل الموت، ولا تقبل توبة العاصي في حالة الاحتضار ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

أما نتائج الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته الدنيا من خير أو شرّ فهي محصية مكتوبة في لوح محفوظ. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢] .

قال رسول الله ﷺ: «**الكيّس من دان[1] نفسه وعمل لما بعد الموت**»[2].

(١) أي حاسب وجازى.

(٢) أخرجه السيوطي وقال: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن شداد بن أوس رضي الله عنه والطبراني في الكبير.

الحيّ

تفرّد الله سبحانه وتعالى بالبقاء أزلاً وأبداً فله الحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية، إذ لم يسبق وجوده عدم ولا يلحق بقاءه فناء فكان له البقاء المطلق.

وهو كذلك لا يموت ولا يجوز عليه الموت، ولذلك فهو سبحانه وتعالى: **الحيّ** واعتبر بعضهم هذا الاسم أعظم الأسماء لما فيه من سرّ وإعجاز للإفهام والنسبة إليه هي: الحيويّ.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ، أي إنه المتفرّد بالألوهية. **الباقي، الدائم** الذي لا يأخذه نعاس ولا نوم لأن النوم نوع من الموت، وهذا محال عليه جلّ شأنه.

أما نحن... فإننا نعيش بما قدّر الله لكل منا من العمر، منذ أن يدبّ الروحَ فيه إلى أن يقبضها منها، فمن هو الحيّ منا فعلاً خلال هذه الفترة؟ لقد نبه القرآن الكريم إلى وجود حياتين: الحياة الدنيا والحياة الآخرة. واعتبر الأولى منهما حياة مؤقتة مهما طالت ومجرد فترة اختبار للإنسان، بينما اعتبر الثانية الحياة الأبدية الخالدة.

وبين هاتين الحياتين بعث ثم حساب ثم جزاء يؤدي بالإنسان إلى الجنة أو إلى النار بحسب ما فعله في فترة الاختبار تلك.

ومن الناس من آمن بذلك، ومنهم من كفر فأنكر يوم البعث، وظنوا أن لا حياة لهم إلا الحياة الدنيا التي يعيشونها، يموت بعضهم ويولد آخرون ولكنهم لا يبعثون بعد الموت. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعَام: ٢٩] ، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] بينما يعرف المؤمن الحقيقة التي أخبر عنها الله تعالى بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

﴿أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحَجّ: ٦٦] ، أي أحياكم في أرحام أمهاتكم ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم بعد الموت للحساب والجزاء. ولذلك يسعى لأن يكون في جنة ونعيم الدار الآخرة.

لقد وردت آيات كثيرة في ذمّ الدنيا، منها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣] . وقال رسول الله ﷺ: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»(١).

وقال أيضاً: **أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوىٰ. وإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوىٰ يصدّ عن الحق**»(٢).

ولقد نظر سيدنا علي كرّم الله وجهه إلى الحياة الدنيا نظرة فلسفية عميقة لا تخالف نهي الله عن الغرور بالحياة الدنيا ولا قول رسول الله ﷺ في حديثه الشريف السابق، فرآها طويلة وقصيرة معاً، فقال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». ومما سبق نتعلم كيف نكون أحياء فعلاً في حياتنا الدنيا.

إن الإنسان الحيّ فعلاً في الدنيا هو من يتحرك بفعالياته العقلية والروحية والنفسية والجسدية باتجاه حرث الآخرة

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٠]. ويكون له ذلك بالإيمان الذي يقتضي مزيداً من التفكر والتدبر في خلق الله، وبالاستزادة من العلم الذي يدله على وحدانية الله وينفعه في حياته.

فالإيمان والعلم ثوبان يسبغان على الإنسان صفة الحياة الحقيقية، أما الكفر

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب مرسلاً عن الحسن ﷺ، وذكره السيوطي عن البيهقي. قال صاحب كشف الخفاء: رواه البيهقي بإسناد حسن، والديلمي في الفردوس، وأبو نعيم في الحلية، وعبد الله بن أحمد في الزوائد، وابن عساكر، وقد ضعفه بعضهم.

(٢) رواه: ابن النجار عن جابر وابن عساكر عن علي ﷺ موقوفاً، وفيه يحيى بن مسلمة ابن قعنب يحدث بالمناكير. انظر كنز العمال.

والجهل فهما ثوب الموت فيها. ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فَاطِر: ٢٢] أي لا يستوي أحياء القلوب بالإيمان مع أموات القلوب بالكفر.

وجعل الله لهؤلاء الأموات نوراً من القرآن فأحيا به منهم بالعلم والإيمان، وميّز بينهم وبين من يتخبط في ظلمات الكفر والضلالة فقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعَام: ١٢٢].

وإن الحي فعلاً من الناس من يعمل صالحاً يبتغي فيه مرضاة الله فيحييه الله حياة طيبة. ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: ٩٧]، والحياة الطيبة هي الحياة النفسية الممتزجة بحياة القلب المفعم بذكر الله والإيمان به.

أما من لم يتق الله وخلا قلبه من ذكره وخشيته فسيدخل نار جهنم فلا يموت فيها فيستريح ولا يحيىٰ فيها بل هو في عذاب وشقاءٍ دائمين. ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠ ـ ١٣].

وإن الحي فعلاً من الناس في حياته الدنيا من يلاقي ربه وهو مؤمن، أما من يموت على الكفر فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيى. ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

إن الإنسان المؤمن العاقل هو الذي يعرف أن حياته الحقيقية الخالدة هي حياته في الدار الآخرة فيعمل للحصول على نعيمها لا كالذي ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفَجر: ٢٤] وهي الدار الآخرة فهذا الذي لم يعدّ العدّة لها.

القيّـوم

هناك عدة تعاريف لاسمه الشريف **القيوم** تدور كلها حول الاستقامة والثبات والبقاء وديمومة الإصلاح[1].

وهو[2] القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم.

وقيل[3]: هو المقيم للعدل القائم بالقسط.

واللغة تقول: إن القيّم هو السيد وسائس الأمر.

وهو مبالغة من القائم بالأمر، ويفيد الاستمرارية والملازمة المستمرة على ذلك، فالحياة والقيومية بالنسبة لله تعالى هما تواصل بلا انقطاع ولو لطرفة عين. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] . بمعنى أن لا إله يعبد بحق إلا هو سبحانه وتعالى، المتفرد بالألوهية، **الباقي، الحي، الدائم** القيام بتدبير أمر الخلق وحفظهم.

وعُرّف هذا الاسم الشريف بلفظ آخر هو القيّام ويفيد معنى القائم، وهو من قام يقوم بمعنى دام، ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ [آل عمران: ٧٥] أي دائماً عليه.

وقيل أيضاً: هو المستقيم والمعتدل. وقال قتادة: هو القائم على خلقه بآجالهم وأعمارهم وأرزاقهم وكل شيء قائم بأمره.

تخضع له وتذل وجوه الخلائق جميعاً يوم القيامة، ويخسر رحمته من أشرك

---

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره، ص ٣٥٨.

(٢) في تاج العروس.

(٣) الموسوعة، ج ١ ص ٣٣٠، والتفكر في الأسماء ص ٣٥٨، سبق ذكرهما.

به ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] .

ومن التعاريف السابقة يتضح أن حظ الإنسان من هذا الاسم يكون بقدر ما يتصف ببعض أو بكل ما دارت هذه التعاريف حوله، وبقدر استغنائه عما سوى الله.

وأمر الله المؤمنين بأن يجتهدوا في القيام بحقوقه تعالى وبإقامة العدل بينهم في كل أمورهم، يشهدون بالحق لوجهه ولو كانت هذه الشهادة على أنفسهم وفي غير مصلحتهم أو كانت شهاداتهم على الوالدين والأقربين فلا يمتنعوا عن أداء الشهادة ولا يجوروا فيها لمصلحة أحد الأطراف رحمة به أو خشية منه ولا يقولوا غير الحق. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] .

وبسبب ما منح الله الرجال من خصائص الرجولة وبما فرضه عليهم من الإنفاق على زوجاتهم فقد اعتبرهم قوامين عليهم قيام الوالي الصالح على رعيته فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[النساء: ٣٤] .

وفي ذلك يجد كل مسؤول درساً يوجب عليه أن يقوم على من هو مسؤول عنهم بما يصلحهم، وهذا يتطلب منه تعلم طريق الصلاح وشريعة الله التي لا تصلح النفوس إلا بالاستقامة عليها.

الواجد

إن الله تعالى هو مالك الملك، ولذلك كان الغنيّ الحق المطلق، الذي لا يعوزه شيء ولا يعجز عن إبراز شيء في عالم الظهور والعيان لأنه عالم بكل شيء. ولذلك فإنه **الواجد**.

وفي تهذيب الأزهري فإن الواجد يعني الغني، والواجد والغنيّ صفتان تعنيان الغنيّ الذي لا يفتقر إلى شيء.

وفي الفلسفة فإن الواجد هو الثابت في الذهن وفي الخارج.

لم يرد هذا الاسم الشريف في القرآن الكريم ولكنه مجمعٌ عليه[1]، بل وردت مادته بعدة معانٍ[2] منها:

أوجد الله الشيء: أنشأه من غير سبق مثال.

وأوجد الله فلاناً: أغناه.

وأوجد فلاناً مطلوبه: أظفره به.

وورد بمعنى العالم بالأمر أيضاً: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]

وبمعنى المالك: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]، أي لا أملك ما أحملكم عليه.

وهو يدل أيضاً على أن الله قادر على كل ما أراد، ولذلك فله الكمالات كلها لأنه لا يحتاج إلى شيء، وكل ما سواه تعالى لا يسمى واجداً وإنما يسمى فاقداً. فإن وجد الإنسان في نفسه بعض الكمالات فإنه لا يجدها كلها ويفتقر إلى الكثير منها بالنسبة لله تعالى، ولذلك ليس له من هذا الاسم إلا أن يتصل بنفحاتٍ

---

(١) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها. ص ٣٣٧.

(٢) المعجم المدرسي. مادة وجد، ص ١١٣٤.

منه وبإشراق من نوره حين يعمل على أن يظفر برحمة الله كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ [الأعراف: ٤٤] .

الماجد

لم يرد هذا الاسم العظيم في القرآن الكريم. ويقول العلماء إنه بمعنى المجيد، والمجيد أبلغ، وهو: الرفيع، العالي.

وبه وصف الله تعالى ذاته وقرآنه، لأن له الكمال المتناهي والجمال في الأوصاف والأفعال.

وهو يضم بين حروفه أنبل الصفات وأشرفها. ومنها: الشريف، الخيّر، الحسن الخلق، السّمح، العزّ، الرفعة، الكرم الرحمة، . . .

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٤، ١٥].

فالمجد في اللغة: الشرف.

مجَد ومجُد مجداً: كرُم وشرف فهو ماجد.

مجَدَ فلاناً: غلبه في المجد.

استمجد: صار ماجداً.

وتماجد القوم: تفاخروا.

فلينظر المرء إلى حظّه الكبير من التخلق بهذا الاسم من خلال التعاريف السابقة، وليلاحظ إلى أي حد كبير يمكن التخلق به لو رفع همته عن الخلائق وتعلق بمولاه واعتمد عليه في أموره.

الواحـد

المقصود بهذا الاسم هو التفرد والتوحيد لا العدد. وفي اللغة: هو للشيء الذي ليس باثنين ولا أقل من الواحد، الذي لا يتجزأ ولا يثنىٰ، بمعنى أن لا ندّ له ولا يماثله في ذاته وصفاته أحد.

ويماثله في هذا التعريف: **الأحد** وليس لهذا الاسم جمع، وأصله: «وَحَدَ»، ثم انقلبت الواو همزة.

وقال أصحاب المعاني: الفرق بين **الواحد والأحد** أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط، والأحد يفيده بالذات والمعاني. وعلى هذا فإن الاسمين واحد كما يجمع على ذلك بعض العلماء في الحديث، لا تعتريه صفات الحوادث من التغيير والتحلل والانقسام، وكلاهما يجمعان صفات التوحيد ولايفترقان.

فالله سبحانه وتعالى هو **الواحد الأحد** الذي يستحيل عليه الانقسام في ذاته، فلا وحدة إلا له.

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] أي لا شريك ولا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا إله يعبد بحق إلا هو.

وأمرنا بالتوحيد في آيات كثيرة من القرآن الكريم. فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ، وإن كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» هي جنسية كل مسلم وتحقيق شخصيته ومفتاح دخوله إلى الجنة، وفي هذا يجد الإنسان حظّاً له من هذا الاسم.

ولا يريد الله تعالى أن نوحده إلا من خلال دلائل كثيرة قدمها للناس، منها هذا الكون[1] ونظامه المستقر وأحداثه المنسقة وسيره المنتظم، فإن كل من يتأمل

بذلك ويتدبره يشهد أنه تحت نفوذ إرادة واحدة وتحت تصرف حاكم ومالك واحد، فلا يوجد مع الله آلهة أخرى وإلا لفصل كل إله ما خلق ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ولشاهدنا عملية الانفصال والتجزئة ظاهرة في هذا الكون ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

إن عقيدة التوحيد أول العقائد ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾ [الحج: ٣٤] .

(١) الزنداني، عبد المجيد. توحيد الخالق، ج ١. دار الخير، (بتصرف).

الصّمد

ما أجمل هذا الاسم، وما أعظم معناه، وكم فيه من الخير للإنسان إذا فهمه وعمل على أن يتخلق ولو بجزء منه ومن الصفات التي يقتضيها.

الله تعالى هو **الصمد** المطلق لأنه ينتهي إليه منتهى السؤدد. هو سبحانه لا يحتاج إلى شيء كالذي تحتاجه الخلائق، بل يُصمد إليه في الحوائج ويُقصد إليه في الرغائب.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

صمد الشيء، وله، وإليه... صَمْداً: قصده أو قصد له أو وقف إزاءه.

والصّمد: السيّد، والذي يُقصد إليه في الحاجات[1].

وأصمد إليه الأمر: أسنده إليه.

وقال المفسرون: إن الصمد يعني العالم بجميع المعلومات، والحكم لأن كونه صمداً سيداً فهذا يقتضي الحلم والكرم، وقالوا: إنه المقصود في الرغائب والمستغاث عند المصائب. وإنه الماجد، وإنه الكبير، والكامل في كل الصفات.

وما بنا من النعم كالصحة والرزق والاطمئنان وغيرها.. فهي كلها من الله ﷻ، فإذا مرضنا أو ضاق بنا العيش أو اعترانا الخوف أو... فإننا نضرع إليه ليبعد كل ذلك عنا. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

وإن الناس ليلقون تشجيعاً دائماً من الله في الرجوع إليه لرفع أي ضرّ عنهم، ولا يريد مقابل ذلك إلا أن نذكره بتنفيذ ما أمرنا به والكفّ عما نهانا عنه،

---

(١) المعجم المدرسي، مادة صمد؛ ص ٦٠٥.

ونشكره على كل أفضاله. ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: ١٥٢].

هذه بعض صفات الله **الصمد**، وفيها يجد العبد سعةً كبيرة ليتخلق ولو بقدرٍ من هذا الاسم العظيم، فيكون مقصوداً للناس في الخير معيناً لهم بما ومما يؤتيه الله على قضاء حوائجهم التي تدخل في باب الخير والصلاح، وبذلك يكون محبوباً من الله تعالى لقول رسوله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده**»[١].

وفي بعض المشتقات اللغوية لهذا الاسم يجد الإنسان ما يعود بها على نفسه بالخير أيضاً كالصمُود بمعنى الثبات[٢]. الثبات على الإيمان والثبات أمام الشدائد والمكاره. ومنها أيضاً: التصميد بمعنى الادخار كأن يدخر الإنسان ثواب الأعمال الصالحة التي يقوم بها ليومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

إذاً... فعلى من يريد أن يجعل الله منه مقصداً للناس في مهمات دينهم ودنياهم ويُجري على يده ولسانه حوائج خلقه أن يعمل على أن يتصف بتلك الصفات العالية الشرف التي يتصف بها الله تعالى.

---

(١) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا بلفظ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس» عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه أبو يعلى بلفظ: «الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله». وذكره عبد الله بن أحمد في زوائد المسند.

(٢) مجلة المجمع، المجلد ٤٧، ج ٢، ص ٤٥٤.

القـادر

لا يُعقل أن يكون **الله الجبار، القهار، العظيم، القوي، المتين، المهيمن** على هذا الكون العظيم بما فيه من مخلوقات إلا أن يكون قادراً ومسيطراً على مخلوقاته.

والقادر في اللغة: هو ذو القدرة، وهي الطاقة والقوة على الشيء والتمكن منه، وله معان أخرى كالغنى والثراء. يقال: رجل ذو قدرة: أي صاحب يسارٍ وغنى، والقوة هي القدرة، مادية كانت أو معنوية وهي ضد الضعف. **والقادر الحقيقي هو الله** الذي تفرّد بإيجاد كل موجود مستغنياً فيه عن معاونة غيره فلا يعجزه شيء إيجاداً أو إعداماً أو تغييراً دون أي تقيّد بالأسباب، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، فاتصف سبحانه وتعالى بالقدرة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].

ومن القادر: القدير بمعنى العظيم القدرة، ولا يتصف بهذه الصفة غير الله تعالى، فعلى ماذا يقدر الله؟

لقد وردت كلمة **قدير** في تسع وثلاثين آيةً من القرآن الكريم، أجاب الله سبحانه وتعالى في أربعٍ وثلاثين منها بأنه «**على كل شيء قدير**» ولا أجد داعياً لضرب الأمثلة فقوله تعالى يبين قدرته، والمؤمن لا شكّ يسلّم بذلك من خلال مشاهداته ومحسوساته ومن خلال ما عرفه من التاريخ المثبت في القرآن الكريم، غير ما يعرفه من التاريخ المتواتر. ويستحق الإنسان ـ الفرد المجتمع ـ أن يتصف بهذه الصفة بقدر امكانياته المحدودة وبقدر ما يكون قادراً على الشيء. فهو أمام ممكنات يقوم بها، وأمام مستحيلات يعجز عن القيام بها، ولذلك تجوز عليه القدرة أمام بعضها كما يجوز عليه العجز أمام بعضها الآخر، والعجز أكبر مهما اتسعت دائرة قدراته بالنسبة لله تعالى.

وتختلف هذه الممكنات من فرد لآخر بحسب ما يتوفر لكل منهما من الوسائل، كما تختلف من مجتمع لآخر لنفس الأسباب.

وإن هذه الممكنات تخضع للزيادة وللنقصان بإرادة الإنسان لبعضها وبإرادة الله لجميعها. ومثال ذلك عجز الإنسان في زمن مضى عن القيام بصناعة الفضاء أو عن اختراقه مجال الجاذبية الأرضية، إلا أن هذه الاستحالة أصبحت ممكنة بعد أن أعمل فكره وامتلك الإرادة على ذلك، وهيأ الأسباب والوسائل اللازمة فاستطاع من خلال كل ذلك أن يصل إلى القمر، وأساس ذلك العلم والمعرفة والبحث والدرس.

ولهذا يجد الإنسان في اسم **الله القادر** درساً في شحذ الهمة وتنمية القدرات وتحقيق المزيد من الممكنات بعد تهيئة السبل الكفيلة بتحقيقها، ويجد درساً آخر في وجوب استخدام القدرة التي يقدرها، الممنوحة له من الله أصلاً، والتي يكتسبها في فعل الخير بما يعود عليه بالنفع وعلى المجتمع كذلك والأمة وربما الإنسانية كلها.

وأهم درس له في هذا الاسم أن يتذكر قدرة الله وتقديره وحكمته وتدبيره، ومحدودية قدراته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى.

المقتدر

المقتدر: هو صيغة مبالغة في وصف الله تعالى بالقدرة. والمقتدر أبلغ من القادر في المعنى وإن كان كلاهما يدلان على القدرة، وذلك لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

فالمقتدر هو القادر الذي لا يستعين بأحد وليس لقدرته بداية ولا نهاية فهو دائم الاقتدار وصاحب القوة العظيمة المسيطر بقدرته البالغة على خلقه.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وفرق العلماء بين القادر والمقتدر بأن القادر هو الذي يقدر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود، أما المقتدر فهو الذي يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره فضلاً منه وإحساناً.

وبالقياس على ما ورد في المبحث السابق يمكن أن يكون المرء مقتدراً، وأهم ماله من هذا الاسم أنه سيؤول إلى مقعد صدقٍ إذا اتقى الله حق تقاته لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ومما له منه أيضاً أن المقتدر من الإنسان على شيء هو الذي يتحمل المسؤولية في هذا المجال ويقوم بأعبائها.

المقـدِّم

في تعريف هذا الاسم الشريف يجد الإنسان مجالاً كبيراً للتخلق به بحسب قدرته وإرادته وبقدر ما يستنير به منه.

الله تعالى مقدِّم لأنه يضع الأشياء كلاً منها في موضعه، فيقدم ما يجب تقديمه منها حكماً وفعلاً على ما أحب وكيف شاء. وما يقدمه فهو مقدَّم، والمقدَّم عنده هو المقرّب إليه، ومن أبعده عنه فهو مؤخر عن غيره، وهنا يقرب معنى المقدِّم من معاني **الرافع والخافض، المعز والمذل** ولهذا فإن المقدّم يكون في المكان وفي الرتبة، وهو مضاف حتماً إلى متأخرٍ عنه[1].

لقد قدم الله رسوله ﷺ بدءاً وختاماً وأخذ بذلك عهداً على جميع المرسلين فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٨١].

ثم قدم الملائكة، ثم الأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء عن غيرهم.

وقدم الإنسان على باقي المخلوقات بتكريمه له، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسرَاء: ٧٠]. وقدم من الإنسان أكثرهم تقوى عن غيره ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

وقدم العلم على الجهل، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١]، لأن هؤلاء أكثر خشية لله من غيرهم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: ٢٨].

وقدم العرب على غيرهم من الأمم إذ جعل القرآن بلسانهم، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يُوسُف: ٢]، فجعل منهم حملة أعظم رسالة للبشرية.

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره. ص ١٣٥.

وترتيب الخلق لا يعني التقديم إذ خلق الله الجان قبل الإنسان، ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧] ، لكنه تعالى قدم الإنس على الجن. وبعصمته تعالى للمؤمنين قدمهم على الكافرين.

بهذا يصبح واضحاً للإنسان كيف يكون مقدِّماً، وماذا يجب عليه أن يقدم.

يقدم الله فقط في العبودية له لأنه صاحب الحق الوحيد في ذلك.

ويقدم كل متق مؤمن يحب الله ورسوله.

ويقدم كل خير على كل شر.

ويقدم لنفسه من العمل الصالح ما يضمن له حسن المآب برحمة الله.

ولا بد للتقديم بالنسبة للإنسان أن يكون فيه من مقصد وهو الله تعالى، ومن أجله فقط يقدم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخيره.

وهناك من الأمور ما لا يستطيع الإنسان أن يستقدم فيها أو يستأخر كانتهاء أجله. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] .

إن ما يجعل الإنسان مقدَّماً عند الله هو ما يقدمه هو لنفسه من العمل الصالح، وما يقدمه لغيره من الخير. ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبإ: ٤٠] ، ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾[الفجر: ٢٤] من الأعمال الصالحة لحياتي الآخرة.

بهذا يتقرب الإنسان من الله، والمقربون منه تعالى هم السابقون في الآخرة إلى الجنة، لأنهم كانوا المسارعين في الدنيا إلى الإيمان والطاعة.

وإن كان فلان قريباً من الله فليس الآخر بعيداً عنه إذا سأله ودعاه، فالله قريب، وللمبعدين أعطى فرصاً للتقرب إليه ومنه. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] فالإيمان بالله والاستجابة لأوامره والكف عن نواهيه طريق إليه، فصلّ له، ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩] ، والتقوى طريق أخرى. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣] ، والعفو والعدل هما أقرب إلى التقوى، وبالنتيجة إلى الله تعالى. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة:

٢٣٧] ، ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] .

لقد أنذر الله الناس بشيء أدهى من النار، فوصف جهنم بأنها من الدواهي العظام لمن شاء من الناس أن يتقدم في الخير والطاعة فيفوز بالجنة، أو يتأخر بارتكاب الشر والمعصية فيهلك فيها. ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدَّثِّر: من ٣٥ ـ ٣٧] .

يا أيها الذين آمنوا خافوا عقاب الله وأطيعوه، ولتنظر نفس ماذا ادّخرت من الأعمال الصالحة ليوم القيامة، واجتهدوا في مرضاته، وهو لا تخفى عليه أعمالكم وإنه مجازيكم عليها. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨] .

المؤخِّـر

ومن هذا الاسم الشريف أيضاً يجد الإنسان مجالاً كبيراً له ليكون مؤخِّراً بعد أن يعرف ماذا أخّر الله ويؤخِّر، ويعرف أيضاً أسباب ذلك.

اقتضت مشيئة الله تعالى وإرادته أن يخصص كل موجود بزمان ورتبة، ويخفى على الإنسان وجه الحكمة والصلاح من ذلك، فمن تأخر فهو مؤخَّر، والمؤخِّر هو نهاية الشيء من الخلف.

فلقد أخر الله المشركين عن المؤمنين، والعصاة عن الطائعين، وأعداءه بإبعادهم عنه وضرب الحجاب بينه وبينهم.

إن الله ليس بغافل عما يفعل هؤلاء ولا يعجزه أن ينزل بهم العقوبة التي يستحقون، ولكنه يؤخر ذلك إلى يوم عظيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، سيلقون العذاب بما اكتسبت أيديهم من الآثام وارتكبت من المعاصي فالله لا يعاقب أحداً من غير ذنب. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

أما المؤمنون الذين سبقت لهم الجنة فأولئك عن جهنم مبعدون لأنهم صدقوا في إيمانهم وأحسنوا طاعتهم وعبادتهم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

إن على الإنسان في اسميه الشريفين **المقدِّم والمؤخِّر** أن يعرف مراتب الوجود ومراتب الطاعات ومراتب المعاصي، فيقدم من وما يجب تقديمه ويؤخر مَنْ وما يجب تأخيره.

ومن حيث أن يكون مؤخراً فعليه لذلك أن يحذر أولاً من نفسه لأنها أعدى أعدائه، ثم الشيطان لأنه مصدر البلاء، ثم الكفار ثم العصاة. وعليه بالنسبة إلى

هؤلاء ألا ينسى أن الرحمة والمغفرة هما من صفات الله تعالى أيضاً، ومنهما يشتق الصفح والمساعدة والبر، فيصفح عمن يسيء إليه، ويساعد العاصين بأن يقدم لهم الهداية ويذكرهم بأن الله غفور، رحيم تواب، عسى أن يهتدوا فيقدمهم الله إليه ويجعلهم أكثر قرباً منه.

الأوّل

كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «**اللّهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحَديد: ٣]، مبيناً في دعائه ﷺ المقصود من كل من هذين الاسمين الشريفين، وهما بعكس بعضهما.

لقد تقدم الله سبحانه وتعالى على كل الحوادث والموجودات والمخلوقات، وكان موجوداً بذاته قبل الزمان وقبل المكان وقبل وجود خلقه ومخلوقاته، ولم يسبقه أحد، ومن هنا كان أولاً.

واسمه: **الأول** يفيد موضوع التقدم والسبق.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقِعَة: ٦٠]، وهذا مما يوجب عبادته وحده دون سواه.

إن لفظ (أوّل): أصله (أَأْول) أو (وَوْأل)[1]. وهذه الأولية بالنسبة لله تعالى ليست بالزمان ولا بالمكان ولا بأي شيء في حدود العقل أو محيط العلم. وإن العقول تشهد بأن المحدثات لها موجود متقدم عليها، فكون تعالى أولاً واضح جداً من هذه الجهة.

ويقول القشيري: الأول في وصفه تعالى: بمعنى القديم الأزلي الذي لا ابتداء له.

وفي اعتقادي إن هناك درساً هاماً يمكن أن نتعلمه من هذا الاسم، وهو أن يجتهد الإنسان لأن يكون أولاً في القيام بكل خير.

وتشهد المجتمعات البشرية في كل حين ظهور إنسان أول في مجال من

---

(١) المعجم المدرسي: مادة أول، ص ٧٥.

مجالات الحياة مهما قل شأن هذه المرتبة. وهذا يقتضي من كل إنسان أن يعدّ العدة للفوز بها، وهذا يتطلب منه شحذ كل همة وتعلم كل مامن شأنه الوصول به إليها، وبذلك يصبح قدوة لغيره ومثالاً في كيفية الحصول عليها.

وبالطبع فإنه يستحيل على أي إنسان أن يكون أولاً في كل شيء، بل إن كثيراً من الناس لم يحققوا مرتبة أولى ولا في أي مجال من مجالات الحياة طوال عمر الواحد منهم، ومع ذلك فلقد كان بعضهم قدوة لغيرهم لأنهم امتلكوا ما يؤهلهم لأن يكونوا تلك القدوة.

إن ملخص هذا الدرس أن يسعىٰ الإنسان ليكون أولاً في القيام بفعل كل خير، وإن لم يستطع فيكفي أن يكون سباقاً إليه.

الآخِـر

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحَديد: ٣] .

الآخر: كاسم من أسماء الله تعالى ومن حيث معناه، فإنه ترادفه عدة أسماء أخرى. منها: الباقي بعد الأشياء والمخلوقات كلها، ومنها أيضاً أنه تعالى هو الدائم والأبدي بلا نهاية، وكذلك هو المحيط، إذ أحاط علمه بكل شيء وهو المميت لأنه يغني الكل ولا يبقى إلا وجهه الكريم فهو الحيّ.

لقد ورد اسمه: **الآخر** في ثمان وعشرين آية من آيات القرآن الكريم، منها ستة وعشرون مسبوقة بكلمة: اليوم، لتصبح كلمة واحدة هي اليوم الآخر، ومباشرة نستشف تنبيهاً من الله تعالى إلى ذلك اليوم، إلى فظاعته وعظمته إلا على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩] من أهوال ذلك اليوم.

ومن ذلك أيضاً نستشف درساً ملخصه أن يجتهد الإنسان لكي لا يكون آخراً في أي مجال من مجالات الخير مهما قل شأن هذا المجال، فيتسابق مع نفسه للتقدم في كل ما يستطيعه من مجالات الخير، ويتسابق مع غيره في ذلك أيضاً، وهذا يتطلب منه تحقيق ما يؤهله لذلك.

الظـاهـر

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] .

واسمه الشريف: **الظاهر**، هو اسم الفاعل من ظهر، ومعناه: تبين وبدا بعد الخفاء، فهو ظاهر.

وهناك عدة تعاريف أخرى لهذا الفعل، منها[١]:

في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] : شاع وكثر.

ظهر فلان على السرّ: اطلع عليه.

ظهر فلان على عدوه: غلبه وقوي عليه. ﴿إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠] ظهر السطح وغيره: علاه ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] أي ما قدروا أن يعلوا عليه.

والمقصود باسمه تعالى: **الظاهر** إذا أخذناه من الظهور هو أنه ظهر للعقول بحججه وبراهين وجوده، وإن أخذناه من قول العرب: ظهر فلان بمعنى بان: فهو تعالى بيّن في خلقه.

والظاهر عكس **الباطن**.

ويقول ابن الأثير: إن الظاهر هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه.

وقيل: إنه الذي عرف بطريق الاستدلال العقلي مما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه[٢].

ويتحدث القشيري عن الظاهر والباطن معاً فيورد هذه العبادة: الظاهر في

---

(١) المعجم المدرسي، مادة: ظهر. ص ٦٧٢.

(٢) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها. ص ٣٦٩.

وصفه سبحانه بمعنى الظاهر بخلقه، والباطن في وصفه ﷻ بمعنى العليم بخلقه، المدبر لأحوالهم.

فالله تعالى ظاهر إن طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال، وباطن إذا طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال[١].

ويعتبر الإنسان ظاهراً وباطناً. فهو ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرتبة المحكمة، وباطن إن طُلب من إدارك الحس. وهو[٢] مظهر لاسم الظاهر ومظهر لاسم الباطن، فبجسمه هو مظهر لنور الظاهر، وبروحه هو مظهر لنور الباطن. وفي كل تعريف من تعاريف الفعل ظهر، أو أحد مشتقاته يجد الإنسان فائدة له، ويمكن أن نذكر منها:

١ ـ التذكير بالنعم التي أسبغها الله على عباده مما خفي منها ومما يرونها بالمشاهدة، فالله تعالى قد سخّر للناس مافي السموات ومافي الأرض من مخلوقات جميعاً لتسهيل أسباب عيشهم وسعادتهم. ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]. وهذا يقتضي تقديم الشكر لله تعالى وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصىٰ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فبالشكر تدوم النعم، وبه يزيد الله منها، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

٢ ـ قال تعالى في سورة الروم[٣]: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. ومعنى الآية: أنه كثر وشاع الجدب والغلاء وذهاب البركة، وتسلط الأعداء في كل مكان بسبب ما ارتكب الناس من ذنوبٍ ومعاصٍ، ليذيقهم عقوبة ما ارتكبوه في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، لعلهم يرجعون عما هم عليه من المعاصي والآثام.

---

(١) المقصد الأسنى، سبق ذكره، ص ١٦٣ بتصرف.

(٢) أي الإنسان. أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره. ص ١٠٦.

(٣) الآية: ٤١.

ويلاحظ من تفسير الآية أن أمة من الأمم، ليست معنية فحسب بقوله تعالى، بل الناس جميعهم، ولم يحدد زمناً لذلك فظهور الفساد دائم في كل زمان وكل مكان، ثم ترد العقوبة لما اقترفته أيديهم في الدنيا، وهذه من رحمة الله تعالى قبل أن يحاسبهم في يوم عظيم، لعلهم يرجعون عما هم عليه من المعاصي والآثام[1].

والرجوع هو فيما بينه الله تعالى في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] ، فإن ابتلي الإنسان بذلك فعليه تركها فوراً لقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠] .

(١) الصباغ، د. أحمد إسماعيل. المختار من تفاسير القرآن الكريم.

الباطن

المقصود باسمه الشريف: **الباطن**، أنه العالم بالسرائر والخفيات، والمحتجب عن أبصار الخلائق، فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم. ولشدة ظهوره تعالى فهو محتجب عن عيون خلقه، وهو باطن بكنه ذاته عن إدراك العقول والأفهام، فهو لا يُدرك ولا يظهر للحواس الظاهرة. هو الله **العزيز** الذي لا يُنال منه.

وله علم بكل ما بطن، وله ملك كل ما خفي واستتر. وهو بهذا المعنى: ﴿**المحيط**﴾ بكل ظاهر وباطن، علماً وملكاً وسيطرة.

ويتحدث القشيري عن الظاهر والباطن معاً فيورد هذه العبادة: «الظاهر في وصفه سبحانه وتعالى بمعنى الظاهر بخلقه. والباطن في وصفه ﷻ بمعنى العليم بخلقه، المدبر لأحوالهم».

ولا يجد الإنسان حظاً له من هذا الاسم إلا تنبيه الله له في آيتين من القرآن الكريم ورد فيهما الفعل: بطن، وهما:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الوالي

تقتضي الولاية أن يتمتع الوالي بكثير من الصفات النبيلة، منها أن يكون غنياً، عادلاً، قريباً، ودوداً، رحيماً، عفواً، غفوراً... وقد اجتمعت هذه الصفات وغيرها من الصفات الأخلاقية النبيلة في الله تعالى فكان والياً مطلقاً حقاً.

فالله غني لأنه مالك الملك، يتصرف بملكه بالعدل والإحسان والرحمة، وهو تعالى قريب من عباده يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، والقرب يولد المحبة، ويشيع الرحمة، ويمتّن العلاقة، و...

فالله عزّ وجلّ والٍ لأنه يتولى أمور خلقه ومصالحهم بالرعاية والعناية الإلٰهية التي تقودهم إلى الأصلح لهم، ولما يسعدهم ويفتح بصائرهم أنه تعالى يقوم بتدبير أمورهم بشكل جماعي حكماً وقضاءً في كل مناحي حياتهم إلا الإيمان، فتركه للإنسان أمراً اختيارياً، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يُونس: ٩٩] ، بعد أن بين له طريق الخير وطريق الشر ليختار أحدهما. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البَلَد: ١٠] ، فإما مؤمناً بالله شاكراً نعمه التي أنعمها عليه، وإما كافراً به جاحداً لربوبيته. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣] . ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وانقسم الإنسان إلى فريقين، فريق وفقه الله للإيمان والعمل الصالح، وفريق اتخذوا الشياطين أنصاراً وأعواناً لهم من دون الله فأطاعوهم فيما أمروهم به من الكفر والمعاصي وظنوا أنهم بذلك مهتدون فوجبت عليهم الضلالة.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] .

ولقد بعث الله في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴿فَمِنْهُم

مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦] .

ما كان انقسام الناس بهذا الشكل إلا بمشيئة الله ولحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

وكان الله ولي المؤمنين، يتولاهم برعايته الإلٰهية، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩] .

أما الكفار الذين لا يرجون لقاء ربهم فبعضهم أولياء بعض ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣] ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٥] ، ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨] ، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ١٩] لأنهم ضلوا عن الحق واتبعوا طريق الغواية. ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] بل جعل الله الشياطين أولياء لهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧] فمن لم يكن الرحمٰن وليه كان وليه الشيطان.

إن ولاية الله للإنسان تضمن له عدة أمور منها الوقاية من العذاب ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧] ، ومنها الشفاعة ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: ٤]، والنصر ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البَقَرَة: ١٠٧] .

ويسمى العبد والياً مجازاً لأن الله استرعاه لتدبير ما استخلفه عليه، والمؤمن من الناس من يسلم لله بالولاية، ومن يفعل ذلك تكون قدمه في الطريق إلى الجنة.

وإذا تخلق بهذا الاسم فإنه يشعر بحاجة المؤمنين إليه في تقديم المساعدة لهم، فالمؤمن وليّ المؤمن في تواده ومحبته ومناصحته. والنبي ﷺ يقول: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[1].

وكل وليّ لله مرشد إليه ويسترشد به كل مؤمن.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط.

هكذا يبين الله تعالى موضوع الولاية بينه وبين عباده المؤمنين، وبين المؤمنين مع بعضهم البعض.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] .

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩] أما في ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] . ولذلك نهانا الله سبحانه وتعالى أن نتولى قوماً غضب عليهم فأبعدهم من رحمته لأنهم عادوا الله ورسوله والمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] حتى الأقارب إن استحبوا الكفر على الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ﴾ [التوبة: ٢٣] .

ربنا ارحمنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥] .

المتعال

لماذا كان الله **متعالياً** وهو الرحمٰن، الرحيم، اللطيف، الودود، الرؤوف، . . .

إنه تعالى يريدنا أن نتوصل إلى الإجابة الصحيحة لنقدّره حق قدره، فإذا تسنى لنا ذلك فالنبيه منا سيتعامل معه على أنه الرب الذي لا يعبد أحد سواه.

أهو **متعالٍ** لأنه المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، القهار، الكبير، القوي، المتين، القادر، المقتدر، الوالي، . . .؟

نعم، فهذه من صفات المتعالي، لأنها تشير إلى تناهيه جل وعلا في علوّ ذاته عن جميع مخلوقاته واستغنائه بوجوده عن جميع كائناته واستعلائه على كل شيء بقدرته وسلطانه.

وتشير أيضاً إلى أنه العليّ الكامل العلو والعظمة، البالغ الرفعة والكبرياء في ذاته وصفاته، وإلى أنه الغالب القاهر فوق عباده الكامل الذات والصفات.

وهو المنيع فلا يطاله أحد، المنزه عن أيّ نقص، المترفع عن إحاطة العقول والأفكار، العالي مجده عن كل ما يدرك أو يفهم من أوصاف خلقه له. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

وكبعض أسمائه الشريفة **كالمتين** فقد ورد اسمه **المتعال** مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرّعد: ٩].

بينما وردت بعض أسمائه تعالى عدة مرات (كالتواب: ٨ مرات) أو عشرات المرات (كالرحمٰن: ٥٧ مرة).

وما تكرر اسمه **التواب** عدة مرات إلا ليعرف العبد أنه يتوب عليه كلما أخطأ ثم استغفر الله. أما عن تكرار اسمه **الرحمٰن** عشرات المرات فليطمئن العبد من خلاله إلى أنه سبحانه واسع الرحمة واسع المغفرة ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] .

ولعل الاكتفاء بذكر اسمه **المتعال** لمرة واحدة فقط لهو من مصادر السموّ والقوة والعلوّ.

والعلوّ في الأمور المعنوية يعني[1]:

١ ـ الغلبة: فمن يغلب يكن هو الأعلى ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤] أي غلب.

٢ ـ الشرف والرفعة: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٥] أي الشريفة الرفيعة.

٣ ـ الاستكبار: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١] أي لا تتكبروا.

٤ ـ التنزيه والترفع عن النقص: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣] أي تنزه عن الشرك.

ومثلما تعالى الله عما يُشرك به فقد تعالى أيضاً عما قيل عنه بأن معه آلهة أخرى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣] ، وكذلك تعالى عما وصفه به الكفار الذين جعلوا الجن شركاء له وأطاعوهم في عبادة غيره فنسبوا له بنين كعزير وعيسى، وبنات كالملائكة. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] .

ويتخلق المخلوق بهذا الاسم حين ترتفع همته في خدمة الله ونيل رضاه، ولن يخفىٰ عليه بعدما تقدم كيف يمكن ذلك.

وجاء في الحديث الشريف ما يشعر باستحباب الإكثار من ذكر اسم **المتعال**

(١) التفكر في الأسماء، سبق ذكره. ص ٣١٠.

فقال الله: «**بئس عبد تخيّل واختال ونسي الكبير المتعال**»[١].

ومما يجب عليه أيضاً ألا يعلو على الله فلا يتكبر عليه بالاستهانة برسوله ووحيه. ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الدّخان: ١٩].

وحين يقول العبد: الله **(تعالى)** فليذكرها بلسانه مع استحضار معناها في قلبه.

(١) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك.

البَـرّ

لعل الإنسانية اليوم أحوج ما تكون ـ أفراداً ومجتمعات ـ إلى التخلّق بهذا الاسم وتمثله تمثلاً حقيقياً، ثم السير أخلص السير في شعابه والأخذ أدق الأخذ بنواصيه.

إذا عرفنا معنى البرّ في حق الله تعالى، وكيف كان الله بَرّاً، ثم ما هو البرّ بالنسبة للإنسان وتعلمنا من ذلك كيف نكون بررة حقيقيين... إذاً لأشرقت صورة جميلة من صور إنسانيتنا الحقيقية.

الله البَرّ: هو العطوف على عباده بلطفه والإحسان إليهم وإصلاح أحوالهم، ومن خالص برّه تعالى للعباد أنه لا يقطع عنهم الإحسان بسبب العصيان. ورد اسمه الشريف: **البَرّ**: في آية واحدة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨] ، أي كنا نخلص له الدعاء والعبادة فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، إنه هو البر الذي كثر خيره، المحسن الصادق في وعده، الرحيم بخلقه لا ينفك عطاؤه ولا ينقطع لطفه.

ولقد أشار الرازي إلى سعة برّ الله تعالى بعباده وإحسانه إليهم في الدين وفي الدنيا. ففي الدين هو الإيمان والطاعة وإعطاء الثواب عن كل ذلك، وفي الدنيا فبما قسم من الصحة والقوة والمال والجاه والأولاد والأنصار[1]. فما هو البرّ بالنسبة للإنسان؟

للبِرّ معان كثيرة، منها[2]:

بَرَّ في يمينه: صدق، وأوصى الرسول ﷺ بالصدق لأنه مما يهدي إلى البر

---

(١) أسماء الله الحسنى وخواصها. سبق ذكره ص ١٠٩ بتصرّف.

(٢) المعجم المدرسي. مادة: برر. ص ٩٩.

في الحديث الشريف: «**عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر**»[١].

بَرّ في وعده: وفى. وأمر الله بالوفاء بالعهود بقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ[٢] كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

بَرّ الله حجّ فلان: قبله.

بَرّ فلان ربّه: توسع في طاعته.

بَرّ فلان والديه براً ومبرّة: توسع في الإحسان إليهما ووصلهما ورفق بهما، وأحسن معاملتهما عن حب فهو بارّ لأنه فاعل للبر.

تبارّوا: بَرّ بعضهم بعضاً.

وفي تاج العروس: البرّ: خير الدنيا والآخرة. وخير الدنيا ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم في الجنة.

وقيل فيه الكثير، ومما قيل: إن البرّ هو الطاعة والصدق والصلاح، وهو الخير والإحسان والتقوى.

وقيل: هو التوسع في فعل الخير.

وقيل أيضاً: هو اسم جامع للطاعات.

وقد اختلف العلماء في تفسير البر فقال بعضهم: البرّ: الصلاح. وقال بعضهم: البر: الخير. ولذلك قال الزجّاج في تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ . . .﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] قال بعضهم في ذلك: هو كل ما يُتقرب به إلى الله ﷻ من عمل الخير[٣]. وهو نوع من الجود والكرم، ولذلك فهو مادي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، والبخاري في الأدب، ومسلم في الصحيح، والترمذي عن أبي مسعود ﷺ، وأبو داود.

(٢) والعهد عهدان كما ورد في الآيات التي أمر الله به فيها: واحد بالوفاء بالعهود والتي تتعلق بذاته العلية كما في قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٠]. والثاني يتعلق بالعهود بين الناس بعضهم ببعض كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النّحل: ٩١]، كالوفاء بالعقود والوفاء بالكيل والميزان. راجع مادة (وفى) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٨٤٦.

(٣) الموسوعة، ج ١ سبق ذكرها. ص ٢٨١.

كالسخاء والبذل، وهو معنوي أيضاً كبّر الولد بوالديه.

والبَرّ بفتح الباء هو فاعل البِرّ بكسر الباء. ولا يقال عن إنسان أنه بَرٌّ ما لم تتوال منه أعمال البر.

ومثل الوفاء بالعهود، فإن البر يكون في اتجاهين أيضاً: برّ الإنسان لربه، وبرّ الإنسان للإنسان، وفي الاثنين معاً يبين الله لعباده كيف يكون كل منهما. أما عن الأول، فلقد قال الله تعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] ، فليس البر ـ أي ليس كل البر ـ أن تتجهوا في صلاتكم ـ والخطاب هنا موجه لليهود والنصارى ـ جهة المشرق والمغرب، بل هو الإيمان، وأوله الإيمان بالله وباليوم الآخر وبالملائكة وبكتبه وبرسله.

وبعد كلام آخر من قوله تعالى في الآية نفسها يتعلق ببر الناس فإنه تعالى يذكر إقام الصلاة بشروطها وأركانها ثم الوفاء بعهده.

وأما عن الثاني:

فإن الآية السابقة [البقرة: ١٧٧] طويلة. ومن اللافت للنظر أن ما ورد فيها عن برّ الله لم يتجاوز إلا بضع كلمات فقط، تلخصت بأن برّ الله هو الإيمان على نحو ما ذُكر.

أما الجزء الأكبر منها فكان لبرّ الإنسان للإنسان.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧] .

مما يجدر الانتباه إليه أولاً هو أن برّ الإنسان لأخيه الإنسان قد تقدم على الصلاة وعلى الزكاة في قوله تعالى في الآية السابقة، وكذلك على الوفاء بالعهود التي تتعلق بحضرته الجليلة.

إن برّ الإنسان لأخيه الإنسان هو برّ لله تعالى أيضاً، فأن يبر الإنسان أخاه الإنسان فكأنما يبر الإنسان اللَّهَ نفسه.

وفي الآية الكريمة السابقة فإن مناحي البرّ كثيرة وأولها إنفاق المرء مما أعطاه الله من المال رغم حبه له. قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ، أي لن تنالوا صفة البر حتى تتصدقوا مما تحبون من خيار أموالكم، فكان بذل الأحسن بذلك شرطاً لنيل صفة البرّ.

ثم يبين الله أن أفضل الإنفاق مايكون على الأقارب ثم اليتامى ثم المساكين الذين لا يحصلون على ما يكفيهم لسد حاجاتهم. والمسافر والمنقطع في الطريق بدون مال، والطالبين العون وفي تحرير الأرقاء (وأقام الصلاة بشروطها) ودفع الزكاة المفروضة لمستحقيها. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا الله أو الناس. والصابرين في البأساء أي في الشدة كالفقر والخوف، والضراء كحالة المرض والسقم، والصابرين حين البأس أي وقت شدة القتال ومواجهة الأعداء، أولئك هم الذين صدقوا الله في إيمانهم وأولئك هم المتقون أي الذين اتقوا النار وفازوا برضوان الله تعالى.

وقد ورد في الحديث: «**من عمل بهذه الآية فقد استكمل دينه**»[١].

إن بداية بر الإنسان للإنسان حسب ما ورد في الآية الكريمة السابقة هو إنفاق المرء من مال أعطاه الله إياه على الناس وأولهم ذوو القربى وأقرب هؤلاء إليه هم الوالدان. فبرّ الوالدين قد جاء أول شعب من شعب البرّ، وكأن من يكون باراً بوالديه الذي يعتبر البعض أن مجرد النظر إلى وجه الوالدين عبادة، يكون بارّاً بكل الآخرين، كالأقرباء والأصدقاء والفقراء والوطن والمعلم وغيرهم.

ولقد قيل في **برّ الوالدين** الكثير الكثير من آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأقوال أخرى لعلماء وفلاسفة.

فقد ورد في الخبر عن سيد البشر محمد ﷺ أنه قال: «**رضا الرّب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما**»[٢]، وبذلك اعتبر رضاهما وسخطهما من رضا

(١) صباغ، د. أحمد إسماعيل، المختار من تفاسير القرآن الكريم.
(٢) رواه البخاري في الأدب، والترمذي في السنن.

الرب وسخطه ما لم يأمرا ولدهما بالشرك به تعالى. ولهذا يعتبر بر الوالدين هو من خير أعمال الدنيا.

فلم ينكر الله سبحانه وتعالى فضل الأبوين على الولد في تربيته وتنشئته، فجاء الإحسان إليهما في القرآن الكريم بعد عبادة الله مباشرة. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وجاء تقديم الشكر لهما بعد تقديم الشكر لله مباشرة أيضاً. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

والإحسان إلى الوالدين عمل بينه في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، وذلك ما لم يأمرا ولدهما ليشرك بالله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: ٨] إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال علي كرّم الله وجهه: «لو علم الله شيئاً في العقوق أدنىٰ من أف لحرّمه».

وقال ﷺ: «**من أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي الأب**»(١) وقال ﷺ أيضاً: «**بر الوالدين يجزىء عن الجهاد**»(٢).

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة لوقتها**». قلت: ثم أي: قال: «**برّ الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» أي إن برّ الوالدين أحب إلى الله من الجهاد في سبيله.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من سرّه أن يُمدّ له في عمره ويزاد له في رزقه فليبرّ والديه**»(٣). وعن أبي يعلى وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «من برّ

---

(١) رواه: مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه بروايات متعددة.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي، ج ١ ص ٤٢٥ للسيوطي.

(٣) رواه: الإمام الأحمد، والبزار، والطبراني في الأوسط، وعبد الله بن أحمد، ورجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد.

والديه طوبى له، زاد الله في عمره».

وممن شهد له الله ببره بوالديه يحيىٰ بعد أن آتاه الحكم صبياً وآتاه حناناً من لدنه وزكاة. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٣، ١٤] فكان يحيى كثير البر والإحسان لوالديه ولم يكن متعالياً عليهما ولا عاصياً لأوامر الله ﷻ.

وأن يبرّ الإنسان أمّه فذلك أعلى وأحق من أن يبر أباه، وما كان بر الأم أعلى من بر الأب إلا لأسباب بيّنها الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤]، لأن أمه حملته وهو جنين في بطنها ضعفاً فوق ضعف يتزايد ضعفها بازدياد ثقل الحمل حتى الولادة، وفطامه من الرضاع في عامين، ولهذا وجب على الإنسان أن يقدم الشكر لله لأنه هو المنعم عليه في الحقيقة بالحياة والوجود ثم تقديم الشكر لوالديه لما تحملاه من مشاق ـ وخاصة الأم ـ في سبيل تربيته وتنشئته.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**برّ الوالدة على الولد ضعفان**»[(١)].

وممن جلعه الله بَرّاً بوالدته عيسى ابن مريم عليهما السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣٢].

ويجب على الابن أن يبرّ أبويه حتى بعد مماتهما وفي رواية أبو داود وابن ماجه: يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما**[(٢)]**، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**»[(٣)].

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء، وقال العراقي: غريب بهذا اللفظ عن أبي هريرة وبهز بن حكيم رضي الله عنهما.

(٢) أي الدعاء لهما.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه.

كذلك على الإنسان أن يكون بارّاً بأولاده، ومن البر هنا أن يساوي بينهم في العطية لقول رسول الله ﷺ: «**ساووا بين أولادكم في العطية**»[١].

ومن البر أيضاً أن يعين الإنسان ولده على برّه هو. قال ﷺ: «**رحم الله والداً أعان ولده على برّه**»[٢] فلا يحمله على العقوق بسوء عمله.

إن برّ الإنسان لوالديه سينعكس إيجاباً على بر أولاده له لأنه سيكون قدوة لهم في ذلك. قال رسول الله ﷺ: «**برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم**». وقال فيلسوف: «من عقّ والديه عقّه ولده».

إن مناحي البرّ كثيرة أيضاً:

أولها تقوى الله. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩] وذلك بتجنب محارمه. ومن البرّ قضاء حاجة أخيك والتعاون معه على البر والتقوى ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢] أي التعاون على القيام بما يرضي الله تعالى من فعل الخيرات وترك المنكرات وعدم التعاون على ارتكاب الآثام والمعاصي.

ومن البرّ الإحسان إلى اليتيم قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»[٣]، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى وفرّج بينهما.

والصدقة من البر أيضاً. قال ﷺ: «**أفضل الصدقة أن تشبع كبداً جائعاً**»، وقال أيضاً: «**صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان، فهي صدقة وصلة رحم**»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، والخطيب في التاريخ، وابن عساكر عن ابن عباس ﷺ ومعناه عند البخاري ومسلم والدارقطني.

(٢) أخرجه ابن حبان عن علي ﷺ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والدارقطني عن سهل بن سعد ﷺ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ج ١ ص ٣٦٥.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط عن سلمان بن عامر ﷺ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، ج ٢ ص ٦٢.

ومن البرّ إتقان العمل لقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(١).

واستماع الطالب إلى دروس معلمه وحفظها وكتابة واجباته المدرسية من البر. وإخلاص المواطن لوطنه بحبه له والدفاع عنه وتقديم كل ما ينفعه له ومن أجله هو من البر... إلخ.

إن البر هو الالتزام بعهد الله بالسير على الصراط المستقيم ووفق سنة رسول الله ﷺ، والإنسان إذاً يكون بارّاً بقدر ما يكون صادقاً، وفياً، محسناً، وبقدر ما يتعاطى من أعمال البر وفي مقدمة ذلك بعد بره لله بره لوالديه، فلا يترك مجالاً من مجالات الإحسان والعمل الصالح إلا ويكون له يد في ذلك.

فإذا فهمنا البر وعرفنا الطريق إليه بالتعرف على دروبه ومناصيه فمن الخطأ أن نأمر به الناس وننسى أنفسنا كما فعل غيرنا سابقاً. ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: ٤٤].

لندعُ الله أن يلهمنا البرّ ولنعاهده على أن نكون بررة في كل مناحي حياتنا، وندعوه أيضاً أن يتوفانا مع الأبرار كما علّمنا في كتابه الكريم ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣] لأنهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم ولذلك هم ينعمون بالجنة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفِطار: ١٣].

(١) أخرجه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها، وابن عساكر، وابن حبان، وضعفه جماعة. انظر مجمع الزوائد، فيض القدير.

التـواب

تميل النفس البشرية حسب تركيبتها الخلقية إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي واتباع الهوى دون أن تسوغ لها هذه التركيبة ذلك الميل، إلا من يعصمه الله من خلقه عن ارتكاب مثل ذلك. فإن مالت فسيجد الله غفوراً للمستغفرين، وهذا واحد من أبواب رحمته تعالى بعباده حين يتوب المذنب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٥٣] .

وقال رسول الله ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[1]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: ٢٧] .

والتوب والتوبة في اللغة هما الرجوع عن المخالفات التي يرتكبها الإنسان، والله تعالى يقبل من ذلك فيغفر له ما ارتكب منها حتى لو تكرر ارتكابه لمعصية واحدة أكثر من مرة، ولهذا فهو تعالى: **التواب** وهي صيغة مبالغة من: تاب، لأنه يقبل التوبة ويشفق على عباده من المعاصي والذنوب، ويعينهم على مغالبة الشهوات ويوفقهم إلى التوبة.

ومن أبواب رحمته تعالى أيضاً أنه لا يعجّل بالعقوبة، يمهل المذنب عسى أن يتوب، فيعترف بذنبه ويندم على ما قام به ويعاهد الله على الكفّ عنه وعلى عزمه بألا يعاود ما اقترفه. ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤] .

وقيل في الله التواب: إنه هو الذي يخلق التوبة للعبد بدليل قوله تعالى:

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم والإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨] ، فمتى لم يتب الله على العبد لا يتوب العبد، فابتداء التوبة من الله تعالى بالحق وتمامها على العبد بالقبول.

ويقول الغزالي في تعريف **التواب**: هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد مرة، بما يُظهرُ لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول[1].

ولقد أمر الله بالتوبة، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١] وهو تعالى غني عن توبة العباد. وما المقصود من التوبة إلا إصلاح الفرد، وبالتالي المجتمع، وبيّن فضلها بأن فيها الفلاح لأنها خروج العبد من الظلمات إلى النور وإبدال سيئاته حسنات لأنه سيعود إلى الإيمان ويعمل صالحاً. ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] .

وأمره تعالى بالتوبة أن تكون نصوحاً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] والأمر للوجوب. والتوبة النصوح هي التوبة الصادقة الخالصة لوجهه، الخالية من الشوائب والتي تنزه العبد عن الفواحش والأقذار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢] .

فالتوبة فرض عين على الإنسان من الذنوب الكبائر والصغائر فوراً، فالمؤمن يتوب من يومه ومن ساعته ويندم على ما فعل من ذنوب، ويجب عليه أيضاً أن يتوب عن الذنوب الماضية ويفكر فيما يقرّبه من الله تعالى وينجو به من عذاب الآخرة. ويجب ألا تكون في الظاهر فقط بل في الباطن أيضاً.

ووعد الله سبحانه وتعالى بالقبول، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤] .

إن التوبة تقتضي الندم وعدم العود إلى ارتكاب المعصية واستبدال ذلك

(١) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها ص ٣٨٦.

بالعمل الصالح، فيعمل التائب بما أمر الله وينتهي عما نهىٰ عنه، فإذا فعل كل ذلك فإنه يتوب إلى الله متاباً أي يتوب توبة مقبولة عند الله ماحية له ما ارتكب من الذنوب ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفُرقان: ٧١] .

واعتبر الله ارتكاب المعاصي نوعاً من الظلم ومرتكبيها ظالمين. ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المـائـدة: ٣٩] ، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: ١١] .

ولقد بيّن الله في القرآن الكريم من تقبل توبته وهم الذين يعملون السوء عن جهل منهم فيتوبون من قريب، ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النّساء: ١٧] ، وبيّن من لا تقبل توبته وهم الكفار الذين يزدادون كفراً. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران: ٩٠]. فالله يقبل التوبة عن كل ذنب إلا أن يشرك به.

بعد هذه المناداة من الله لعباده بالتوبة إليه توبة نصوحاً، فلنعترف بأنه ليس بيننا اليوم من لم يرتكب ذنباً ما، كبيراً كان أم صغيراً، وهاهو الله سبحانه وتعالى يغفر لمن يتوب إليه ويؤمن ويعمل صالحاً. ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] ، فهو عظيم المغفرة حتى لمن يرجع عن الشرك به فيؤمن به إلهاً واحداً مصدقاً لكتبه ورسله وقائماً بما أمر به، ومنتهياً عما نهى عنه ثم اهتدى.

لقد قبل الله تعالى توبة أول بني البشر وهو آدم عليه السلام بعد أن ارتكب أول معصية في تاريخ البشرية حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عن القرب منها، فندم ثم تلقى من ربه كلمات ألهمه الله إياها اعترافاً بخطيئه وطلباً للمغفرة والرحمة من الله. ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧] . ولا يزال باب التوبة مفتوحاً، ووردت في ذلك آيات كثيرة وأحاديث كثيرة. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] ، ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ

﴿ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩] .

وأخرج الترمذي والضياء عن أنس ﷺ: قال الله تعالى في حديثه القدسي: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني (لا تشرك بي شيئاً) لأتيتك بقرابها مغفرة**».

وقال ﷺ: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار، ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[1] أي في كل حين إلى يوم القيامة، وبسط اليد كناية عن طلب الله التوبة من العبد وكناية عن قبولها.

وقال ﷺ أيضاً: «**لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم**».

وقال ﷺ أيضاً: «**إن الله لا يملّ حتى تملّوا**»[2]، فكلما رجع العبد إلى ربه وجده قبالته يهرول إليه لأنه التواب.

فلا ينظر الإنسان إلى حجم المعصية التي ارتكبها بل يفكر بمن عصاه، لا يفكر علام اجترأ بل يفكر على من اجترأ، ولا ييأس مع ذلك فباب التوبة يتسع لدخول كل التائبين.

وليعجل الإنسان بالتوبة من فوره فتأخره بها ليس في صالحه، وليؤمن بأن الموت قريب والتوبة لا تنفع حين تغرغر الروح وتصل إلى الحلقوم. ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**يا ابن آدم لا تكن ممن يؤخر التوبة لطول الأمل ويرجع إلى الآخرة بدون عمل، يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين، إن أُعطي لم يقنع، وإن مُنع لم يصبر، يحب الصالحين وليس منهم،**

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) أخرجه البزار عن أبي هريرة ﷺ.

ويبغض المنافقين وهو منهم، يأمر بالخير ولا يفعله وينهىٰ عن الشر ولا ينته عنه».

وقال منصور بن عمار لشاب يعظه: «يا شاب لا يغرّك شبابك، فكم من شابّ أخّر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته فقال: إني أتوب غداً أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة، فصار في جوف القبر لا ينفعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم». ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨، ٨٩] .

وبقي أمران لا بد من ذكرهما في هذا البحث:

الأول: إن كثيراً من البلدان تشهد مواسم قحط وجفاف، ونزول المطر عند المؤمنين كسائر حركة الكون ليس حادثة جغرافية فحسب، بل هو حادثة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما يفعله الناس وبرحمة الله أيضاً. فإن كثرت ذنوبهم فالمؤمن يؤمن بأن انحباس المطر بسبب ذلك، وهذا يقتضي الاستغفار المخلص، استغفار العمل لا استغفار القول على ما سلف من الذنوب، والتوبة إلى الله من الشرك به، وتقديم الطاعة إليه، حين ذلك يرسل الله المطر متتابعاً فتحيا به البلاد من القحط والجدب، والله تعالى هو القائل:

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هُود: ٥٢] .

والثاني: إن عدداً من أفراد المجتمع ينظرون إلى المذنب نظرة سلبية فهم يحتقرونه ويبعدونه عنهم، وإذا كان لهم الحق في نظرتهم فليس لهم الحق بإبعاده بل يجب عليهم تنبيهه إلى خطورة ما فعل وبيان أثر ذلك ثم تقديم النصح إليه وتشجيعه على التوبة.

ولنتذكر دائماً قول رسول الله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[1] وقوله تعالى عن نفسه أنه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غَافر: ٣] أي يقبل رجوع عبده إليه وأنه أيضاً: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] [نفس الآية السابقة].

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد ﷺ، والبيهقي في الشعب.

المنـتـقم

نقم منه: عاقبه على ذنبٍ صدر منه، فهو منتقم.

والنِّقمة اسم من الانتقام وهي كراهة يضامها سخط. ومن كره أمراً من الأمور مع سخط منه فهو منتقم. وقد كره الله أموراً وسخط أموراً أخرى فهو منتقم، والانتقام هو غاية العقوبة.

والله المنتقم: هو ذو السلطان المطلق في تنفيذ أشد العقوبات بحق العصاة. القوي العزيز القادر على إهلاك أهل الكفر والظلم والمعاصي الذي يشدد العقاب على الطغاة بعد الإعذار والإنذار وبعد التمكين والإمهال.

وقيل: **المنتقم**: هو الذي يشدد العقوبة على الظالمين ويسلط البلاء على المجرمين وهو الذي يرسل رسله بالآيات والإنذارات، فمن لم تفد معه الإنذارات سلط عليه العقوبات والانتقامات.

فالله تعالى لا ينتقم من عباده إلا بعد طول الإعذار والإنذار وكثرة الإمهال، فإذا أبى العبد إلا إصراراً وعتواً وإعراضاً عن موافقته انتقم منه بعد ذلك.

وما انتقامه سبحانه وتعالى إلا لردع النفوس الخبيثة عن التمادي أو لتخويف النفوس المريضة عن ارتكاب المعاصي، وغايته تحقيق التوازن من خلال العدل، فكلما كان الحاكم حازماً وذا سلطة في تطبيق العقوبات فإن استقامة المجتمع تكون أعلى.

ورد اسمه الشريف **المنتقم** ثلاث مرات في القرآن الكريم بصيغة **منتقمون**، ووردت صيغة أخرى لهذا الاسم في أربع آيات من القرآن الكريم هي: **ذو انتقام** وهو - **المنتقم** أو **ذو انتقام** - اسم حسن لما فيه من صلاح النفوس والمجتمعات إجمالاً، ففي العقوبات استخراج الضغائن وتربية النفس على خشية الله، غير أنه ردع للنفوس عن ارتكاب المعاصي، وفيه دفع للنفس على دوام المراقبة

والاستغفار المستمر.

وانتقام الله لا يكون لغاية في ذاته الإلٰهية، فهو منزه عن الغايات الخاصة لأنه كامل، ولكن انتقامه لصالح الضعفاء بل لصالح الإنسان عموماً، ولا يكون انتقامه نتيجة تحامل أو حقد في نفسه كما يتصور عند البشر بل انتقامه عقوبة تربوية أو جزائية مجردة عن التفاعلات النفسية البشرية.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أسس عقوباته، ولكن هذه العقوبات بالنسبة للمؤمنين لا تسمى انتقاماً فهي عقوبات تربوية تكفيرية علاجية لما في النفوس، ولكنها بالنسبة للكفرة عقوبات جزائية حتى يغيروا ما بأنفسهم، ومن أخلاق النبي ﷺ أنه «**ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله**»[1] أي ما عاقب أحداً على مكروه أتاه من قبله. فإن لم يفعلوا وتبين عدم جدوى صلاحهم أو احتمال إيمانهم فإن العقوبة الانتقامية الكبرى تكون بأخذهم أخذ عزيز مقتدر وهم بحال الكفر مما يوجب لهم النار في الآخرة لأن من يموت على الكفر فلا توبة له والنار أولى به[2].

فليعرف الإنسان أنه ما من صغيرة ولا كبيرة إلا ولها عقوبة تتناسب معها، ولذلك عليه أن يخاف ربه ويراقب نفسه خشية أن تقع في المعاصي فتحتاج إلى العلاج بالعقوبات الزجرية أو الجزائية بحسب إيمان الشخص أو فسقه أو كفره.. ويرجع تقدير ذلك للمنتقم وحده سبحانه وتعالى.

لقد استعمل الناس الانتقام بمعنى الثأر. فالمنتقم منهم هو الذي يثأر لنفسه بين الناس، والمحمود من انتقام العبد أن ينتقم من أعداء الله احتراماً لله وتحقيقاً لشرعه الذي فيه مصلحة الخلائق، وإن أعدى أعداء الإنسان هو نفسه، وحقه أن ينتقم منها حين تقترف المعصية أو تخلّ بالعبادة.

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل.

(٢) التفكر من الأسماء، سبق ذكره. ص ٤٠٤.

العـفـوّ

عفا عن ذنبه، وعنه ذنبه، وله ذنبه.. عفواً: صفح عنه وترك معاقبته، فهو عافٍ. وإذا تكرر عفوه صار عفوّاً.

فالعَفْو: هو الصفح وترك عقوبة المستحق بمعنى المحو والإزالة.

وفي تاج العروس: فإن الصفح هو ترك التأنيب وهو أبلغ من العفو. والعفْو من المال: ما زاد على الحاجة والنفقة. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩].

واسم **الله العفوّ** قريب من اسمه **الغفور** ولكنه أبلغ منه. فالغفران يعني الستر والعفو يعني المحو، والمحو أبلغ من الستر.

ويعرّف الغزالي العفو بأنه محو السيئات والتجاوز عن المعاصي. وهو قريب من اسم الغفور ولكنه أبلغ منه. فإن الغفران ينبىء عن الستر، والعفو ينبىء عن المحو والمحو أبلغ من الستر.

ويذكر القشيري أن العفوّ هو الذي يمسح آثار الذنوب ويزيلها بريح المغفرة فهو يمحو الذنوب من ديوان الحفظة.

ورد اسمه **العفوّ** خمس مرات في القرآن الكريم. اقترن باسمه **الغفور** في أربع منها واقترن باسمه **القدير** في الباقية.

والله تعالى عفوّ لأنه يقبل التوبة عن عباده إذا تابوا ورجعوا إلى طاعته وأعادوا حقوق الناس لأصحابها، ويعفو عن السيئات التي ارتكبوها في حق الله صغيرها وكبيرها. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

وهو يجازي أيضاً بالعطاء الوفير ويبدل السيئات حسنات، فيزيل بجميل عفوه ومغفرته آثار كل الظلم والإجرام الذي ارتكب بحقه.

إلا أن عفوه لا يسوّغ أن يُعتمد فيُضيّع أمره ونهيه ويُنسى أنه شديد العقاب

وأنه لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين. ومن اعتمد على عفو الله مع الإصرار على الذنب يعتبر كالمعاند.

ومن خُلق المؤمن أن يكظم غيظه حين يتعرض إلى إساءة الآخرين، بل ويعفو عنهم. ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٦].

والعفو عن الناس من دواعي الغفران الإلٰهي: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النُّور: ٢٢]، بل على الإنسان أن يحسن إليهم كما يرى الله محسناً في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجلٍ لهم بالعقوبة. ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّغَابُن: ١٤].

ويجب أن يكون عفو الإنسان عن مقدرة لا عن ضعف بحسب ما يتعلم من كلام الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩].

لقد أجاز الله أن يعاقَبُ المسيء بالعقوبة التي أوجبها الله عليه، فمن عفا عمن أساء إليه وأصلح ما بينه وبين ظالمه بالعفو عنه فثوابه عظيم عند الله تعالى. ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٧].

عن جابر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصبر والسماحة**»[١] وقال ﷺ موجهاً إلى محو السيئة بالحسنة: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[٢].

ومن خلق المؤمن أيضاً أن يدعو الله بالعفو عنه وعن سائر المسلمين ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم.

(٢) رواه الترمذي.

الـرؤوف

رأف به رأفة: رحمه أشدّ الرحمة وأشفق عليه من مكروه يحل به فهو رائف.

ترأّف به: عامله بالرأفة أو أظهرها له.

والرأفة هي أرق الرحمة، والرؤوف هو شديد الرحمة.

وكانت رحمة الله تعالى لعباده نتيجة إرادته الإحسان إليهم دون أن يكون ذلك شرطاً عليه. وأخفى رحمته بحكمته ليرهب العبد جلاله وأظهرها بحنانه ورأفته ليذوق العباد عوائد كرمه فلا ييئسوا.

ورد اسمه **الرؤوف** في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة. واحدة منها في حق رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وعشر مرات في حقه سبحانه وتعالى. اثنتان منها: «**رؤوف بالعباد**» والباقيات: «**رؤوف رحيم**» فقدّم الرأفة فيها كلها على الرحمة، وهذا يشير إلى أنه لا بد للرأفة من الرحمة.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويفرّق الرازي بين اسم **الرؤوف** واسم **الرحمٰن** بقوله: «واعلم أنه تعالى قدّم الرؤوف على الرحيم، والرأفة على الرحمة. وهذا يقتضي وقوع الفرق بينهما، وهو أن الرحيم في الشاهد إنما يحصل لمعنى في المرحوم من فاقةٍ وضعفٍ وحاجة. والرأفة تطلق عندما تحصل الرحمة[1].

ومن القرآن الكريم نورد بعضاً من مظاهر رأفة الله بعباده:

ـ العفو والمغفرة وقبول توبة التائبين: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، أي تاب على من خلصت نياتهم وصدقت

---

(١) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها، ص ٣٩٨ بتصرف.

توبتهم، إنه بهؤلاء رؤوف رحيم.

ـ حفظ إيمان المؤمنين: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] .

ـ إمهال الناس من فسقةٍ وكفرةٍ دون المؤاخذة السريعة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النّحل: ٦١] .

ـ تحذيره للعباد رأفة لهم وبهم: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عِمرَان: ٣٠] ، أي يخوّفكم من عقابه الشديد إن عصيتم أمره. ولكنه رؤوف بالعباد رحيم بهم حيث يمهلهم للتوبة وتدارك أمورهم.

ـ نزول القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَديد: ٩] لنخرُج من ظلمات الكفر والشرك والضلالة فننجوا من عذابه يوم القيامة، إلى نور الإيمان والتوحيد والهداية فننعم بدار الآخرة.

ـ الرأفة بالذين يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاته: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ـ الأنعام التي خلقها من أجلنا وجعل لنا فيها دفئاً ومنافع وطعاماً: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النّحل: ٧] .

هذا بعض من رأفة الله بالعباد، وفي ذلك يجد الإنسان فوائد جمةً يمكن أن تجعل منه إنساناً رؤوفاً مع نفسه ومع الناس.

فإذا رأى الله ممهلاً له فلا يتمادى في المعاصي، فإمهاله تعالى هو من رأفته عليه علّه يرجع عن غيّه، فليغتنم هذه الفرصة وليبادر إلى توبة نصوح.

ومع الناس يجب أن يكون رؤوفاً بهم كافة فيكون سهل المعاملة معهم عطوفاً رؤوفاً بأهل البلايا والآثام. يشفق عليهم ويرحمهم عاملاً بحديث رسول الله ﷺ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(١).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنه.

مالك الملك

ملك الشيء مُلْكاً ومَلْكاً ومِلْكاً: جعله في حوزته وانفرد بالتصرف فيه فهو مالك.

والمُلْك: هو ما يُمْلك ويُتصرف به. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٨].

وصاحب المُلْك يسمى المالك فهو **مالك الملك**. والمالك يقتضي أن يكون قادراً تام القدرة.

والمالك مشتق من الملك، والملك مشتق من الملك، والمليك مبالغة من المالك، كالعليم: مبالغة من العالم، والملك مبالغة من المالك وأصل الملك في اللغة: الشدّ والربط.

المِلْك: يقال: هذا الشيء مِلْكُ يميني، أي أملكه وهو في تصرّفي. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عِمرَان: ٢٦]، لأنه يعطيه من يشاء ويصرّفه تحت أمره ونهيه، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٩].

ويذكر الغزالي: أن **مالك الملك** هو الذي تنفذ مشيئته في مملكته كيف يشاء وكما شاء إيجاداً وإعداماً وإبقاءً وإفناء.

وتعرّض المفسّر الآلوسي لتفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦] فقال: «مالك الملك الحقيقي هو المتصرّف بما شاء كيف شاء إيجاداً وإعداماً. إحياءً وإماتة. تعذيباً وإثابةً من

غير مشاركٍ ولا ممانع»[١].

اقترن اسمه الشريف **المالك** على هذه القراءة وعلى بعض القراءات بالبشر كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ٢] ، أي مالكهم ملكاً تاماً ومتصرف في أمورهم تصرفاً مطلقاً. ويُستبان من ذلك شدة احتياجهم له وخضوعهم إلى إرادته في تصريف شؤونهم.

كما ورد مقترناً بيوم القيامة كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: ٤] ، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرقان: ٢٦] . فهو تعالى صاحب الملك الحقيقي ذلك اليوم. واسمه في هذه الآيات يصف ذاته وأحقيته في التصرف بممتلكاته دون أن يسأل، وهنا يقترب معنى اسمه **المالك** من معنيي اسميه **الخالق والمهيمن** على خلقه كل الهيمنة.

إن ما تقدم يثير سؤالاً مشروعاً يتعلق بالملك الحقيقي الذي يملكه الإنسان، فما هو هذا الملك وإلى أي مدى يمكن أن يتحكم أو يتصرف فيه؟

إن ولادة الإنسان في زمان ومكان لا خيار له فيهما هو دليل ملكية الله التامة له، فهو مملوك أصلاً ولو تسنى له أن يكون مالكاً في مستقبله، فإذا ملك فإن مملكته هي بدنه، فإذا أنفذ مشيئته في صفات قلبه وجوارحه فهو مالك مملكة نفسه بقدر ما يُعطى من القوة عليها، كأن يملك لسانه فيمنعه من أن يقول ما يضره أو أن يملك نفسه عند الغضب فيغضّ من جماحها ويسيطر عليها.

ولذلك فإن العاقل يعلم تماماً أن المالك الحقيقي للأشياء هو الله تعالى، وأن كل ملكية أخرى في الدنيا هي ملكية عارضة، كالمال، وهذا يجعله ساعياً لبذل ما يملك أو لبذلٍ مما يملك منه في سبيل الخيرات ومساعدة الفقراء.

---

(١) الموسوعة، ج ١ سبق ذكرها، ص ٤٠٣.

ذو الجلال والإكرام

ذو: هو أحد الأسماء الخمسة ويعني: صاحب أو من له حق الملك. ويستعمل هذا الاسم للدلالة إلى أن كل ما يلحقه فيشكل معه أحد الأسماء الإلٰهية مثل: **ذو فضل، ذو انتقام، ذو الرحمة، ذو علم، ذو مغفرة، ذو العرش، ذو عقاب، ذو القوة، ذو الطول، ذو المعارج، ذو الجلال والإكرام...** فإنما مرده وأصله وملكيته ترجع إلى فضل الله وجلاله وإحسانه. فقوله تعالى: **ذو الرحمة** مثلاً: يعني أن الرحمة مخلوقة من قبله ليعامل بها خلقه ويوزعها بينهم كما أخبر النبي ﷺ.

وبالتالي فإن كل شيء من الخصال الحسنة التي يمكن أن يتحلى بها شخص في هذا الكون فإنما مرده وأصله يرجعان إلى فضل الله وجلاله وإحسانه.

الجلال في اللغة: التناهي في عظم القدر. وجلّ جلاله: عظم قدره.

ورد هذا الاسم الجامع للجلال والجمال مرتين في القرآن الكريم:

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٧].

﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٨].

ولقد اختص به الله تعالى وحده لأن جلاله تعالى ليس بأنصار وأعوانٍ وسبب من الأسباب بل لأوصاف الرفعة والعزّة والعلوّ التي تلحق به. وكل جلالٍ له وكل كرامة منه. الجلال له في ذاته، والإكرام هو فيض متناه منه على خلقه بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال بعض العارفين: هو صاحب الجلالة لأنه لا شرف ولا مجد ولا عزة ولا قوة إلا وهي له وبه ومنه. ولا كرامة ولا فضل ولا نعمة ولا إحسان إلا وهي من مدده جل جلاله.

ويكفي الإنسان من هذا الاسم فيوضات الله عليه من إكرامه وشرف العبودية له، وهذا يكفي ليعرف العبد ماذا يجب عليه أن يفعل تجاه **الله ذي الجلال والإكرام**، وليعمل بقول رسول الله ﷺ: «**ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام**» [١]، أي ألحّوا في دعائكم بها.

(١) أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

المقسط

فرّقت اللغة بين معنيي الفعلين: قسط، وأقسط.

أقسط في حكمه: عَدَلَ، فهو مقسطٌ أي عادل.

بينما قسط: جار أو حاد عن الحق فهو قاسطٌ، أي ظالم.

والقسط: العدل.

والإقساط: هو العمل العادل، أي تنفيذ حكم العدالة بالعدل.

ولقد ذكر الأصفهاني الفرق بين قسط وأقسط، فقال: «والقسط هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والإقساط أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف. ولذلك قيل: قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل».

والمقسط إذاً: هو العادل.

والله المقسط: هو المنصف الحكيم الذي لا يخطىء الحق، فينتصف للمظلوم من الظالم، وكماله في أنه يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم، وذلك غاية العدل ولا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وأقام الله سبحانه وتعالى شريعته بالعدل. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] .

وأرسل رسله بالآيات الدالة على وحدانيته وأنزل معهم الكتب السماوية والأسس والأحكام التي تحقق العدل بين الناس ليتعاملوا بها. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وأمر الناس بذلك ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩] ، أي بالعدل والاستقامة.

إن المقسطين هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقد أحبّهم

الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [في جميع الآيات التي وردت فيها كلمة **المقسطين** وعددها ثلاث آيات. منها: الحجرات: ٩].

أما القاسطون الجائرون في أحكام الله فهم حطب لجهنم لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجنّ: ١٥].

وتدور الآيات التي ورد فيها القسط، أي العدل حول موضع الاجتهاد في إقامة العدل لإحقاق الحق وإيصاله إلى أصحابه كاملاً، وكان خطاب الله فيها موجهاً إلى المؤمنين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أما الناس الذين طلب الله إيصال حقوقهم إليهم فهم الناس كل الناس دون الأخذ بجنسيةٍ أو دين.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٩]، أي بالعدل في المعاملات. ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، أي لا تبخسوا الناس حقوقهم.

ونبّه سبحانه وتعالى إلى أن لا يكون البُغض الذي يحمله إنسان حاكم (أو اختير ليكون محكماً بين خصمين) تجاه إنسان آخر صاحب حق سبباً في عدم إحقاق هذا الحق. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

حتى إنه سبحانه وتعالى قد أنزل آية بحق اليهود أوصىٰ فيها الرسول ﷺ أن يحكم بينهم بالعدل حين حكّموه بينهم. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

إن غاية العدل أن يسود بين جميع أفراد المجتمع ولو كان بينهم كفار أو غير مسلمين وهذا ما يجب على المسلم فعله، أن يقيم العدل بين الناس أو يدعو إليه فالله يحب العادلين.

قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يعدل بين المؤمنين يوم القيامة**»(١).

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي.

وإن تطبيق أحكام الله الواردة في كلامه تعالى هو تنفيذ للعدالة لما فيها من العدل، فلا جور ولا ميل في تطبيقها.

والمسلم هو من ينتصف أولاً من نفسه لنفسه، ثم من غيره لغيره، ولا ينتصف لنفسه من غيره.

الجامع

الجامع: هو اسم عظيم واسع المعاني. ولا يعرف تفصيل جمع الله إلا من يعرف تفصيل مجموعاته في الدنيا والآخرة.

والأمر الجامع: هو الذي له خطر يجتمع له الناس، ومن أخطر الأمور التي سيجتمع لها كل الناس هو جمعهم في يومٍ لا ريب فيه.

لمنكري البعث نزلت آيات تخبرهم بأن الله يحييهم ما شاء لهم الحياة في الدنيا ثم يميتهم عند انقضاء آجالهم ثم يجمعهم إلى يوم القيامة أحياءً للحساب والجزاء. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٦] ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]. ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ٧ ـ ١٠] ، ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المُرسَلات: ٣٨] .

يوم الفصل هو يوم القيامة، وله أسماء أخرى منها: يوم الجَمْع، يوم التغابن، . . . وسمي بذلك لأن الله يجمع فيه بين الإنس والجن وجميع أهل السماء والأرض ويفصل بينهم.

يقول القشيري: إن الجامع في وصفه تعالى بمعنى الحاشر للخلق، الناشر لهم يوم القيامة للثواب والعقاب[1].

والجامع من الكلام: ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه، ومنه أتت جوامع الكلم وهو القرآن الكريم.

والإحسان من جوامع الكلم. قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥] ، وقوله تعالى:

---

(١) الموسوعة، ج ١. سبق ذكرها، ص ٤١٤.

«**وأحسنوا**»، جاءت في سياق الإنفاق، ولكنها في الحقيقة جاءت من جوامع الكلم. فالإحسان مطلوب في الإنفاق وفي الأفعال وفي الأقوال، لذلك جاءت في القراءة بوقف متعانق. فللقارىء أن يقف قبلها وله أن يقف بعدها لتكون عامّة المعنى.

والجامع من الإنسان كما يشير الغزالي هو من جمع بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب، فمن كملت معرفته وحسنت سيرته كان إنساناً جامعاً.

الغـنـيّ

للغنى ومشتقاته اللغوية معانٍ كثيرة.

غنيَ غنىً وغناءً: كثر ماله فهو غني. والغني هو المكتفي من الرزق، وذو المال الوفير، وبالنسبة لبعض الحاجات فقد يكون مستغنياً أي غانياً.

أما **الله الغنيّ**: فهو الذي لا يُحتاج إلى أحد سواه في شيء. وكل أحد محتاج إليه، وهو سبحانه المستغني عن خلقه بقدرته مهما كانوا أغنياء فهم فقراء إليه. ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [مَحَمَّد: ٣٨] ، فهو الغني عن العالمين وعن عباداتهم وجهادهم بينما هم بحاجة إلى رحمته ورزقه وعفوه ومغفرته.

وبذلك خاطب جميع الناس فهم محتاجون إليه في كل حركاتهم وسكناتهم وهو حميد لأنه يستحق الحمد على جميع أفعاله. ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: ١٥] ، وهو مستغنٍ عن كل ما سواه، بل ومتفضلٌ على العالمين بكرمه ورزقه بمحض إرادته ووداده لهم.

إن **مالك الملك** الذي لا حصر لأملاكه حجماً وسعة ووفرة هو الغني الحقيقي، وكثيراً ما عبّر القرآن الكريم عن هذه الملكية كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٣١] .

ورد اسمه **الغني** في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، **وغنياً** مرة أخرى. اقترن فيها مع **الحليم** مرة، ومع **الكريم** مرة، ومع **الحميد** عدة مرات، وفي ذلك إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى: الغني الحليم الكريم الحميد لدى جميع خلائقه لكمال أسمائه ولكرمه ولجوده معهم.

ومن غناه سبحانه وتعالى أنه ليس بحاجة لعبادة الناس له ولا لصلواتهم ولا لجهادهم، وإنما قد فرض عليهم هذه العبادات من أجلهم هم لأن نفعها سيعود عليهم فقط.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦] . ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] .

فإن جحد الناس جميعاً نعمته فلن يضروه شيئاً، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] .

أما الناس الأغنياء فلقد أطلق عليهم القرآن الكريم هذه الصفة مجازاً لأن هذا المعنى هو المعنى اللغوي الدارج لدى العامة من الناس فخاطبهم الله بالمعنى الذي يفهمونه.

وهذا الاسم الشريف يحفّز الإنسان على أن يكون غنياً، وليس له من الغنى الحقيقي إلا الاغتناء بالعلم النافع له وللإنسانية وخاصة العلم الإلٰهي الشرعي.

وكذلك ليس له منه إلا غنى النفس لقول رسول الله ﷺ: «**إنما الغنى غنىٰ النفس**» وهذا لا يتحقق له إلا بالعلم والعمل الصالح.

ومن يدرك فقره إلى الله سبحانه وتعالى فإنه يكون قد ارتقى في العلم، لأن من عرف نفسه عرف ربه، فإذا عبد الله فليكن مخلصاً في عبادته له مقتنعاً بأن نفع عبادته سيعود عليه بالنفع وحده.

وإذا سأله فليسأله مخلصاً ومقتنعاً بأنه يسأل الله الغني الحقيقي الوافر الكمالات.

أمّا من كان يملك شيئاً من المال حسب تعاريف المال فإن الله يحذره أن يلهيه ماله عن ذكر الله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنَافِقون: ٩] .

المغـني

المغني كما يقول القشيري في حق الله تعالى هو الذي يغني من يشاء غناءً عمّن سواه، وهو المعطي الغنى لعباده.

وبما أنه سبحانه وتعالى هو **الغني** الحقيقي كما مرّ في البحث السابق فبالنتيجة إنه لامغني إلا هو تعالى، فالمغني هو تصرف الغني إذا أغنىٰ.

إنه تعال يهب الغنىٰ لمن يشاء من عباده، أما عطاؤه فلم يكن ممنوعاً على أحدٍ من خلقه أراد الدنيا أم أراد الآخرة. ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسرَاء: ٢٠] ، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] .

ومن أدب المؤمن مع الله **المغني** أن من عرف الله تعالى هو **الغني المغني** استغنى بالاعتماد عليه عن كل شيء ورجع إليه في كل أمر.

فإذا أعطاه فليشكره، ولن يقابل شكرُه مهما كبر عطاءَ الله له مهما قلّ.

ومن الناس من لم يغنه الله، وكتب عليه أن يفتقر إلى حاجة أو أكثر من حاجات الحياة الحلال كطعام أو لباس أو نكاح أو غير ذلك.. وهؤلاء عليهم بالصبر وامتثال العفة وعدم اللجوء إلى الطرق غير المشروعة للحصول على هذه الحاجات أو على بعضها. ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النُّور: ٣٣] ، وعلى هذه الحاجة تقاس بقية الحاجات التي شاءت إرادة الله أن يكون عليها بعض الناس.

المـانـع

المَنْعُ أن يحال بين الإنسان وبين ما يريده. وهو ضد الإعطاء.

مَنَعَهُ الشيء ومنع منه ومنع عنه منعاً، حرمه إياه فهو مانع ومنوع[1]، فإذا صار شديد المنع ضنيناً ممسكاً كان منّاعاً.

المانع: هو الذي يمنع ما يحب أو يريد منعه، ويعطي ما يحب أو يريد عطاءه. **والله المانع** إذا أعطى فتفضلٌ منه وإصلاح، وإذا منع فحكمة وصلاح، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

ويرىٰ القشيري أن المانع في وصفه تعالى بمعنى منع البلاء عن أوليائه أو منع العطاء عمن شاء مطلقاً، فإذا منع البلاء عن أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً منه، وإذا منع العطاء كان ذلك فضلاً جزيلاً.

وقال بعض العارفين: المانع هو الذي يدفع أسباب الهلاك والنقص في الدين والبدن بخلق الأسباب التي تحفظ من الهلاك والنقصان. فهو يوجد بعض الممكنات ويمنع وجود البعض، يعطي كل شيء ماهو في مصلحته ويمنع ما هو سبب فساده. يغني من يشاء بالعطاء ويمنع من شاء بالابتلاء. وسبحانه يغني ويفقر ويسعد ويشقي ويعطي ويحرم ويمنح ويمنع فهو المعطي المانع.

وقد يكون باطن المنع نوع من العطاء وقد يكون من أجل الحفظ فاسمه **المانع** قريب في بعض المعاني من اسمه **الحفيظ**، ولكن الفرق بينهما أن المنع هو إضافة للسبب المهلك، والحفظ هو إضافة إلى المحروس من الهلاك، وهو مقصود المنع وغايته إذا كان المنع يراد للحفظ[2].

وفي هذه الحال يكون معنى المانع في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

---

(١) معجم ألفاظ القرآن والتاج والأساس.

(٢) أسماء الله الحسنى وخواصها، سبق ذكره، ص ١٢١ بتصرف.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧] .

لم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم ولكنه مجمع عليه في روايات حديث الأسماء الحسنىٰ، ومنه يتعلم الإنسان ماذا عليه ألا يكون مانعاً في أشياء، منها:

ألا يمنع الخير عن الناس، فقد وصف الله الإنسان بأنه إذا أصابه الغنى كان مانعاً وممسكاً، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١] .

وألا يمنع مساجد الله أن يعبد فيها الله، أو يسعى إلى هدمها أو تعطيل شعائر الدين فيها، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ﴾ [البقرة: ١١٤] .

وألا يمنع الماعون كبعض الناس الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [المَاعون: ٧] ، والماعون هو مختلف أنواع المعونة كعمل الخير والمعروف.

وألا يطيع كل منّاع للخير معتد أثيم، ﴿فَلَا تُطِعْ﴾ . . . ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القَلَم: ١٢] .

وألا يتكبر فالتكبر عن غير حق مانع للإيمان.

الضارّ النافع

كون الله نافعاً فهذه صفة محمودة في ذاته، وكونه ضاراً فهذه صفة محمودة أخرى، إن أسمائه... **الحسنى**، لا تؤول على الإنسان إلا بالخير.

الضرّ بـ: إلحاق أذى أو مكروهٍ فيه.

والضرّ يأخذ عدة معان أخرى، منها سوء الحال والفقر، الشدة في البدن، والمرض والهزال. ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

والنفع: الإفادة وإيصال الخير.

إن الجمع بين اسميه الشريفين: **الضار والنافع** هو أبلغ في وصفه تعالى بتمام القدرة والحكمة، فلأنه بيده الخير والشر فلا ضارّ ولا نافع إلا هو، والخلق كلهم تحت لطفه.

فإن آمن الإنسان بذلك، وبأنه لا مؤثر في جميع العوالم الجسمانية والروحية والمادية وغيرها إلا هو سبحانه وتعالى وحسب ما يريد، وأنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، فسيجد في هذين الاسمين الشريفين طمأنةً له، وسيمتثل أوامر الله في أقواله. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

إنهما أحد دروس الإيمان بالله في بعض نواحيه.

فالإنسان نفسه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩]، فإذا مسّه الضرّ كشدة في دنياه وضيق في عيشه فلا قادر على كشفه إلا الله، وإن ينعم عليه بخير، كصحة أو غنى فإن الله على كل شيء قدير. ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]. ولا أحد يملك لأحد شيئاً إن أراد الله به ضراً أو نفعاً ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الفتح: ١١] .

قال رسول الله ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»(١).

ومن دروس الإيمان أن نؤمن بالله القادر الغني عن العالمين، فلا الإنسان ولا كفره ولا انقلابه على عقبيه ولا إشراكه بالله تعالى و... كل ذلك لن يضرّ الله شيئاً.

بل وإيمانه وتوحيده والعمل بأوامره والامتناع عن نواهيه و... كل ذلك أيضاً لن ينفع الله شيئاً وسيعود نفع ذلك على الإنسان فقط.

في الحديث القدسي «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**».

ومن دروس الإيمان أيضاً ومما يقتضيه الأدب مع الله أن ننسب الخير له وننسب الشر لأنفسنا لأننا أسبابه إذا اقتضت إرادة الله ذلك، وبهذا وجهنا الله تعالى بقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النّساء: ٧٩] .

وفي آيتين من القرآن الكريم درس آخر، إذ تعلمان المؤمن ألا يكون من القوم الذين كانوا في نعم كثيرة من الله، كصحة في أبدانهم وسعة في أرزاقهم وأمان في ديارهم، فإذا أصابهم مرض وسقم أو ضيق في العيش أو عدم اطمئنان وخوف فإنهم قد رفعوا أصواتهم بالتضرع والدعاء إلى الله ليكشف الضر عنهم، فإذا رفع الشدة والبلاء عنهم إذا فريق منهم يضيفون كشف الضرّ إلى الوسائط والأسباب ولم يضيفوه إلى الله تعالى. وهاتان الآيتان هما: [النحل: ٥٣ و٥٤] وقال الله تعالى فيهما: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾

(١) رواه الترمذي والإمام أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الضـارّ

الضارّ اسم من أسماء الله الحسنى التي لا نطلقها على أولادنا مسبوقة بـ: عبد لشدة هوله حسب فلسفة الإنسان لمعنى **الضارّ**.

إن **الله الضارّ** هو المقدر للضرّر لمن أراد وكيف أراد، فهو تعالى يُفقر ويُمرض ويشقي و... على مقتضى حكمته. وينظر الإنسان إلى الأمور وفق ما يتحقق له من المصلحة الشخصية، فإن خسر ماله ظن أن الله يضرّه، وإن أصابه مرض ظن أن الله يضرّه. وكثيراً ما تبين للبعض على أثر ذلك في المستقبل أن هذا الضرر الذي أوقعه الله بهم كان منفعة حقيقية أرادها لهم نتيجة ذلك الضرر.

إن بتر اليد الفاسدة في سبيل إنقاذ باقي الجسد هو ضرر من أجل النفع. وقتل القاتل حياة للمجتمع اتقاء لتكرار القتل. ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

والمثل يقول: «ربّ ضارّة نافعة».

إن ضرّ الله يشتمل إذاً على أعوان من الرحمة لا يعرفها إلا العقلاء، وخاصة المؤمنين لأنهم يعرفون أن ضرّ الله قد يكون بلاء لتكفير الذنوب أو ابتلاءً لرفع الدرجات، فيرجعون إلى الله في كل ما يصيبهم. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦]، فإذا وقع الإنسان بضرٍّ فعليه بذكر الله فربما كشف عنه ذلك الضرّ كما حصل لسيدنا أيوب، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعَام: ١٧ ويونس: ١٠٧].

ويمكن أن يكون الإنسان ضاراً، فإذا كان فليضرّ نفسه إذا كانت أمارة بالسوء، فيمنعها عما تطلبه من ملذات غير مشروعة، ففي ذلك الضرر صلاحها

بالنتيجة، ويضر أعداء الله.

إلا أنه لا يمكن أبداً أن يضر الله بشيء.

فإعراضه عن طاعة ربه لا تضرّ الله بشيء، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ [هُود: ٥٧].

وانقلابه على عقبيه لا يضرّ الله في شيء، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤].

وإن اشترى الكفر بالإيمان لن يضرّ الله شيئاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عِمرَان: ١٧٧].

وليطمئن الإنسان إذا اهتدى فلن يضرّه ضالّ وعليه أن يلزم إصلاح نفسه فقط. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: ١٠٥].

النافع

الله النافع هو الذي يصدر منه الخير والنفع في الدين والدنيا، فهو وحده مانح الصحة والغنى والسعادة والجاه والهداية والتقوى.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] .

يظن البعض أن في بعض ما توصل إليه الإنسان من المكتشفات العلمية كالخمر بعد أن عرف ظاهرة التخمّر، أو في بعض أنواع السلوك كلعب القمار إذا ربح مال الغير دون عناء، نفعاً له. ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٩] ، ففي تعاطيهما مفاسد عظيمة كذهاب العقول وإضاعة الأموال، وفيهما أيضاً منافع ضئيلة للناس لا توازي أضرارهما. ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البَقَرَة: ٢١٩ جزء من تتمة الآية السابقة] ، فإثمهما الذي ينشأ عنهما هو أكبر بكثير من نفعهما.

إن الدرس الهام الذي يستفيده الإنسان من هذا الاسم هو أن يكون نافعاً، لنفسه أولاً، فيتذكر أنه مقبل على يوم لا ينفعه فيه إلا عمله، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨، ٨٩] ، فيزكي نفسه بإصلاحها بطاعة الله وصالح الأعمال. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] ويطهرها من دنس الذنوب بالتوبة والطاعة التي يعود نفعها عليه وحده، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [فَاطِر: ١٨] ، فيفوز بإذن الله برضوان الله والجنة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] .

وللناس ثانياً، بتذكيرهم بذلك اليوم، فيدعوهم لتدبر القرآن الكريم، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذّاريَات: ٥٥] .

النّـور

نارَ الشيءُ نوراً: أضاء.

فالنور لغة: هو الضوء. وفي القرآن الكريم هو ما به الاهتداء والإدراك.

ولذلك **فالله النّور** كما يقول القشيري، هو لأنه منوّر الآفاق بالنجوم والأنوار، وهو منوّر الأبدان بآثار العبادات، ومنوّر القلوب بالدلائل والحجج.

والله النّور كما قال ابن عباس رضي الله عنه: هو الهادي الرشيد الذي يرشد بهدايته من يشاء فيبيّن له الحق ويلهمه اتباعه.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: ٣٥] أي منورها وهاديها. «**مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح**» أي صفة نوره الذي ينير به قلوب عباده المؤمنين ليسلكوا سبيل الهداية والرشاد كمثل كوة غير نافذة في جدار فيها سراج مضيء. «**المصباح في زجاجة**» وهذا السراج في زجاجة صافية شفافة. «**الزجاجة كأنها كوكب دُرّيّ**» الزجاجة كأنها والنور فيها كوكب دريّ في صفائه وإشراقه وضيائه. «**يوقد من شجرة مباركة**» أي يوقد من زيت شجرة مباركة. «**زيتونة لا شرقية ولا غربية**» تتلقى نور الشمس من الصباح إلى المساء. «**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**» أي يجعل زيتها من أجود الأصناف وأنقاها يكاد زيتها يضيء لصفائه وحسن لمعانه ولو لم تمسسه نار. «**نور على نور**» أي فكيف إذا مسته نار؟ يصبح نوراً على نور. «**يهدي الله لنوره من يشاء**» أي يوفق الله لاتباع نوره ـ القرآن ـ من يشاء من عباده. «**ويضرب الله الأمثال للناس**» لإفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا. «**والله بكل شيء عليم**»[1] فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء[2].

---

(١) تتمات الآية السابقة، [النور: ٣٥].

(٢) الصباغ، د. أحمد إسماعيل. المختار من تفاسير القرآن الكريم.

إن الهدىٰ من الله **«يهدي الله لنوره من يشاء»** [ضمن الآية السابقة]، ولكنه تعالى أرسل رسوله ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم وأنزل إليه القرآن يبيّن لهم الحق من الباطل. ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، ويخرجهم من ظلمات الشك والشرك إلى نور الهداية والإيمان بإذن ربهم ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] ، وبذلك جعل الله تعالى من القرآن مفتاحاً للدخول إلى عالم الهداية والتقوى.

وفرّق بين من اهتدى وبين من لم يهتد ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۚ﴾ [الرعد: ١٦] .

أما من اهتدى من العباد فالله يتولاهم بعونه وتوفيقه: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧] . ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزُمَر: ٢٢] ، وأما من كفر منهم فأولياؤهم الطاغوت. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [تتمة الآية ٢٥٧ من سورة البقرة] . فمن لم يدخل الله قلبه الإيمان فلا هادي له، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُور: ٤٠] .

وللنور معان أخرى، ومن ذلك نور العلم والمعرفة، وعلى المخلوق في هذه المجالات أن يسعى إلى محاسن الأخلاق لأن الله يهدي القلوب بنوره إليها ليؤثر العبد الحق ويدع الباطل.

الهـادي

هدىٰ فلاناً: أرشده ودلّه وبيّن له.

والهادي: هو المرشد والدليل.

والهدىٰ: الدلالة والبيان والرشاد.

والله الهادي كما يعرّفه الغزالي هو الذي هدى خواصّ عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على الأشياء، وهدى عوامّ عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته.

وهدىٰ كل مخلوق إلى ما لا بد منه في قضاء حاجاته، فهدى الطفل إلى التقام ثدي أمه عند انفصاله عنها، وهدى الفرخ إلى التقاط الحبّ وقت خروجه من البيضة و....

﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طـــــــه: ٥٠] ، ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] .

ويقول القشيري: إنه بمعنى المقدم أهل الخير إلى الرتبة التي يستحقونها لأنه يدل على طريق الخير والنجاة بعد أن دلّهم على محاسن الأخلاق ومعالم الأمور. وبالنتيجة فإن الله تعالى يهدي خلقه إلى الصراط المستقيم ليعرفوه حق معرفته ويمتثلوا لربوبيته ففي ذلك منجاة لهم.

إن الله يدعو إلى دار السلام، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يُونس: ٢٥] وهي الجنة. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] ، ففيها السلامة من عذابه لمن اتبع هداه. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] ، وأما من أعرض عن ذكره ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤] .

إن الإسلام هو دين الهداية، وهدى الله إليه ديناً مستقيماً لاعوج فيه منّة منه

﴿ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجرَات: ١٧] ، فوفق عباده إلى الإيمان بعد أن بين لهم طريق الحق والخير والصواب، وطريق الباطل والشرّ والخطأ. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣] ، فانقسم الناس إلى مؤمنين بالله وكافرين به جاحدين لآياته وربوبيته. وكان ذلك من مشيئة الله سبحانه وتعالى، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يُونس: ٢٥] ، فهو تعالى يهب الهداية لمن ارتضاه ويسهّل له سبل الهداية والكرامة.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] ، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] أي الهالكون.

ومن سبل الرشاد أن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة منه للعالمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧] ، لكن الرسول لا يهدي من أحب هدايته للإيمان بل الله هو الذي يهدي والهداية له هو، فيوفق من أرادت حضرته الجليلة إلى الإيمان وهو أعلم بمن قدّر له ذلك. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القَصص: ٥٦] .

وأنزل عليه القرآن يهدي لأقوم الطرق وأوضحها للإيمان، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة التي أُمروا بها بأن لهم أجراً وثواباً عظيماً عند الله يوم القيامة. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٩] .

إن كلام الله كله هدى، فمن جائزة ومكافأة إلى عقوبة وتحذير، إن الإنسان يجد في كل ذلك بشكل أو بآخر هدياً له.

وما هداية الإنسان إلا لنفسه، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ [يُونس: ١٠٨] فمن اتبع الرسول وصدّق بما جاء في القرآن الكريم فإن نفع ذلك سيكون عليه، أما من آثر الضلال فلم يستجب لداعي الله فإنما يضل عليها لأن وبال ضلاله راجع إليه أيضاً.

وشتان ما بين من يمشي في الضلالة منكّساً رأسه لاينظر أمامه ولا إلى يمينه أو شماله، وبين من يمشي سوياً معتدلاً على طريق الهداية والإيمان. ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢].

والهداة من العباد هم الأنبياء والعلماء الذين يرشدون الخلق إلى السعادة الأخروية ويهدونهم إلى صراط الله المستقيم، فالله الهادي لهم على ألسنتهم وهم مسخّرون تحت قدرته وتدبيره.

وأحسن مافي المخلوق أن يكون مشتغلاً بدعوة الخلق إلى الحق: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويرشدهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية جملة وتفصيلاً.

إن الآيات التي ورد فيها الهدي والهدى ومشتقاتهما اللغوية كثيرة جداً جداً، وقد خصص الله سبحانه وتعالى منها آيات ليست بالقليلة للمذنبين، فهو يهديهم إذا تابوا عن ذنوبهم بكل أنواعها صغيرة كانت أم كبيرة. ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

فليسارع المذنب بالتوبة النصوح، يتخلّص من أدرانه أولاً، فالله لا يهدي من كان جاحداً بآياته، ولا يهدي من كان مسرفاً كاذباً كافراً ظالماً فاسقاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [النحل: ١٠٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

لا يقنط من كان مذنباً من رحمة الله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

[الزمر: ٥٣] ، وليستهدِ الله. قال تعالى في حديثه القدسيّ: «**فاستهدوني أهدكم**». ولنعتصم جميعاً بالله، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٠١] . ولندعُه إن لم نكن مهتدين ليهدينا إلى صراطه المستقيم. ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦] .

وإن كنا مهتدين أن يثبتنا على الحق فلا يجعلنا نميل عنه بعد أن هدانا إلى طاعته: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨] ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١] .

البـديـع

بَدَعَ الشيءَ بدعاً: أنشأه وعلى غير مثال سابق، فهو بديع. ومنه: البِدْعَ والبَدْعُ: وهو المحدث الجديد الذي يُفعل أولاً.

بَدُعَ الشيءُ بدوعاً وبداعةً: صار غاية في صفته، فهو بديع أيضاً.

وإذا بدع فلان في أمر: كان أولاً لم يسبقه إليه أحد، وقد أبدع: أي أتىٰ بالبديع أو أتى بأمر جديد (مادي أو فكري أو فني). أو أحدثه أو أنشأه لا على مثال.

وفي باب (بَدَعَ) من القاموس المحيط: بدع الشيء يبدعه، وابتدعه: أنشأه. والإبداع (عند الفلاسفة): إيجاد الشيء من العدم، فهو أخصّ من الخلق. وتقول اللغة: إن الإبداع هو إنشاء صنعة بلا احتذاء أو اقتداء.

والله بديع في معنيين:

فالله البديع بمعنى أنه هو الأصل. الذي لا عهد بمثله، بديع في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته ولا في حكم من أحكامه أو أمر من أموره. وتعجز الأيادي عن صنع نظائر الخلق، فهو أيضاً معجزٌ لغيره عن تقليده.

والله البديع بمعنى أنه أبدع خلقه. ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: ١١٧] وأراد سبحانه وتعالى بذلك أنه المتفرد بخلق السموات والأرض، أي أنه مبدعهما ومنشؤهما وموجدهما على غير مثال سابق.

وكان إبداعه بغير آلة أو مادة، ولا زمان أو مكان.

ووجب على الإنسان لذلك أن ينزهه عن المثيل وأن يُكبر خلقه ويعترف بعظيم صنعه، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: ٨٨].

ولقد اختص سبحانه وتعالى بالإبداع الإلٰهي في الخلق وفي التكوين وفي الوجود، وترك للإنسان الإبداع البشري في الابتكار والتوليد والتجديد.

ويتوقف إبداع أمة من الأمم على مقدرة أبنائها على ذلك، وليس بالضرورة أن يكون هذا التوليد مقطوعاً عن ماضيه أو نائياً عنه، ولا أن يكون التجديد كثيراً أو قليلاً في إضافته لما قبله، بل المهم والضروري ألا تتوقف العملية الإبداعية في السياق التاريخي لكل أمة.

إن تقليد الأسلاف تقليداً أعمىٰ، يعبر عن أهم جوانب ضعف الإنسان إذ ينتفي فيه العقل والإبداع.

فالإبداع الحقيقي لا يكون حقيقياً إلا بتجاوز الأقدمين والمعاصرين معاً. ولكن يتم هذا التجاوز بعد استيعاب التراث وإنجازات الأمم. فللمبدع الحق في الاستفادة من الموروث المحلي والعالمي على الأقل ليعرف ما هو موجود من الإبداعات فيعمل على أن يكون مبدعاً فيأتي بالجديد الذي لم يسبقه إليه أحد. وهذا يقتضي جداً أن يجهد ويتعب، ولا يكون له ذلك إلا بالحصول على مزيد ومزيد من العلم والمعرفة.

إن ما يستفاد من هذا الاسم أن يسعىٰ الإنسان إلى الحصول على العلم فيتحرر من أن يكون مُقلداً أو إمّعة لغيره.

الباقي

بقي الشيء بقاءً: دام على ما كان، فهو باق.

والحياة الباقية: هي الحياة الآخرة.

لقد كتب الله على خلقه الفناء واستأثر لذاته العلية بالبقاء. **والله الباقي**: لأنه الدائم الأبدي الوجود، يكون في الأبد على ما كان عليه في الأزل.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦، ٢٧].

والباقيات الصالحات: هي الأعمال الباقية الأثر. قال رسول الله ﷺ: «**استكثروا من الباقيات الصالحات**»، قيل: وماهي يا رسول الله؟ قال: «**التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[1].

وقيل: الباقيات الصالحات: هي كل عملٍ صالح.

يمكن أن يوحي هذا الاسم الشريف: **الباقي**، بأن الإنسان يعيش زمنين، الأول يعيشه جسداً وروحاً في الحياة الدنيا، وعملاً يقوم به استعداداً للحياة الآخرة الباقية، وكل الناس يعيشون هذا الزمن عدا البعض الذي يعيش الزمن الثاني ـ مجازاً ـ ذكرىٰ خالدة في أذهان الناس إن على المستوى المحليّ الذي عاش فيه حياته الدنيا، أو على مستوى أكبر من ذلك، وربما بكثير، حين يعيشه ذكرى خالدة في أذهان الإنسانية بحسب ما يقدمه لها، إلى زمن طويل تتعاقب فيه أجيال وأجيال وأجيال.

الزمن الأول:

إن اسم **الله الباقي** الذي كتب على خلقه الفناء واستأثر لذاته بالبقاء لهو دليل لا يُحتاج إليه في أن رحلة الإنسان في الحياة الدنيا قصيرة مهما طالت،

---

(١) رواه: أحمد وأبو يعلى والنسائي وابن حبّان والحاكم عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه.

فنحن ميتون، كلٌ حين ينتهي أجله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠] . وعلى الإنسان أن يستفيد من الله الباقي في حياته الدنيا، فماذا لدى الله له فيها؟

يقول الله تعالى للناس: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] ، بزينتها ومباهجها، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧] ، أي إن ثواب الآخرة خير من الدنيا وما فيها من تلك المباهج لأنها فانية والحياة الأخرى باقية.

إن كل ما في الدنيا من نعم مهما كانت كثيرة أو عظيمة ماهي إلا مجرد متاع يتمتع به الناس مدة حياتهم، وهو في النهاية متاع زائل فان، لكن ما عند الله من الثواب والجنة في الآخرة هو أفضل لأنه أدوم من الدنيا ومن كل ما فيها من تلك المباهج. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ﴾ [القَصَص: ٦٠] ، ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النّحل: ٩٦] ، وليس بالضرورة أن يكون نفاد ما عندنا بنفاد الشيء نفسه، إذ يمكن أن يكون بانتهاء آجالنا وانتقالنا إلى الحياة الآخرة.

نحن إذاً بحاجة إلى رحمة الله، وإن كان الله غنياً عنا فلسنا بأغنياء عن فضله ورحمته.

ولكي نحظىٰ بهذه الرحمة علينا أن نعمل عملاً صالحاً، وهذا ما يريده الله منا وقد استخلفنا في الأرض. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾ [التوبَة: ١٠٥] ، وبحسب ما نعمل فإننا سنلقى الله.

والباقيات الصالحات: وهي الأعمال والأقوال والعبادات هي خيرٌ جزاءً وأجراً وأملاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ، وخيرٌ مرجعاً وعاقبةً، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريَم: ٧٦] . ،

قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلمٍ ينتفع به، وولد صالح يدعو له»**(١).

ومن حديثه ﷺ هذا سأنتقل إلى الزمن الثاني.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الزمن الثاني:

يبدأ هذا الزمن من موت الإنسان بانتهاء أجله، ويستطيع الإنسان خلاله أن يكون باقياً فيه في أذهان الناس، وهذا بقاء، وقد يكون هذا البقاء طويلاً جداً حتى تعاقب الكثير من الأجيال، ويكون ذلك بحسب ما يقدم من عمل يُنتفع به، أو يمكن أن يطول حتى تتغير لغة الزمن القادم وتفكيره ومبتكراته ومخترعاته.

لقد ازدحمت صفحات التاريخ البشري، العلمي والأدبي والسياسي والفنّي البطولي والفكري و... بأسماء العلماء والأدباء والزعماء والفنانين والأبطال والمصلحين و... ولا زلنا نذكر آثارهم، ونعمل بكل أو ببعض ما قدموه من خير للإنسانية، أو نسترشد بأفكارهم ونتغنى بإبداعاتهم، وهم بهذا يعيشون بيننا عمراً ثانياً، فهم باقون في ذمة التاريخ البشري وذهنه، أما بقاء أحدهم فهو بحسب الأثر الذي تركه.

لا نستطيع ـ للإنصاف ـ أن نضرب مثلاً واحداً كشاهد، فالأمثلة على ذلك كثيرة جداً جداً، وقد يُكتفى بالقول إن علم الطيران الذي تطور إلى غزو الفضاء الذي لا يزال العلماء يبحثون فيه بغية الوصول إلى فضاءات تحلم الإنسانية بالوصول إليها، قد كان أصله محاولة غير كاملة قام بها عباس بن فرناس الذي حرّضت محاولته تلك على البحث فالوصول إلى ما تم التوصل إليه. إن العالم أجمع لا يزال يذكر هذا الاسم، وبقي صاحبه في أذهان الناس على تعاقب الأجيال إلا من كان جاحداً، وله يحال الفضل ـ كل الفضل ـ جرّاء ما وصل إليه الإنسان في علم الطيران وغزو الفضاء.

وعلى هذا يذكر بالقياس من تركوا آثاراً خالدة في علم الطب والفلك واللغة والفقه وغيرها.

وفي البقعة السالبة من الذهن الإنساني بقي أشخاص آخرون لا يزالون يتلقون لعنات الإنسانية لقاء ما قدموا من آثار سيئة للمجتمع الإنساني، أو لقاء حروب أشعلوها بين الفرقاء دون مبررات لقيامها أو لقاء ما اقترفوه من جرائم قاموا بها في حق شعوبهم تندى لها جبين الإنسانية.

إن أمتينا العربية والإسلامية ـ مصنّفتان اليوم في دول العالم الثالث بعد

ما استقر في أذهان الكثيرين أن العرب القدماء كانوا أهل شعر وأدب ولغةٍ ونحوٍ وصرف وما إلى ذلك، وبعدما غاب عنهم أن المسلمين كانوا إلى جانب ذلك أصحاب تاريخ علمي عريق في علوم أساسية وتطبيقية عديدة احتاجتها البشرية فمنهم من أرسىٰ قواعد علم مبتكر غاية في الأهمية، ومنهم من قدم نظريات فكرية لا يزال مأخوذاً بها في كل أصقاع الأرض، ومنهم من اتّسم إنتاجه ومؤلفاته وأخلاقه بسمات علمية محترمة وجديرة بالاقتداء.

ومن هذه الإبداعات استطاعت بعض المجتمعات أن تصنف نفسها أو تصنف في دول العالم المتقدم.

لقد برز من المسلمين عباقرة عظام في ميادين علمية أو فكرية أو أدبية أو... وكانوا بها أساتيذ مبدعين وعلماء مؤسسين.

وهؤلاء باقون لا في أذهان أحفاد أحفادهم فقط، بل في ذمة الإنسانية كلها، ومنهم من لا تزال مؤلفاتهم مراجع أساسية لطلبة العديد من الأكاديميات الحديثة.

الـوارث

نحن ميتون والله حيّ، ذاهبون من هذه الدنيا الفانية وجلالته باق بعد فناء جميع خلقه، ترجع إليه الأملاك بعد فنائهم بحكم بدئها من إيجاده وإنشائه بعد موتنا.

فالله الوارث: هو الباقي الدائم الذي يرث الأرض ومن عليها.

وفي تاج العروس: **الوارث**: هو الباقي الدائم بعد فناء خلقه وهو يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ويرى الغزالي أن الوارث هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاّك، وذلك هو الله تعالى القائل في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحِجر: ٢٣] ، أي الباقون بعد فناء الخلق.

ويسأل سبحانه وتعالى يوم القيامة: «**لمن الملك اليوم**»؟ وإذ لا يجيبه أحد يجيب هو جلّ شأنه قائلاً: ﴿لِّلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] . ليس الإرث في آيات القرآن الكريم مالاً فقط كما وقر في أذهان البعض من الناس، حيث أخذ أشكالاً يمكن أن تورّث أيضاً غير المال، كالكتاب، ومن القرآن الكريم، كالعلم، والأرض...

ولا ملكية خاصة حقيقيةً يظن مالكها أنه هو الذي يتصرف فيها لوحده حين يتدبر تلك الآيات، فيعرف من خلالها أن مشيئة الله تتحكم أيضاً في ذلك، فينتقل ملك المالك إلى غيره شخصاً كان أم قوماً. ومثال ذلك ما سجله التاريخ الإسلامي وذكره القرآن الكريم بقوله تعالى. ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] وهي أرض خيبر بعد أن أنزل الله الرعب في قلوب الذين عاونوا المشركين ونقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ، وهم يهود بني قريظة فأبعدهم عن حصونهم. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

الإنسان من هذا الاسم الشريف، **الوارث**، في زمنين: الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

الإرث في الحياة الدنيا:

إن كل ما يملكه الإنسان في حياته الدنيا زائل بزوال الإنسان نفسه، ولأن **الله مالك الملك** فإليه تؤول الملكية الحقيقية، وإن من يتدبر الآيات التي تحكي عن الإرث سيعرف ذلك دون عناء، غير أمور أخرى ملخصها أن الملك في الدنيا هو شكل من أشكال الاختبار يختبر الله بها إيمان عباده.

الله تعالى يورّث الأموال بحسب نظام المواريث الذي شرّعه للناس في القرآن الكريم.

ولقد وصف الله تعالى الإنسان من حيث علاقته بالمال بأنه يحبه حباً كثيراً ويحرص عليه فقال: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، ويظن أن بالمال الذي يمدّه الله به يمدّه الله بالخيرات، ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؟ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، فالله تعالى يختبر إيمان العباد بما يمدّهم به من المال، ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [تتمة الآية السابقة] أن ذلك استدراج لهم.

ولا يخفي الله اختباره بإحدى الآيات بشكل آخر فيقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ [البقرة: ١٥٥].

ورحمة منه ينبهنا بأن الأموال يمكن أن تكون سبباً للوقوع في الفتنة لئلا نقع فيها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [الأنفال: ٢٨]، وأن من تلهيه أمواله عن ذكر الله هو من الخاسرين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]. ومن رحمته أيضاً أنه يبين لنا كيف يمكن أن ننجح في هذا الاختبار، والسبيل إلى ذلك أن ننفق من هذا المال في سبيله، فيضاعفه لنا، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فإذا بخل الإنسان بالإنفاق في سبيل الله من ماله في الحياة الدنيا فماله لن يغني عنه إذا ألقي في جهنم، ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ١١].

ويورّث الله تعالى لعباده في الحياة الدنيا الكتاب، وقد خصّ العرب

والمسلمين بأن ورّثهم القرآن الكريم بعد أن اختارهم على سائر الأمم، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فَاطِر: ٣٢] اختباراً لهم أيضاً، ليتدبروه ويعملوا بما جاء فيه لأنه يحقّ الحقّ ويقيم العدل في الحياة الدنيا فمن سبق منهم بالخيرات بإذن الله فذلك هو الفضل الكبير، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فَاطِر: ٣٢] [تتمة الآية السابقة].

ويورّث الله العلم لعباده، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١] ، وعلّم عباده الصالحين القرآن، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحمٰن: ١، ٢] بأن أوحاه إلى الرسول محمد ﷺ ليبلغه للناس ليعملوا بما جاء فيه، لأنه يعلمهم دينهم ودنياهم، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢] . ولقد كان العلماء ورثة الأنبياء لقول رسول الله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[1]، وهم يورّثون ما تعلمونه من الأنبياء للناس، وهكذا.

والاختبار في العلم هو بما تعلمنا وما تركنا للأجيال من علم ينتفعون به.

ويورّث سبحانه وتعالى الأرض لا لتملكها، بل لعمارتها وإقامة العدل فيها وتيسير أسباب الحياة الطيبة لسكانها، وهذا هو الاختبار. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٥] ، فإن لم يفعل أهلها ذلك، وطغوا، وتكبروا، وأعرضوا عن شكر ربهم وعبادته فإنه يجعل دورهم ومنازلهم خربةً خاويةً لا يسكنها إلا مسافرون ليوم أو بعض يوم، ثم يرثها الله إذ لا يخلف فيها أحداً من بعدهم، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القَصَص: ٥٨] .

إن آخر مطاف الحياة الدنيا رجوع الخلق كلهم إلى الله، فيرث الأرض ومن عليها ويجازي كل نفس بما عملت، ويقول للذين ظلموا: ذوقوا عذاب النار بما كنتم تفعلون. ﴿إِنَّا نَحْنُ [2] نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريَم: ٤٠] .

---

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) إن واسمها ونحن تأكيد لاسم (نا) الذي هو بمعنى نحن لأنه بمعناه. الدرويش، محي الدين. إعراب القرآن الكريم. ج ١٦ ص ١٠٤.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٠] .

الإرث في الحياة الآخرة:

إن الموت حقيقة آتية لكل كائن حيّ لا ريب فيها، ينتقل به المخلوق إلى الحياة الآخرة عارياً إلا من صدقة كان يتصدق بها، أو علم ينتفع بها ورّثه إلى من بعده، أو ولد صالح يدعو له كما قال رسول الله ﷺ، ولا شيء مادياً ينتقل معه، فماذا سيرث الإنسان بعد الموت؟

إن الإرث الحقيقي الخالد هو الجنة لمن يعمل لدخولها مكللاً برحمة الله ويدخلها. ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرُف: ٧٢] ، ولهذا الإرث علاقة وثيقة بالأعمال الصالحة طرقاً إلى الجنة فمن هم هؤلاء الداخلون الجنة، وها هي الأعمال التي قاموا بها فحظوا برحمة الله وتلك النعمة التي لن تزول عنهم؟

ذكر الله الجنة في (١٣٦) آية من القرآن الكريم، جنة: في (٦٦) آية، جنتي: في آية واحدة، جنات: في (٦٩) آية، يدعو الله إليها ويحثّ عباده أن يسارعوا إلى مغفرة منه وجنة عرضها السموات والأرض تجري من تحتها أنهار من ماءٍ غير آسن.

هذه الجنة يدخلها الذين آمنوا وعملوا الصالحات، [آيات كثيرة]، المتقون، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريَم: ٦٣] ، أصحاب اليمين، المقربون من الله السابقون في الدنيا للقيام بالأعمال الصالحة والسابقون في الآخرة لدخولها، الذين خافوا ربهم ونهوا النفس عن الهوى وأطاعوا الله ورسوله، الذين كانوا يقيمون الصلوات في أوقاتها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ٩، ١١] ، لهم منازل الجنان يقيمون فيها أبداً لأن صلاتهم كانت خالصة لوجه الله فنهتهم عن الفحشاء والمنكر، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: ٤٥] ، يدخلونها لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا يظلمون شيئاً، وهم فيها في عيشة راضية، في شغل فاكهون، وهم يومئذٍ خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً جزاء بما صبروا.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٤] ، بطاعة الله والفوز برضوانه والجنة.

قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم وهو يدعوه: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٥] ، فلنقم بما كان يقوم به سيدنا إبراهيم، ولندعوا الله بمثل ما دعا، فلعلنا ندخلها فننعم فيها بالقرب من الله تعالى ونسعد برضوانه.

الـرّشـيد

إن الله حكيم تحسن تدبيراته فيما يقدّر، وتنساق إلى غاياتها بكل سداد من غير إشارة مشير أو تسديد مسدد، وليس في أفعاله عبث ولا لهو ولا باطل، ولذلك كان الله تعالى هو **الرشيد**.

وهو تعالى بالنسبة للإنسان بهذا الاسم فعيل بمعنى مُفْعِلْ، فهو مرشد خلقه، يهديهم إلى طرق الصلاح التي تعود عليهم بالثواب طريقاً إلى الجنة.

إن الله وحده هو الذي يهدي إلى الحق، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] فيبيّن لعباده طريق الهدىٰ وطريق الضلال من خلال كتابه الكريم، القرآن، يهدي لأقوم الطرق وأوضحها للإيمان. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٩]. وانقسم الإنسان إلى مؤمن بالله شاكرٍ نعمه أو كافرٍ به. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسَان: ٣].

والله لم يكره أحداً على الدخول في دين الإسلام، وترك الناس يميزون بين الحق والباطل، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

ولقد تجلّت إرادته في أنه يهدي إلى صراطه المستقيم من يشاء من عباده أي إلى طريق الحق القويم، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣].

فمن يوفقه إلى طريق الحق والخير فهو المهتدي الذي يسلك طريق الهداية، ومن يبعده عن رحمته فلن يجد لنفسه من يرشده إلى سلوك طريق الحق والهداية، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

ومن يشرح صدره للإيمان فهو المهتدي، ومن يخذله عن إصابة الحق فلن تجد لهؤلاء أولياء يهدونهم إلى الإيمان والعمل الصالح وينقذونهم من العذاب. ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ٩٧]

والمؤمنون يهديهم الله بسبب إيمانهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ [يُونس: ٩] .

والإنسان الرشيد هو من رَشُدَ بقدر هدايته في تدابيره إلى ما يشاكل الصواب من مقاصد دينه ودنياه. فالدلالة والرشد الحقيقي هو الاهتداء إلى الله ومعرفة شرعه الحكيم، والرشد هو إدراك وتمييز بين الحق والباطل، والراشد هو الإنسان المستقيم على طريق الحق.

فالله لا يهدي القوم الكافرين إلى مافيه خيرهم ورشادهم ما داموا مختارين الكفر، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤] .

ولا يهدي القوم الظالمين الذين اختاروا الباطل وابتعدوا عن الحق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤] .

والذين يجاهدون لنصر دين الله يهديهم الله سبله الموصلة إلى رضوانه وجنانه، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧].

ولا يزال الله تعالى يهدي من أراد ومن يدعوه، والطريق إلى ذلك أن يقوموا بما أمر الله به من الإيمان والعمل الصالح، لعلهم يهتدون إلى مافيه خيرهم في دينهم ودنياهم. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦] .

الصّبـور

قال رسول الله ﷺ: «**الأناة من الله تعالى، والعجلة من الشيطان**»[1]، فمن صفات الله تعالى الصبر والتأنّي، وهو سبحانه لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، بل يقدّر الأمور كلاً بقدرٍ معلوم، فيقوم بكل فعل في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون عليه، وكما ينبغي، ولذلك فإنه تعالى: **الصبور**، وباعث العجلة في حقه تعالى معدوم لأنه يمهل ولا يهمل، وفي ذلك جليل حكمته، وبهذا يقرب معنى اسمه **الصبور** من معنى اسمه: **الحليم** الذي ورد ـ **حليماً** ـ في خمس عشرة آية من القرآن الكريم بينما لم يرد اسمه **الصبور**، ولا أحد مشتقات الفعل، صَبَرَ اللغوية في حقه تعالى في آية من آياته، بل كانت الآيات التي ورد فيها ذلك والتي قاربت نيّفاً وتسعين آية، في حق الإنسان، وكأنّ الله تعالى قد خصّ الإنسان بها ليتعلم منها الصبر كخلقٍ من أخلاقه تعالى، ليهوّن على نفسه الأشياء فيرتقي مرتبة في إنسانيته.

إن كثيراً من مناحي حياة الإنسان يتطلب أن يكون صابراً، ذا حزم وعزم عليها وثبات أمامها، فبالصبر يقوى ويتغلب على العوامل المؤثرة لزحزحة نفسه عن مسارها وهدفها.

أصل الصبر في الكلام: الحَبْس. يقال: صبرت على كذا: أي حبسته.

والصبر: هو كبح جماح العواطف بالنسبة للأمر الذي سيصبر عليه الإنسان وإلزام النفس بما لا يناسب هواها ومرادها المنحرفين، وكذلك هو قوة الاحتمال وضبط النفس وسعة الصدر وكظم الغيظ، وهو لذلك يستلزم بذل طاقة كبيرة لمواجهة ذلك الأمر.

والصبور من الإنسان هو من يتميز بطاقة تحمل نفسية كبيرة تجعل الشدائد

---

(١) رواه الترمذي وأبو يعلى، والبيهقي عن أنس ﷺ، والطبراني.

ذات تأثير بسيط على نفسه، يراود نفسه عن أخلاقها ويتحمل كرهها فلا يترك لتلك العوامل مجالاً لتغيير نفسه عن مسارها وثباتها.

والصبر على أوجه: صبر على فرائض الله. وصبر على ابتلائه، وصبر على الأعداء، وعلى المسيئين وعلى النفس الأمارة بالسوء.

يقال: إن الشهوة تصيّر الملوك عبيداً، والصبر يصيّر العبيد ملوكاً، واعتبر النبي ﷺ مجاهدة النفس أفضل الجهاد لقوله ﷺ: «**أفضل الجهاد جهاد النفس**»[1] لأن الصابر يصبر على الشهوات وعلى ملذّات الحياة، فيترك المناهي ولا يتبع الشهوات، يجاهد نفسه بالطاعة والرياضة فلا يسمح لنفسه الأمارة بالسوء أن تستولي عليه فيقع أسيراً في حب شهواتها.

والمتدبّر لآيات الله التي نزلت بما يتعلق بالصبر في حق الإنسان سيجد أفكاراً مهمة لحياته، فإن عمل بها فإنه يرتقي من خلالها ويرى في نفسه صورة من صور الإنسان التي يريد الله رؤيته فيها.

لقد أمر الله تعالى بالصبر فقال عزّ من قائل: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ [الأنفال: من الآية ٤٦] ، وقصد بذلك الثبات على الحق وعلى الصراط المستقيم. ولأن الإنسان ضعيف في خلقه ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨] تقبل نفسه تذبذبات الأيام وتقلباتها، فإن الله تعالى تفضل بأن أخذ على نفسه أن يكون مع الصابرين الثابتين، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: تتمة الآية ٤٦] ، يمدّهم بمعونته وتأييده. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩ والأنفال: ٦٦] . وهذا دليل حبه تعالى لهم وهو القائل: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٦] ، لأنهم بمعيّته لا يضعفون أمام الحوادث ولا يستكينون لها، وهذه من صفاته من حيث أنه **القوي، المتين**. وجعل الله أكثر الخيرات مضافاً إلى الصبر وجعلها ثمرة له، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هُود: ١١] ، وقصد بذلك الذين يصبرون عند البلاء والشدة، ويعملون الصالحات في

(١) أخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه بسند ضعيف: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وقال: وهو جهاد القلب والنفس.

حالتي النعمة والمحنة، فهؤلاء لهم ثواب عظيم عنده تعالى.

وأثنى الله على الصابرين، وسلّمهم من الآفات التي كانوا يخافونها في الدنيا، وبسبب صبرهم على المكاره فإنه يدخلهم الجنة نعمت داراً لهم، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٤].

ونهى عن الاستعجال، واعتبر من يصبر على الأذى من الناس ويغفر للمسيء إساءته فلا يقتصّ منه وهو قادر على ذلك ابتغاء وجه الله من مكارم الأخلاق التي يحثّ عباده على التحلّي بها، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

قيل لرسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «**الصبر والسماحة**»[1]. وإذا كان صبر الإنسان في أي حال، كالصبر على ما يثقل النفس من فعل الطاعات وترك الشهوات، ابتغاء وجه الله وطلباً لمرضاته، وأدى الصلوات في أوقاتها وأدىٰ زكاة ماله في السرّ وفي الجهر، ودفع الإساءة بالإحسان، فله العاقبة المحمودة في الآخرة. ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

إن صبر العبد لا يخلو من معاناة وعن مقاساة، لأن معنى الصبر هو ثبات داعي الدين أو العقل في مقابلة داعي الشهوة أو الغضب، ونتيجته الفلاح، والله تعالى يحثّ الإنسان عليه ليفوز الصبور منه بمرضاته إذا صبر على الشدائد بأنواعها، ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠].

يقول الله تعالى إن الصبر والصلاة وسيلتان تعينان الإنسان على ما يواجهه من تلك الشدائد، بالصبر على تحمل المشاق في العبادات، وبالصلاة لأنها العبادة التي تشرح القلب وتوثق الصلة بين العبد والرّب، وقدّم الله الصبر على الصلاة في أكثر من آية من القرآن الكريم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٤٥].

---

(١) رواه البخاري في التاريخ والديلمي في الفردوس.

إن الصبر مظهر من مظاهر القوة. والقوة لا تعني العدد والكثرة لمن آمن بقدرة الله ونصره، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] ، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] ، وهنا يكون الصبر دليل من دلائل الإيمان بالله لقول رسول الله ﷺ: «**الصبر نصف الإيمان**»(١).

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضاً: «**النصر في الصّبر**»(٢).

والصابرون يعتمدون على الله في أمورهم كلها على ما ينالهم من الأذى في سبيل المحافظة على إيمانهم. ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢ والعنكبوت: ٥٩] .

قال رسول الله ﷺ: «**الصبر كنز من كنوز الجنة**»(٣). وأهم درس للإنسان من هذا الكنز أن يشكر الله لا في أيام الرخاء فقط، بل في أيام البلاء أيضاً، وبذلك يتبيّن صدقه في طاعته لله وحبه له.. من كذبه.

قال ابن عطاء: «يتبيّن صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء، فمن شكر في أيام الرخاء وجزع أيام البلاء فهو من الكاذبين».

وروي أن النبيّ ﷺ سأل طائفة من أصحابه: «**ما أنتم؟**» فقالوا: مؤمنون، فقال: «**ما علامة إيمانكم**»؟. فقالوا: نصبر على البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضىٰ بمواقع القضاء. فقال ﷺ: «**مؤمنون وربّ الكعبة**».

وفي الحديث القدسيّ يقول الله تعالى: «**من لم يرض بقضائي، ولم يشكر لعطائي، فليطلب ربا سواي**».

وقال ﷺ: «**من مرض ليلة فصبر، ورضي عن الله تعالى، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا مرضتم فلا تتمنوا العافية**»(٤).

ولقد ربط الله سبحانه وتعالى الصبر بالإحسان، ومن كرمه أنه يوفي الصابرين أجورهم بأحسن منها ولا يضيّعها لهم، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية.
(٢) رواه أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) قال العراقي في الإحياء: غريب. وذكره العجلوني في كشف الخفاء بأنه لم يوجد.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال: أخرجه الحكيم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٦] ، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] .

إن الصبر منزلة رفيعة من مكارم الأخلاق لا يوفق إليها إلا الذين يصبرون على المكاره ويروّضون أنفسهم على تحمّل المشاقّ، وإن من يحصل على هذه المنزلة فهو صاحب نصيب وافرٍ من السعادة في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلَت: ٣٥] .

جلّ جلاله:

الجليل هو علم على الإله الخالق المعبود، وجلّ جلاله بمعنى: عظم قدره. إن إجلال الله تعالى نوع من المغفرة، قال رسول الله ﷺ: «**أجلّوا الله يغفر لكم**»[1].

وإن تخلّق الإنسان ولو باليسير من خلق الله تعالى يجد أن الله يصبغه برداء التقوى ذي المهابة والإجلال.

(١) أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه.